الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

Republique Algerienne Democratique et Populaire

وزارة التّعليم العالي و البحث العلميّ

جامعة أكلي محند أو الحاج- البويرة

Ministère de L'Enseignement Supérieur
et de la recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj – Bouira
Tasdawit Akli Muhand Ulhag - Tubirett

من جماليّات الوقف و الإقلاب في خطاب القرآن الكريم للمرأة

– مقاربة صوتيّة دلاليّة –

مذكّرة مقدّمة لنيل درجة الماجيستير في اللّغة و الأدب العربيّ

التّخصّص : دراسات أدبيّة و لغويّة

إعداد الطّالبة:
وهيبة قاني

إشراف الأستاذ الدّكتور:
عمّار ساسي

لجنة المناقشة:

د/: رابح ملّوك ..... رئيسا
أ.د/: عمّار ساسي ..... مشرفا مقرّرا
د/: بوعلام طهراوي ..... عضوا ممتحنا
د/: عماد بن عامر ..... عضوا ممتحنا
د/: فيروز رشّام ..... عضوا ممتحنا

السّنة الدّراسيّة :2013/2012 م

الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التّعليم العالي و البحث العلميّ

كلّيّة الآداب و اللّغات
قسم اللّغة العربيّة و آدابها

مذكّرة مقدّمة لنيل درجة الماجستير

الشّعبة : اللّغة و الأدب العربيّ
التّخصّص : دراسات أدبيّة و لغويّة

إعداد الطّالبة:
وهيبة قاني

إشراف الأستاذ الدّكتور:
عمّار ساسي

لجنة المناقشة:

د/: رابح ملّوك..... رئيسا
أ.د/: عمّار ساسي ..... مشرفا مقرّرا
د/: بوعلام طهراوي..... عضوا ممتحنا
د/: عماد بن عامر..... عضوا ممتحنا
د/: فيروز رشّام..... عضوا ممتحنا

السّنة الدّراسيّة :2013/2012 م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
وَخَشَعَتِ
ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ
فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا
هَمْسًا

يا الله ...

إليك يحفد البحث ويُهدى ..

إليك يا رسول الله .. و صحابتك .. و أزواجك الطّاهرات...

إليكم .. أهلي .. و أهل القرآن ...

إليكم أساتذتي .. و جامعة .. احتوت بحثا متعلّقا بالقرآن ..

إليك أستاذي المشرف ..

كلّ التّجلّة و الاحترام ...

وهيبة

قبل البدء...
مقدمة

الحمـد لله ربّ العـالمين ، إلـه الأوّلين و الآخـرين ، و أعطـر صلاتـه و أدوم سلامـه على نبيّـه أريـج الأكوان و تـاج العالمين ، و علـى آله و أصحابه الغرّ المحجّلين ، وتابعيه بحبّ و اقتـــداء إلى يـــوم الدّين ،، و بعـد :

فكمـــا سنّ الله – سبحانه و تعالى – في خلقـــه ، أن حدّد لكلّ مخلـــوق موعد خروجه إلى الدّنيا ، ها هي أفكار الطّفولة تتحوّل إلى بحـــوث أكاديميّة ،، و هـا هو القرآن الكريـم بجلاله يأخذ منحى غير الحفظ و شرح الكلمات إلى " النّصّيّة " و " الموضوعيّة " ، ناثـرا لألاءه القدسيّـــة علـى" النّسيج اللّسانيّ " ، فإذا بهـذا الأخير يغدو معبرا و مجرّد وسيلة يوصل من خلالهـا إلى مراتـع الحسن و ريـاض الجمـــال ،، مثّـل فيـه الصّوت لَبِنات الجسر الدّلاليّ الّذي تطفح الآيات النّمـاذج بمعالم فتنتـه و جاذبيّة ملامحـه ، إذا قـرئ مرتّلا ، ممّا لا يعدو الإشـارة إلى بعض الإضاءات القرآنيّـة لما أولاه ربّ المـرأة للمـرأة ، من مكانـة غضّت بصرها عنها ، أو غُضّ عنـها بصرُهـا ،، في عصر تتمـاوج فيـه أحوال المسلمـة ، وقـد تـاهت ركابها بين يمينـيّ و يسـاريّ ، تعـالت أصوات أدعيائهمـا بمحبّـة المرأة و الانبراء للدّفـاع عـن حقوقهـا – كما يقولون – ..

و ليس للبحث فيما يذهب إليه رغبة اصطفاف بين كتب التّفسير القرآنيّ ،، و لا التّرتيب ضمـن قائمـة الأعمـال الإعجازيّـة ،، و إنّمـا جـاء استكمـالا لمتطلّبـات نيل درجة الماجستير، فاختـار أن يكون إشـارة خجلـى إلى بعض الملامـح الجماليّـة في كتاب الله العزيـز ،، و إيماء إلى طعـوم الحـلاوة وأنواعهـا ،، عندمـا تتقاطـر وقفـاً جائـزاً أو احترامـاً لتمـام معنى مقترن بفاصلـــة قرآنيّـة ، أو خفقـة فـؤاد عنـد سماع إقـلاب بغنّـة رخيمـة، فـي سيـاق يذكـر المـرأة وهـي جنين في عالـم الغيب " كمريم البتـول " أو سيّـدة تنحنـي لهـا الرّقـاب " كبلقيس"، أو" أماّ " ينـزل فيهـا أمـر إلهـيّ بالبـرّ وخفـض الجنـاح لهـا،، وقـد ذكـرهـا أيضـاً " مثـل سـوء" ينهـى عن تقفّي أخلاقـه، وسيّدة منحت أمومتها لكلّ المؤمنين " كعائشة " زوج النبي ﷺ و صويحباتها أزواجـه _ رضوان الله عليهنّ جميعـاً _،، وفتـاة خجولـة " كابنتيْ" رسـول الله شعيب _ عليه وعلى رسولنا السّلام _ وغيـره هـذه النّماذج كثير ممّا طالته تفاصيل البحث و مفاصله بين صفحاته للإجابة عن السّؤال .

- **إشكاليّـة البحث :**

ما الآثـار الدّلاليّـة و مـا معالـم الجماليّة في احترام حُكمَيْ الوقف و قلب النّون السّاكنة و التّنوين اثناء ترتيل الآيات المنوطة بخطاب القرآن للمرأة؟

وقد اختير هذا الموضوع لتوفّر بواعث عديدة منها ما هو ذاتيّ و ما هو موضوعيّ .

- **أسبـاب اختيـار الموضوع:**

- الاهتمـام الشّخصيّ لصاحبته بعلوم القرآن و قضايا المـرأة.
- قلّـة المتناولين لهذا الموضوع بصورة أكاديميّة مؤصّلة من القرآن الكريم.
- توفّـر الكثيـر من الآيـات في القرآن الكريـم المنوطة بالمرأة في أحوال متعدّدة.
- تنوّع الوقوف في رواية حفص عن عاصم.
- سـوء فهـم بعض النّسـاء للتّشريـع القرآنـيّ المتعلّق بالمرأة.
- كثـرة المشكـلات القانونيّة و الاجتماعيّة ذات الصّلـة بالمـرأة ،
- ملاحظـة إقبـال النّاس على المساجـد التّـي يـؤمّ فيهـا أشخـاص مجيدون لأحكام التّرتيل ؛ و بـذلك فإنّ تلك البـواعث رسمت أبعـاداً و أهدافـاً للموضوع متمثّلـة في:

- **أهداف البحث:**

- ابتغـاء مرضاة الله – تعالـى – عن طريـق الاتّصال الواعـي بكتابـه الكريـم.
- استكنـاه فضائـل الملحـظ الصّـوتـيّ مـن خـلال حكمَـي الوقـف و الإقـلاب في الآيات النّماذج.
- تقصّـي مهمّتَـي الوقـف و الإقلاب نحويّا و بلاغيّا و الإشارة إلى بعض نصاعتهما الجماليّة .
- محاولة التّـفيّؤ ببعض ظلال الجمال النّاجم عن بلاغَتَيْ الوقف و الإقلاب.
- تبيان بعـض دلائـل الاهتمـام القرآنـيّ بالمـرأة ، كونهـا مشـروع نهضـة الأمّـة

و المصنع الأوّل لرجالها .

- التّعرّف على منهج القرآن في طرح قضايا المرأة و معالجتها .

- إنتاج بحث موضوعيّ ذي علاقة بأحكام التّرتيل من جهة ، و بيان بعض غاياتها الدّلاليّة من جهة أخرى .
- تلمّس بعض أنواع خطاب القرآن المتعلّق بالمرأة (تشريعا ،عقيدة ، و أخبارا..).

•و أمّا **المنهج** الّذي سلكه البحث في رحلته ، فهو **وصفيّ تحليليّ** خدمته مناهج أخرى حيث استند إلى التّاريخيّة حينا (في القصّة و مضرب المثل) و إلى التّقصّي و الاستقراء حينا ، و الوصف و التّحليل حينا آخر ، بما يتلاءم ومقتضيات النّماذج و إجرائيّة الخطوات أثناء تتبّع ملامح الجماليّة الصّوتيّة و الدّلاليّة فيها .

تعريف المنهج الوصفيّ : و هو المنهج الّذي يهتمّ بوصف خصائص ظاهرة معيّنة وجمع معلومات عنها ، وهذا يتطلّب عدم التّحيّز قدر الإمكان ، ودراسة الحالة و المسح الشّامل لما يتعلّق بهذه الظّاهرة على نحو يكفل لها الموضوعيّة.

كما اقتضت طبيعة الموضوع أن تكون مصادره و مراجعه منوّعة بين قديمة تراثيّة وجديدة حداثيّة ، مثّلت دراسات و وثائق سابقة له بالفضل ، منها :

الدّراسات السّابقة المعتمد عليها في الموضوع :

- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانيّ .
- النّشر في القراءات العشر لابن الجزريّ.
- العين للخليل بن احمد الفراهيديّ.
- الكتاب لسيبويه.
- الخصائص لابن جنّيّ.
- من أسرار البيان القرآنيّ لفاضل صالح السّامرّائيّ..
- الأصوات اللّغويّة لإبراهيم أنيس.

– البنية الصّوتيّة في قراءة الإمام ورش عن نافع لنور الدّين بن حامد ، و هي رسالة ماجستير بالجزائر.

– النّبر و التّنغيم لهند بوسكّين ، وهي الأخرى رسالة ماجستير بالجزائر.

و ممّا يشار إليه ، أنّ جميع هذه البحوث والكتب كانت تحوم حول الموضوع ، ولكنّها جميعاً، لم يُشر فيها إلى خصوصيّة الخطاب القرآنيّ المتّصل بالمرأة و لم تضع يدها على جماليّاته أو يعطَ فيها البعد الدّلاليّ إلاّ بنظرة عامّة كما فعل صاحب الصّوت اللّغويّ في القرآن "، و إن وجدت ، فإنّها ممّا لم يذكر لعدم وصول يد البحث إليها أثناء السّعي في جميع المصادر و المراجع.

هذا، وقد اجتمعت بواعث الموضوع و أهدافه مع سنداته العلميّة، لترسم له مسيرته البحثيّة، وفق خطّة شملت مقدّمة وتمهيداً و فصلين و خاتمةً، و ملاحق.

فأمّا ***التّمهيد:** فتناول جملة المصطلحات و العلوم المتّصلة بالبحث من علم الجمال و الصّوتيّات، والقراءات القرآنيّة وأحكام التّرتيل.

في حين جاء في ***الفصل الأوّل: الموسوم بـ : " من الجماليّات البلاغيّة و النّغميّة للوقف في خطاب القرآن المنوط بالمرأة** " إشارات بلاغيّة ناتجة عن احترام علامات الوقف الجائز والمقترن بالفاصلة القرآنيّة على اختلاف أنساقها، مع التّعرّض إلى ملامح أصوات الحروف الموقف عليها، في سياقات خطابيّة متنوّعة ذكرت فيها المرأة ، وقد أُجمل ما ورد فيه ضمن خلاصة و مخطّط .

كما تعرّض * **الفصل الثّاني: الموسوم بـ : " من جماليّات المماثلة المجاورة بالإقلاب في خطاب القرآن المنوط بالمرأة** " إلى بعض دلالات الخطاب القرآنيّ المشتمل على إقلاب نون ساكنة أو تنوين أثناء توجّهه إلى المرأة أو تناول مالها به علاقة مستعيناً بالآراء الصّرفيّة و النّحويّة في استجلاء الدّلالات و المعاني، ومختوماً هو الآخر بخلاصة شاملة لأنواع الخطاب القرآنيّ في هذه الجزئيّة و معانيه النّاجمة عنه.

وفي نهاية رحلته، خلُص البحث إلى نتائج و توصيات أدرجها في **خاتمته** المذيّلة ب ملاحق ضمّت **مدوّنة** الآيات محلّ المقاربة **فهارس** و مسارد لما ورد فيه من **مصادر و مراجع و أعلام و جداول ومخطّطات.**

وعن الدّراسات السّابقة المُتناولة للموضوع محلّ البحث، فلم يصله شيء منها، ممّا جعل خوضه وجها من أوجه المغامرة لما في ذلك من صعوبات،

ينزاح البحث فيحتفظ بها لنفسه، مادامت أهون ما تكون من أجل فهم أرقى لكتاب الله – سبحانه وتعالى–.

وعموماً، فإنّ البحث فيما ذهب إليه من آراء ، لم يألُ جهداً لتجنّب التّعسّف فيها، ولا يدّعي عدم وقوعه في شيء منه، وما كان منه فعن غير قصد أو عمد، و لكنّها القناعة بوجهة الرّأي ما لم يخرج عن اللّغة و قواعدها، ولم يُخالف تفسيراً للقرآن الكريم أو حديثاً شريفاً، يحدوه في ذلك جميعه، وجدان معلّق بالكلم الخالد، وهدف لا يقلّ عن البذل في سبيل القرب من مُنزِلِهِ و المُرسَل به –ﷺ–.

هذا، ولا ينسى البحث_ وهو يُلقي بمكنوناته تعريفاً بحاله _ أن يُقدّم أغاريد شُكره، وينثر أريج تحاياه لمن مدّ له أنفاس الأمل ،، مُؤكّداً في كلّ مرّة أن " سيخرج العمل من عنق الزّجاجة وتخرجين " قاصداً الأَمة طالبة العلم من خلاله، فكان حقّاً و صدقاً الشّريك الفعليّ في إخراجه إلى الوجود ،، الأستاذ الدّكتور " **عمّار ساسي**"، أدامه الله شاطئاً للحكمة، وساحلا للمعرفة،، و منارة أمل يُقتدى بها من قبل طلبة العلم.

و ما توفيقي إلاّ بالله العليّ العظيم، عليه توكّلت وإليه أُنيب، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

مدخل

القــرآن الكريــم ، كتــاب الوحـــي الخالـــد ،، و دستـــور المسلميـن الشّامـل ،، الآيـة العظمـى للرّســـول الكريـــم – ﷺ– ،، أسعـــد الأوقـــات تلك الّتـــي يقضيهـــا المسلـم يتحسّـس أثناءهـــا حروفـــه و أصواتـــــه بين صفحـاتـــــه ،، تاليـا ،، أو معلّمـا ،، أو باحثا ،، و إذا كـانت الأمم تزهـــو بكتبهـــا الأدبيّـــة ، و موسوعاتهـــا التّاريخيّـة ، ودساتيرهـا عبر الأزمـان ، بُرهـان ثقافـة وحضارة لديهـا ، فـإنّ الأمّـة العربيّـة الإسلاميّـة تفخر بكتـابـها « **القرآن من حيث هـو كتـاب العربيّـــة الأكبـر ، وأثرهـــا الأدبـــيّ الخالـــد ، فالقــرآن كتـاب العربيّـة الأقــدس .**» [1]

و بمـــا أنّ الوجهـــة فـــي البحـــث تتمثّـــل فـــي قـــراءة معاصـــرة لكتـــاب الله – تعالى– ، لا بـدّ مـن تبريـر الخـــوض فـــي هـــذه المقاربـــة الصّوتيّـــة – الدّلاليّـــة إيّـــاه ، إذ أنّ أكثـر مـا تناولـه الدّارسـون من قبـل فمـن زاويـة بـلاغيّـة أو نحـــويّـة ، لا تنـأى بـه عـن التّفسـير المعجمـيّ و ربطـــه بـأسبـــاب النّـزول ، أمـّا أن يتحـــوّل إلـى رقعـة نصّيّـة فـي بحـوث تحليـل الخطاب ، فهـذا ما يندر العثور عليه اليوم ، خاصّـة فيما يتعلّـق بالدّراسات ذات الصّلة بـ**الأسلوبيّـة الصّوتيّـــة Phonostylistique** *أو **علـم الجمـــال الصّوتـــيّ** ، فمـن المعلـوم أنّ الخطـاب القرآنـيّ مفعـم بسمـات أسلوبيّة راقيـة ، لأنّ نصوصـه « **إذا اشتدّت فأمواج البحار الزّاخرة ، و إذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة ، تذكر الدّنيا فمنها عمادها و نظامها ، و تصف الآخرة فمنها جنّتها و ضرامها ، و متى وعدت من كرّم الله جعلت الثّغور تضحك في وجوه الغيوب ، و إن أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة ترعد من حمّى القلوب** »[2] فيذعن هـــذا و ذاك لجمال المبنـى و جـلال المعنـــى .

و البحـث – كما ذكر – لا يـدّعـي ألسَنـة الفهـم للخطـاب القرآنـيّ للمـرأة بالتّمـام، و لا الانتسـاب إلى قائمـة البحـوث الإعجازيّـة فـزاويتهـا أشدّ انفراجا عليه ، ، لا طاقة لـه بها ،

---

[1] - نصر حامد أبو زيد : مفهوم النّصّ– دراسات في علوم القرآن – ، المركز الثّقافيّ العربيّ، ط:2 ، بيروت ، 1994 ، ص: 10.

● أوّل من استعمل هذا المصطلح هو " نيكولاي تروبتسكوي " N .Troubetzkoy في كتابه " أصول الفونولوجيا " عام 1936 بألمانيا ، لمزيد من الإيضاح ، ينظر : د /محمّد إبراهيم الضّالع : الأسلوبيّة الصّوتيّة ، دار غريب للطّباعة و النّشر ، ط :01 ،(د – ت– ن) ، القاهرة ، مصر.

[2] – مصطفى صادق الرّافعيّ : إعجاز القرآن و البلاغة النّبويّة ، دار الكتاب العربيّ ، ط : 09 ، 1973 ، لبنان ، بيروت.ص: 30.

و لا يقوى بحال من الأحوال الاتّصاف بمنهج لسانيّ معيّن ، إذ القرآن أرحب من كلّ منهج أبدعه العقل البشريّ ، لكنّه في الآن ذاته " **مقاربة** " ليس إلاّ، ، تحمل مغامرة في تذوّق الأصوات – المادّة الخام لأيّ لغة – من حيث وقعها الجماليّ في أقدس كتب السّماء « **و قد استعمل القرآن هذه الأصوات أروع استعمال و أجلّه** »[1] في محاولة منها الفوز بقطف بعض مجانيه اللاّمحدودة ، موظّفة فننا من أفنان الأسلوبيّة – الأسلوبيّة الصّوتيّة – و متلمّسة أنواع الخطاب القرآنيّ الّذي ذكرت فيه المرأة المرافَق بعلامات الوقف و الإقلاب .

و لأنّ الموضوع قيد المقاربة ، ذو أوصال مختلفة ، فمن الواجب التّعرّض إلى بعض المفاهيم و المحطّات ذات الصّلة بها .

01- القرآن : خطاب صوتيّ دالّ موافق لسنن العرب في كلامها :

القرآن في **اللّغة** : ذكر(ابن منظور) في " لسان العرب "، مادّة (ق ر أ): «**... قرأه يقرأه و يقرؤه، الأخيرة عن الزّجّاج قرءًا وقراءة وقرآنا، والأوّل عن اللّحيانيّ، فهو مقروء...و قرأت الشّيء قرآنا جمعته وضممت بعضه إلى بعض،...ومعنى قرأت القرآن لفظت به مجموعا**»[2].

وما صاحب " اللّسان" متفردّ بهذه المعاني المشتقّة من مادّة (ق ر أ) في اللّغة العربيّة، إذ تكاد تجمع كلّ المعاجم اللّغوية حول معنى الضّمّ والجمع، هذا المعنى، لم يغب في المعنى **الاصطلاحيّ**، حيث عرّف بأنّه: « **كلام الله المنزّل على نبيّه المكتوب بين دفّتي المصحف**» [3] ، إذ لم يضمّ الوحيَ مصحف قبل جمعه، وعليه، فإنّ المعنيين اللّغويّ والاصطلاحيّ لا يكتفيان أن يتّفقا في تكامل بينهما، إذ الجمع والضّمّ أصل في كلمة " قرآن"، وتمام دلالتها في الانتقال به من ذلك إلى قراءة الوحي الذي نزل على الرّسول الكريم

---

[1] – خالد قاسم بني دومي : دلالات الظّاهرة الصّوتيّة في القرآن الكريم ، جدارا للكتاب العالميّ و عالم الكتب الحديث ، ط : 1 ، عمّان ، 2006 ، ص : 75.

[2] – أبو الفضل جمال الدّين بن منظور : لسان العرب ، تحقيق : عليّ بشيريّ ، دار إحياء التّراث العربيّ ، ط: 01 ، 1988 ، لبنان ، ج : 11 ، ص : 78 .

[3] – عبد الرّحمن بن خلدون : المقدّمة ، دار الكتاب اللّبنانيّ ، ط : 1 ، 1979 ، لبنان ، ص : 782.

– صلّى الله عليه وسلّم– متفرّقـــا، ثـمّ جمع فـــي المصحف الشّريف ليبـقى صوتـا تصيخ لـــه العـوالم حين يعلـــو بالتّـــــلاوة، كما قال– تعالى – :﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾** ﴾ **القيامة[16–17]** وبذلك تصير كلمة " قرآن " اسما علما للكتاب الخالد الّـذي أرسل بـــه محمـد – صلى الله عليه وسلم– .

هذا، وتعتبر " التّلاوة" ركيزة أساسية وجانبا لا غنية عنه في التّعريف الاصطلاحيّ للقرآن، كونهـا تنـــمّ علـى ضـــرورة الأداء وأهمّـيّتـــه جنبـا إلـــى جنب حقيقـــة التّـدويـــن فيـــه ، فـــقـــد « **روعـــي في تسميته "قرآنا" كونه متلوّا بالألسن، كما روعي في تسميته " الكتـــــاب " كونـــه مدوّنا بالأقلام، فكلتا التّسميتين من تسمية الشّيء بالمعنى الواقع عليه، وفي تسميتـــــه بهذين الاسمين إشارة إلى أنّ من حقّه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنّه يجب حفضه في الصّدور والسطور جميعا أن تضل إحداهما فتذكّر إحداهما الأخرى، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتّى يوافق الرّسم المجمع عليه من الأصحاب، المنقول إلينا جيلا بعد جيل، على هيئته الّـتي وضع عليهـــا أوّل مـــرّة، ولا ثقـــة لنـــــا بكتابـــة كـــاتب حتّى يوافق مـــا هـــو عند الحافـــظ بالإسناد الصّحيح المتواتـــر.**» [1]

لقد أشير إلى ركن " التّلاوة " هاهنا عمدًا للتّنويه بالجانب الأدائيّ ودوره في تحقيق المعنى لكلمتي "قرآن" و "قراءة"، التي منحت هي الأخـرى منحى اصطلاحيّا بعيدا عن المنحـى اللّغـويّ فهي: «**مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء فخالف بـــه غيره فـــي النّطـق بالقـرآن الكريـم، مع اتّفاق الرّوايات والطّرف عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في هيئاتها**» [2] أي أنّها وجه أدائـيّ يتلى بـــه القرآن الكريم بما يتناسب وإحـدى الرّوايـــات والطـــرق الموثوقـــة، وكلّ من "القراءات" و "الرّوايات" و "الطّرق" مصطلحات لكل منها دلالة مستقلة إذ «**كل ما ينسب للإمام فهو قراءة، وما ينسب للآخذين عنه ولـــو بواسطة فهو رواية، ومـــا ينسب لمن أخـذ عن الرّواة وإن سفـــل فهـــو طريق**» [3] .

---

[1] – محمّد عبد الله درّاز : النّبأ العظيم ، مطبعة السّعادة ، 1969 ،مصر ، ص :12.

[2] – محمّد الزّحيليّ : تعريف عامّ بالعلوم الشّرعيّة ، دار الكوثر ، ط :01 ، (د – ت – ن) ، الجزائر ، ص : 30.

[3]– أبو محمّد الحسن بن عليّ بن سعيد : القراءات الثّماني للقرآن الكريم ، تحقيق : إبراهيم عطوة عوض و أحمد حسين صقر ، وزارة التّراث القوميّ و الثّقافة ، ط :01 ، 1995 ، سلطنة عمان ، ص :25.

من ذلك يتبيـّن لنا أنّ "**رواية حفص عن عاصم**" تعنـــي أقصر سلسلة وسيطـــة بين الإمـــام عاصم والنّـبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– فـــ:

تعريف "**عـاصم**" هـو: «**أبو بكـر عـاصم بن أبي النَّجـود بن بهدلـة، مولـى بني خزيمـــة بن مـالك بن النضّر...أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمان عبد الله بن حبيب السّلميّ، وقـرأ أبـو عبد الرّحـمن على عثمـان ومنه تعلّم القـرآن، وعليّ بن أبي طالب وأبيّ بن كعب وعبـد الله بن مسعود وزيد بن ثابت، وكان عاصم قد جمع بين الفصاحة والإتقان والتّحرير والتّجويـــد وكـان أحسن النّاس صوتـــا بالقرآن** » [1]

هذه الحلقـة الّتي وصلت بين آي الذّكر الحكيـم وهو يخرج من فـيّ الرّسول – عليه أفضل الصّلاة والتّسليم– وسمع الإمام عاصم – رحمه الله – ضمّت أسماء مباركة من الصّحابة الأجلّة – رضوان الله عليهم – أخـذوا القرآن صوتيّـا عن المعلّـم النّبيّ– صلّى الله عليه وسلّم– الّذي كـان يعلمهم إيّاه بأن « **يقرأوا أمامه وهـو يستمع كما فعـل ذلك مع ابن مسعود – رضي الله عنه**– » [2] أحد أفـراد هذه السّلسلة الحاملـة للنّور الإلهيّ ، إلى غايـة الإمـام عاصم.

أمّا الرّاوية **حفص**، فهو:« **أبو عمر حفص بن سليمـان بن المغيرة، الأسدي الكوفيّ البزّار، أخذ القراءة عرضا وتلقينا من عاصم وكان ربيبه بن زوجته، ولد سنة تسعين، نزل بغـداد فأقرأ بها، وجاوز بمكّة فأقرأ بها أيضا، وكان بعض العلماء يقدرونه في الحفظ فوق أبي بكـر بن عيّاش، ويصفونه بضبط الحروف الّتي قرأها على عاصم**» وهكذا فقد انتقل القرآن من فيه طاهر إلى فيهٍ طاهر لا لحن فيه ولا اعوجاج، تتلوه الألسن متَّبعة قـراءة سيّد الخلـق – صلّى الله عليه وسلّم– إلى أن جاءت الحاجة الملحّة، حين اتّسعت الدّولـة الإسلاميّة وامتزج العرب بالأعاجـم فأصاب العربيّة ما أصابها من علل نحويـّة وصوتيّة، فرضت على العلمـاء أمثال الخليل وسيبويه إفـراد مباحث متعلقة بمخـارج الأصوات العربيـّة فـي كتبهـم اللّغويّة، للعودة باللّسان العربي إلى جـادّة الصواب، خاصّة بعد أن امتدّ اللّحن إلى القرآن الكريم، مما جعل لـ "علم التّجويـد" أئمة يؤصّلـون له ويدرّسونـه.

---

[1] – سمير شريف استيتية : القراءات القرآنيّة بين العربيّة و الأصوات اللّغويّة ، عالم الكتب الحديث ، ط : 01 ، 2005 ، الأردن ، ص :94.

[2] – أيمن رشدي سويد : تلقّي القرآن الكريم عبر العصور ، دار الوعي ، ط : 01 ، 2009 ، الجزائر ، ص : 06.

ليس من باب الفتنة اللّغويّة ، و لا الزّهو العرقيّ ، أن يلتفت البحث إلى الشّأن الرّفيع الّذي حظيت به العرب لخصوصيّة لغتها ، الّتي اختارها المولى – عزّ و جلّ – لسانَ آخر كتبه السّماويّة و أخلدها ، إذ تمتاز باتّساع مدرجها الصّوتيّ ، و اتّزان مخارجها و « **اللّغة لا تعيش على ألسن النّاس عناصر صوتيّة مبعثرة ، بل كلاما حيّا تأتلف عناصره في كلّ لغة من اللّغات وفق نواميسها الصّوتيّة الخاصّة بها ، فما ائتلف من العناصر الصّوتيّة أخذ ، و ما اختلف نبذ ، و المأخوذ تتشكّل منه نسج الألفاظ ، و المنبوذ يبقى أمشاجا مقطّعة غير مستعملة ، كما تلقى نكاثة الخيوط غير الصّالحة للنّسج .** »[1] ، و ما تلك العناصر اللّغويّة إلاّ وحدات دالّة بنفسها هي الكلمات ، و أخرى دالّة بغيرها و هي الحروف و أساليب النّبر و التّنغيم ، و في اصطلاح الأصواتيّين ، إمّا أن تكون مورفيمات أو فونيمات تركيبيّة أو فوق تركيبيّة ، ممّا يحفظ لها وظيفتها الاتّصاليّة ، و إبانتها المقاصد .

و العرب أولت لغتها اهتماما عظيما فكانت تتخيّر الألفاظ الدّالّة على المعاني « **فإنّها ، أي : الألفاظ ، لمّا كانت عنوان معانيها و طريقا إلى إظهار أغراضها و مراميها ، أصلحوها و رتّبوها و بالغوا في تحبيرها و تحسينها ، ليكون ذلك أوقع في لها في السّمع ، و أذهب بها في الدّلالة على القصد**»[2] ؛ إذا كانت هذه العربيّة لدى الجاهليّين ، و هي لغة العرب أنفسهم الّتي أنزل بها الوحي و سجّل في قرآن الله – تعالى – بما يتناسب و نواميسها ، فحريّ القول أنّ القرآن الكريم أضحى برهانا على شرف العربيّة ، لتنوّع الدّلالات الّتي تنوء بها أصواتها ، المرتبطة بإعجازه ، ممّا أدهش عباقرة اللّغة يوم أوحي به إلى الرّسول الكريم – ﷺ – ، و هل أسلم الجاهليّون لمعرفتهم صور البيان و قواعد النّحو ؟ أم لاكتشافات علميّة تدلّ على إعجاز القرآن ؟ كلاّ ، إنّه القرآن مرتّلا ، إنّه التّذوّق العربيّ للوحي سماعا ، و هو الدّليل على أهمّيّة التّرتيل في تبليغ رسالة السّماء و دور «**الصّوت اللّغويّ في إثارة الإحساس الوجدانيّ عند العرب ، وإيقاظ الضّمائر الإنسانيّة للتّوجّه**

---

[1] – غازي مختار طليمات : في علم اللّغة ، دار طلاّس ، ط:02 ، دمشق ، 2000، ص :156.

[2] – محمود سليمان ياقوت : علم الجمال الصّوتيّ(المعاني –البيان – البديع) ، دار المعرفة الجامعيّة ، ط:01، ، 1995 ،(د– م – ن) ، ص :220.

نحـوه ، لـدى استعمـالـه الحـروف الهجائيّـة المقطّعـة ، و فـي أسـرار فواصـل الآيـات، وفـي قيـم الأداء القرآنـيّ »[1] ، أو علـم التّرتيـل و فنّـه .

فالتّرتيـل – بأحكامـه و قواعـده – فـنّ لمـا فيـه من دواعي استمراء الصّوت و الميل إليه ، إذا احترمت تلـك القـواعـد لاشتمالـه حسـن الإيقـاع « **إلـى جـانب إعطـاء الأصوات حقّهـا على أمـور أخـرى منها المـدّ بأنواعـه و الغنّة و السّكت ، ومـا إلـى ذلك ممّـا يعـدّ مـن قبيـل الانقطـاع المـؤقّت لتوالـي الأصـوات الّتـي تتكـوّن منهـا الألفـاظ، فالمـدّ كالسّكـون و السّكـون كالسّكـوت و انقطـاع الكـلام ، (...) و قـل ذلك عـن الغنّـة لأنّهـا مـدّ مقيّـد بالنّـون ، فـإذا قـرأ القـارئ مع التّرتيل أتى بكلّ رتل و آخـر ، وبينهمـا فتـرة انقطـاع هـي إمّـا مـدّ أو غنّـة أو سكت إلخ ، هـذا النّـوع من التّرتيـل يضيف إلـى إيقـاع القرآن الكامن في نصّه إيقاعـا آخـر طارئا عليه من خـلال الأداء و القـراءة ، فـإذا اجتمع الإيقـاع الصّوتيّ و ذلك الإيقـاع التّرتيلـيّ، لـم يكـن للأذن إلاّ أن تستمـع و تنصت و تستمتـع بالجمـال»**[2] الّـذي يصبـو البـحث إلـى الحظـوّ ببعض دلائلـه المحتشـدة فـي كـلّ سـور القـرآن الكريـم ، غير أنّـه سيكتفـي بمـا يستطيـع الوصول إليـه فـي بعض خطاباتـه المنوطـة بالمـرأة فيهـا ، و المشتملة على حكمـي " الوقـف و الإقـلاب مـن أحكـام التّرتيـل القرآنـيّ .

03 – علم الجمال و الجمال الصّوتيّ في خطـاب القـرآن المنوط بالمـرأة :لا يخفـى أنّ هيجل Hegel قـد حـاز قصب السّبق في التّنظـير **لعلـم الجمال L'Esthétique** حين ربطـه بالفنّ و شبّهـه« **بالإكليل الّذي يشكّله ذلك اللّزوم العلميّ ، يمثّل كلّ جزء دائرة مرتدّة على ذاتها من دون أن يكفّ عن أن تكون له مع سائر الأجزاء علاقات لزوم ، يمثّـل " الهُنا " الّذي يستمدّ منها أصله ، و في الوقت ذاته " الهُناك " الّذي يصبو إليه من جديد ، مولّـدا من باطنـه الخصيب عناصر جديـدة يغني بهـا المعرفـة العلميّـة »**"[3] ، فالتّلاحـم بيـن الأصناف العلميّـة ينتـج فنّـا يحمـل

---

[1] – محمّد حسين علي الصّغير : الصّوت اللّغويّ في القرآن ن دار المؤرّخ العربيّ ، ط :01 ،بيروت ، 2000 ، ص :76.

[2] – تمّام حسّان : البيان في روائع القرآن – دراسة لغويّة – أسلوبيّة – ، عالم الكتب ، ط: 01 ، (د– م – ن) ، ص:272 –273 .

[3] – هيجل : المدخل إلى علم الجمال – فكرة الجمال – ، تر: جورج طرابيشي ، دار ا لطّليعة للطّباعة و النّشر ، ط :03 ، بيروت ،1988 ، ص : 10.

السّمات الذّاتيّـة لكلّ منهـا على حـدة ، في هذا النّتـاج ؛ كما «**أنّ الجماليّـة بمعناهـا الدّقيـق تكمن فـي المعرفـة المنشودة لمجـرّد اللّذّة الّتي يتيحهـا لنـا حـدوث المعرفـة ، بانصبابهـا علـى جميع الأشيـاء القابلـة للانكشاف و على جميع الذّوات القـادرة على المعرفـة الخياليّـة عن الغرض ، وعلى التّلـذّذ بهـذه المعرفة .**»[1] ، و على هذا الأساس ، فإنّ جمـال القرآن ، لا يحكم به لتوفّر المناسبة بين اللّفظـة و السّيـاق فقط ، و لا لحسن تموقعهـا فـي التّراكيب – كما تقول نظريّة النّظم – فحسب، و ليس مجـرّد تلك الأصوات المتناغمة الّتي تحدثهـا فواصل السّـورة و لا هو ذلك مـع كثـرة الصّور البيانيّـة و ألـوان البديع المحتشـدة فـي نصوصه ، بـل يضاف إلـى جماليّاتـه اللاّمحـدودة – أيضا – تلك المظاهر الّتـي «**اختصّ بهـا القـرآن في أدائه التّعبيريّ و التّصويريّ في الحرف و الكلمة ، و العبارة و السّورة ، و من شـأن هذا الجمـال اللّغويّ و النّظـام الصّوتيّ أن يسترعـي الأسماع و يثير الانتبـاه ، و يحرّك الوجدان ، و يمزج بين الدّين و الفنّ مزجا يختلط بمدارك الإنسان و وجدانيّاته** »[2] على نحو لا يطاولـه فيه كتاب أو نصّ مهمـا كـان مفعمـا بالجوانب الفنّـيّة المستتبعة لـذّة القـراءة .

04 – الخطاب و الخطاب القرآنيّ : أ – الخطاب لغة : في اللّسان : « **الخطاب و المخاطبة مراجعة الكلام ، و قد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا ، و هما يتخاطبان ، قال بعض المفسّرين في قوله – تعالى – : "﴿و آتيناه الحكمة و فصل الخطـاب "﴾ ص:20 : أن يحكم بالبيّنـة أو اليميـن ، و قيل معنـاه : أن يفصل بين الحـقّ والباطل و يميّـز بيـن الحكـم و ضدّه . »** [3]

و أمّا صاحب المحيط فيذكر بأنّه : « **مصدر خاطب ، و هو بحسب أصل اللّغة : توجيه الكلام نحو الغير للإفراد ، وقد يعبّر به التّخاطب أي : أنّه يستعمل للكلام الّذي يخاطب به الرّجل صاحبه** » . [4]

---

[1] – دني هويمان :علم الجمال ، ترجمة : ظافر حسن ،الشّركة الوطنيّة للنّشر و التّوزيع ، ط :02، 1976 ،الجزائر ، ص:196.

[2] – محمّد قطب عبد العال : من جماليّات التّصوير في القرآن الكريم ، مقال منشور بمجلّة " دعوة الحقّ" ، ع :99 ، س :09 ، مكّة المكرّمة ، 1999 ، ص : 20.

[3] –ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، ط : 02 ، (د – ت – ن) بيروت ، لبنان ، ج : 05 ، ص : 55.

[4] – بطرس البستانيّ : محيط المحيط ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط : 03 ، 1998 ، لبنان ، ص : 240.

و ممّا ذكر ، فإنّ الخطاب عند اللّغويّين هو : ذاك الكلام الواقع بين طرفين قصد الإيضاح و تبيان الغرض .

ب – اصطلاحا : لطالما تداخل تعريف الخطاب بتعريف النّصّ لدى اللّسانيّين ، بل منهم من يعتبر أحدهما هو الآخر على قدم المساواة ، غير أنّ (ميخائيل ستوبس Michael Stubbs) حدّد مميّزات الخطاب رغم هذا الخلط بينهما ، و أجملَها في:

خصوصيّة الخطاب بالحقيقة النّطقيّة ، فإن لم يكن كذلك – أي: إن و جد مكتوبا أو إشاريّا – فالشّـرط الفاصل الأكثر تمييـزا لـه هـو كونه تفاعليّـا ؛ فـي حين هـو عند (بنفنيست Benveniste) : « **منطوق و فعل كلاميّ يفترض وجود راوٍ و مستمع وعند الأوّل نيّة التّأثير في الآخر بطريقة معيّنـة** »[1] فليس من الخطاب ما ليس تفاعليّـا على نحو جامع بين طرفين أحدهما يستهدف بالرّسالة ثانيهما ، متقصّدا تحسّس مواطن التّأثيـر لتحقيق الهدف المرجـوّ من المرسَلـة الكلاميّة.

و عندمـا يـروم البحث قـراءة موضوعيّـة لكتـاب الله – تعالـى – مـن خـلال خطابـه – عزّ وجلّ– المرأة ، فهو لا ينفكّ – أيضا – يذكر جهود السّلف في بحوثهم الّتي تناولت القـرآن الكريـم ، ونصوصه الّتي رسمت مساحة واسعـة من إعجـاز المرسَلـَة السّماويّـة و أعجزت الجاهليّين فلم يجدوا لهم عليهـا سبيلا !!

هكذا الخطاب القرآنيّ ، لا يرضى إلّا بالتّميّز ، بل الإعجاز ، حتّى تنافس في استكناه آياته أولو الطَّـول من العلمـاء باختلاف ميادينهـم....

05 – جهود السّلف في البحوث الإعجازيّة للقرآن الكريم : لقد حاز الإمام (الباقلاّنيّ 338 – 403هـ) قصب السّبق في بحثه البلاغيّ ، لمّا جعله منوطا بسبر مواضع و أسرار إعجاز الذّكر الحكيم ، فألّف كتابه " إعجاز القرآن " الّذي يذكر فيه أنّ : « **القرآن منفرد بأسلوب يشهد بأنّه من**

[1] – فرحان بدري الحربيّ : الأسلوبيّة في النّقد العربيّ الحديث ، مجد المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات و النّشر و التّوزيع ، ط : 01 ، 2003 ، لبنان ، ص :39.

كلام ليس من جنس كلام العرب، وإن كان يستخدم ألفاظهم وحروفهم الّتي في شعرهم ونثرهـم و كلامهـــم العـــاديّ، وهـــذا الاختلاف ينشـــأ من كـــون صاحب الكلام هـــو الله الّذي

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ »[1] ، كما يورد الشواهد على ما في القرآن من تناسب بين الألفاظ ومواقعها من التركيب، ملوّحا لفكرة النّظم، وما تستند إليه من مظاهر الاتساق، وحسن انكشاف المعاني، بما توحيه طرائق التّأليف ، ذلك أنّ : « **إحدى اللّفظتين قد تنفرد في موضع و تزلّ عنه اللّفظة الأخرى ، بل تتمكّن فيه و تضرب بجرانها * ، و تراها في مظانّها ، وتجدها غير منازعة إلى أوطانها ، وتجد الأخرى لو وضعت موضعها ، في محلّ نفار ، ومرمى شراد ، ونابية عن استقرار**»[2] ، فالعبرة بالتّلاؤم بين وحدات التّركيب الجمليّ ، و إلاّ ما صحّ الفهم ، بسبب الاختلاف الّذي تحدثه الكلمات عند إحلالها التّعسّفيّ في غير مواضعها ، ممّا يؤدّي إلى نشازها من بعض و انعكاس ذلك على المعنى الدّلاليّ العامّ للنّصّ ، و هذا ما أنف عنه الخطاب القرآنيّ .

وعلى ذات المنهج السّالك درب البلاغة؛ يؤسّس (عبد القاهر الجرجانيّ : ت: 471 هـ) نظريّة النّظم، محدثا بها القطيعة مع النّظرة الكلاسيكيّة لهذا الفن، والّتي حصرته – أي فنّ البلاغة– في تحديدات معيارية للحكم على الكلام بالصّحة أو الفساد، متّجها به نحو المعاني الملقية ظلالها في نفس المتلقّي، مشيرا بأنّ الأصل في البلاغة، إنّما هو حسن نظم التّشبيهات والمجازات، وكيفيات التّأليف بين عناصرها، وهو ما رأى فيه سر إعجاز القرآن، معمّما إياه حتّى «**يشمل كلّ شيء في النّصّ القرآنيّ ، اللّفظ، السّياق، مبادئ الآيات، المقاطع، مجاري الألفاظ...مواقع الكلم، مساق كل خبر وكلّ مثل.**» [3]

ممّا سبق ، نستطيع القول أنّ (الجرجانيّ) حين تحسّس المعاني بين ثنايا الألفاظ بعين الملاحظ لدرجات التّأليف بينها على محور التّراكيب ، تقاطع كثيرا مع ما يقوله العلماء المعاصرون للّغة، أمثال (جيرو Giroud) في ورود المعاني المترتّبة عن تنزيل الألفاظ منازل معيّنة أثناء الكلام.

---

[1] – ابراهيم خليل: الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، ط1، 1997، بيروت لبنان ، ص: 26.

[2] – فرحان بدري الحربيّ : الأسلوبيّة في النّقد العربيّ الحديث ، ص :28.

[3] – فرحان بدري الحربيّ : الأسلوبيّة في النّقد العربيّ الحديث ، ص :39.

و بذلك نخلص إلى أنّ مباحث الإعجاز القرآنيّ مثّلت الملهم الحقيقيّ و الباعث الفاعل في استجلاء خصائص الخطاب القرآنيّ الّتي قادت المسلمين الأوائل إلى رحاب الإيمان لما تمتّعوا به من سليقة عربيّة سليمة جعلتهم يسلّمون بأنّ ما سمعوه أرقى من فصاحتهم ، فكانت تلك الرّسائل

الإلهيّة – الوحي – مثار حسد العاجزين من مكابري قريش حتّى قال سيّدهم (الوليد بن المغيرة) على أثر سماعه النّبيّ – صلى الله عليه و سلّم – يقرأ قوله – تعالى – : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ النّحل : 90« **و الله إنّ له لحلاوة و إنّ عليه لطلاوة و إنّ أسفله لمغدق و إنّ أعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر**» [1] ، و الحقّ ما شهدت به الأعداء .

شهادة نطقت بها شفاه عربيّ متغطرس ، أعمت الجاهليّة بصيرته عن الإيمان ، و لكن لم يسطع حسّه اللّغوي الصّافي أن يخفي جمال وقع الصّوت القرآنيّ على سمعه و تغلغله المعجز إلى نفسه ، فأحدث في نفسه الشعور بهذه اللّذّة الغامرة الّتي استطعمها بكلّ أنواع الطّعوم الممتعة ؛ من هنا تتعبّد طريق المقاربة الصّوتيّة بين يدي البحث ، بمعالجة ما يتعلّق بـــ :

06- الصّوت و الصّوتيّات :

الصّوت : أ – لغة : وردت مادّة (ص و ت) في اللّسان كما يلي : « **الصّوت : الجرس ، و صات يصوت و يصات صوتا و أصات وصوت به : نادى ، و يقال : صوّت ، يصوّت تصويتا فهو مصوّت وذلك إذا صوّت بإنسان فدعاه .. و الصّوت صوت الإنسان وغيره** » [2] ، فكلّ جرس يخرج في الإنسان يسمّى " صوتا ".

أمّا في **اصطلاح** المحدثين ، فيعرّفه (كمال بشر) بأنّه : « **أثر سمعي يصدر طواعية واختيارا عن تلك الأعضاء المسمّاة تجاوزا أعضاء النّطق**» [3] إذ الهواء المنبعث من الرّئتين نحو الشّفتين يمرّ بفراغات كثيرة يتعرّض خلالها إلى القطع ، حسب حاجة الإنسان للتّعبير عن أغراضه ممّا يشكّل

---

[1] – صلاح الدّين محمّد عبد التّوّاب : النّقد الأدبيّ – دراسات نقديّة و أدبيّة حول إعجاز القرآن – ، دار الكتاب الحديث ، ط : 01 ، 2003 ، الجزائر ، ج : 02 ، ص : 16.

[2] – ابن منظور : لسان العرب ، ص : 44.

[3] – كمال بشر :علم اللّغة العامّ – الأصوات – ، دار المعارف ، ط: 02 ، 1971 ، مصر ، ص :64.

المقاطع الصّوتيّة عند كلّ مخرج أو حيّز ، – بالتّسمية وفق التّراث العربيّ – ، و هذه السّبيل الّتي يسلكها الهواء ليست خاصّة بالصّوت وحده في الحياة البيولوجية للإنسان ، فهي ذاتها مسلك الطّعام والتّنفس ، وعليه ، فأغلب هذه الأعضاء تكون جزء من الجهاز الهضميّ أو الجهاز التّنفسيّ .

أمّا علم الأصوات ، فهو علم يبحث في مجال الأصوات اللّغويّة من حيث مخارجها وكيفيّة إخراجها وخواصّها الأكوستيكيّة، كموجات صوتيّة، وكيف يتمّ سماعها وإدراكها.

هذا ، **ولقد تنوّعت فروع الصّوتيّات** بتنوّع زوايا الاهتمام بالصّوت الإنسانيّ ، فانقسمت إلى أضرب ثلاثة :

1– **علم الأصوات الفيزيولوجيّ – النّطقي** – : يبحث في المخارج الّتي يصدر عنها الصّوت ، وكيفيّة إنتاجها إيّاه ، و هو بذلك يركّز على المرسل .

2– **علم الأصوات الفيزيائيّ – الأكوستيكيّ** – : و يدرس الموجات و الذّبذبات المكوّنة للصّوت عند انتقاله عبر الهواء ، والاهتزازت الّتي تشكّله ، وتكون الرّسالة هي محلّ البحث في هذا التّخصّص

3– **علم الأصوات السّمعيّ** : و ينصب اهتمامه حول المتلقّي ، أي : كيفيّة استقبال أذن السّامع للأصوات المتقصدة من قبل المرسل ، حيث يهتمّ بالشّقّ المتعلّق بتأثيراتها – الأصوات – على السّامع وكيفيّة فهمه و تفاعله معها .

07– مفهوم الأداء عند علماء القراءات : التّجويد وعلم التجويد

التّجويد : أ – لغة: لا نكاد نجد فرقا بين معاني " جود " في المعاجم اللغوية ، فجميعها متّفقة حول دلالات الحسن و الإتقان ، قال (ابن منظور) :«**جاد الشّيء جوده وجـودة، أي: صار جيّدا، وأجدت الشيء فجاد، والتجويد: مثله...وأجاد: أتى بالجيد من القول أو الفعل**»[1] فالجودة مرتبطة بمشتقات (ج، و، د) والتجويد إتيانها إن في قول أو عمل.

ب– اصطلاحا: عرّفه (ابن الجزريّ) أنّه : « **حلية التّلاوة وزينة القراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها ومراتبها، وردّ الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره، وإشباع لفظه وتلطيف النّطق به**

[1] – ابن منظور : لسان العرب ، ج : 03 ، ص : 135.

على حال صيغته، وكمال هيئته، من غير إسراف ولا تعسّف ولا إفراط ولا تكلّف»[1] ولا ينأى عن هذا التعريف تعريف واحد من علماء القراءات المعاصرين أمثال (الغوثانيّ)حيث يقدمه بكونه علما

« **يعرف به إعطاء كل حرف حقه ومستحقه مخرجا وصفة، وقفا وابتداء، من غير تكلف ولا تعسف، طبقا لما تلقاه المسلمون عن رسول الله– صلّى الله عليه وسلم–** »[2] حيث أنّ الاهتمام بين الرّأيين جليّ في التركيز على أهمّية مخارج الأصوات – الحروف– وسلامة النّطق واحترام الوقف في مواضعه، وقراءة القرآن وفق ما ورد عن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– ، بغية « **إحكام حروف القرآن و إتقان النّطق بكلماته و بلوغ الغاية في تحسين ألفاظه و الإتيان بها في أفصح منطق و أعذب تعبير**» [3].

وحيث أنّ البحث يطرق اثنين من أحكام التّجويد مرتبطين بالآي الكريم في محاولة فهم جديد ينتقل إلى:

08– التّفسير والتّأويل:

08 – 1 – التّفسير: أ– **لغة:** في مادّة (ف س ر) ذكر صاحب "اللّسان" « **الفسر: البيان، وفسّر الشيء يفسّره– بالكسر ويفُسُره– بالضّمّ فسرا، وفسّره أبانه والتفسير مثله: ثمّ قال: الفسر كشف المغطّى والتّفسير كشف المراد عن اللّفظ بالشّكل**». [4]

كما أشار إلى هذا المعنى (ابن كثير) بقوله عند تفسير قوله – تعالى– : ﴿ **وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا** ﴿٣٣﴾﴾ **الفرقان: 33**، « **أي : ولا يقولون قولا يعارضون به الحقّ**

---

[1] – ابن الجزريّ : التّمهيد في علم التّجويد ، تحقيق :عليّ حسين البوّاب ، مكتبة المعارف ، ط :01 ، المملكة العربيّة السّعوديّة ،ص :47.

[2] – يحي عبد الرّزّاق الغوثانيّ :علم التّجويد ، – أحكام نظريّة و ملاحظات تطبيقيّة – ، دار الوعي ، ط : 01 ، 2009 ، الجزائر ، ص :13.

[3] – محمود خليل الحصريّ : أحكام قراءة القرآن ، المكتبة المكّيّة و دار البشائر الإسلاميّة ،ط : 04 ، المملكة العربيّة السّعوديّة ، ص :17.

[4] – ابن منظور : لسان العرب ، ج : 06 ، ص :361.

إلاّ أجبنا لهم بما هو الحقّ في نفس الأمر، وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم». [1] ، و عليه ، فإنّ إزالة الإبهام و الإيضاح متّصلة بمعاني التّفسير عند اللّغويّين.

أمّا: **ب – اصطلاحا:** فهو:« **علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية»**[2] ، وفي هذا دليل على رجوع المفسّر وحاجته إلى أقوال السّلف لمعرفتهم بالنّصّ القرآنيّ من حيث لغته وأسباب نزوله وغير ذلك من متعلّقاته .

وهكذا يشترك التعريفان اللّغوي والاصطلاحي في بيان معنى التفسير، كونه عملية شرح كتاب الله تعالى لمعرفة مراده فيه، بما يستطيعه البشر من فهم.

08 – 2– التّأويل: أ – لغة : تجمع المعاجم العربيّة على معنى الأوْل:

الرّجوع، من ذلك ما ورد في "لسان العرب ": « **الأوْل : الرجوع، آل الشيء يؤول أوْلا ومآلا: رجع، وأول الشيء رجعه، أُلت عن الشيء: ارتددت ..: ثم قال: وأوّل الكتاب وتأوّله: تدبّره وقدّره، وأوّله وتأوّله: فسّره»**[3] وبذلك يكون التأويل في اللّغة الرجوع بالكلام وردّه إلى معناه الممكن.

ب – اصطلاحا: هو:« **صرف اللّفظ عن المعنى الرّاجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو التّأويل الّذي يتكلّمون عليه في اصطلاح أصول الفقه ومسائل الخلاف».** [4] فالعمل على الوصول إلى معنى النّصّ وفق الاجتهاد الخاصّ يندرج ضمن التّأويل ، فإذا اقترن بالنّصّ القرآنيّ كان تفسيرا بالرّأي « **و هو يقابل التّأويل فالتّفسير يعتمد على النقل أمّا التّأويل يعتمد على التّدبّر و الاجتهاد »** [5].

---

[1] – ابن كثير تفسير القرآن العظيم ، مؤسّسة الرّسالة للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، ط : 01 ، 2001 ، لبنان ، ص : 953.

[2] – محمّد عبد العظيم الزّرقانيّ :مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار الكتب العلميّة ،ط : 01 ، 1988 ، لبنان ، ص : 04 من المبحث الثّاني عشر.

[3] – ابن منظور : لسان العرب ، ج : 11 ، ص : 32.

[4] – محمّد حسين الذّهبيّ : التّفسير و المفسّرون ، مكتبة وهبة ، ط : 07 ، 2000 ، مصر ، ص : 15.

[5] – أحمد عرابيّ : أثر التّخريجات الدّلاليّة في فقه الخطاب القرآنيّ ، ديوان المطبوعات الجامعيّة ، ط : 01 ، 2010 ، الجزائر ، ص : 18.

ممّا سبق تُلاحظ العلاقة التّبادليّة بين التّفسير والتّأويل عبر دائرة المعنى، فكلاهما يسعى إلى الظّفر به من خلال لغة النّصّ .

لقد استقطب الأداء اللّسانيّ للقرآن الكريم ، ألباب علماء القراءات من وجوه عدّة ، فلم يكن همّهم الأوحد رصد أوجه القراءات الّتي أقرّها النّبيّ – ﷺ– و ثبت سندها و معرفة خصائصها فحسب ،

و إنّما اهتمّوا أيضا بالأداء الشّفهيّ لكلّ منها على حدة Variantes de reproduction ، بدليل تعرّضهم إلى المسائل الصّوتية و كيفيّة نطق الحروف ،و إشاراتهم إلى ارتباط الرّسم العثمانيّ برموز ذات دلالات صوتيّة خاصّة ، أطلقوا عليها مصطلح " النّقط " ، و ممّن ألّف فيه "أبو عمرو الدّانيّ " كتابه " المحكم في نقط مصاحف الأمصار ".

و أكثر من ذلك ، فإنّ علماء التّجويد – للأهمّيّة الّتي أولوها للأداء القرآنيّ – جعلوا اللّحن في القرآن ضربين :

-**أحدهما : اللّحن الظّاهر** : المتعلّق بالكلمة مفردة و متضامّة مع غيرها .
– **ثانيها : اللّحن الخفيّ** : الّذي لا يكتشفه إلّا ذوو الاختصاص .

يقول (ابن الجزريّ) : « **و الصّحيح أنّ اللّحن فيهما خلل يطـرأ على الألفاظ فيخلّ ، إلّا أنّ الجليّ يخلّ إخلالا ظاهرا يشترك في معرفته علماء القراءة وغيرهم ، وأنّ الخفيّ يخلّ إخلالا يختصّ بمعرفته علمــاء القراءة و أئمّـة الأداء الّذين ترتضى تلاوتهم و يوثق بعربيّتهم** » [1] ، و في هذا منهج اجتهاد منه – رحمه الله – كغيره من علماء اللّغة والقراءات ، الّذين سخّروا جهودهم ، و درّبوا حواسّهم ، واستعملوا الوسائل الّتي أتاحها لهم عصرهم لدراسة الجهاز الصّوتيّ البشريّ ، حفاظا على القرآن متلوًّا على النّحو الّذي أنزل عليه ،لضرورة العناية بالجوانب الثّلاثة للقرآن :

أ – كيفيّة الأداء الصّحيح ، حفاظا على الدّلالة ، وتمثّل في نقط أواخر الكلمات .
ب – كيفيّة تحقيق الأصوات و تمييز بعضها عن بعض ، وظهر ذلك في إعجام الصّوامت .

[1] – ابن الجزريّ : طيّبة النّشر في القراءات العشر ، تحقيق : محمّد تميم الزّعبي ، مكتبة دار الهدى ،ط :02 ، المدينة المنوّرة ، المملكة العربيّة السّعوديّة ، ج : 01 ، ص : 215.

جـ – الاهتمام بحسن الأداء و تجويده.

مقتربين غاية الاقتراب من طرق البحث الصّوتي المعاصر ، و من هنا تتبيّن الأهميّة الصّوتيّة لمباحث الأداء القرآنيّ المرتبطة ارتباطا وثيقا بعلم التّجويد ، لنأيها بالقارئ عن اللّحن في كتاب الله – تعالى – ، و تيسيرا للسّامع حسن الفهم ، والتّلذّذ بالذّكر الحكيم .

و لا تزال الجهود الصّوتيّة للباحثين العرب في هذا المجال مدينة لتلك القامات ، بما أسّستـه و بما أفردتـــه من أبواب للتّجويـد القرآنـيّ إلى يومنـا هــذا .

09 – الدّلالة وعلم الدّلالة

أ – **لغة** : جاء في مادّة (دلّل) من "اللّسان " : **«.. و دلّ فلان إذا هدى ، و دلّه على الشّيء يدلّه دلّا و دلالة فاندلّ : سدّه إليه ، و دلّلته فاندلّ ، ودلّلت بهذا الطّريق:**

عرّفته ، و دلّلت به أدلّ دلالة ، وأدللت بالطرق إدلالا ،.. والاسم : الدّلالة والدِّلالة »[1] فالرّشد والسّداد إلى الوجهة أبعاد كلمة " دلالة " لغويّا .

ب – **اصطلاحا : علم الدّلالة Semantique** :هو إحدى الدّراسات اللّغوية الحديثة الّتي نشأت مع موجة البحوث اللّغويّة المواكبة للعصر ، شهد هذا العلم إرهاصاته الأولى تحديدا على يد العالم اللّغويّ (ماكس ميللر Max Muller في كتابَيـه " العلم واللّغة " ثمّ " العلم و الفكر " و من بعده اللّغويّ الفرنسيّ M.Breal ، في مقالته Essai de semantique عام 1897، في حين يعتبر ستيفن أولمان S.Ullmann المؤسّس العقليّ لعلم الدّلالة، لاهتمامه « **بدراسة المعنى، في مؤلّفات خصّصها بأكملها لدراسته، فثمّة كتابان يحملان عنوانا صريحا بالمصطلح الّذي شاع فيما بعد بعلم الدّلالة الأوّل وهو: الدّلالة، والثّاني: أسّس علم الدّلالة إلى جانب مؤلّف ثالث لا يقلّ أهمّيّة عن الكتابين السّالفين بعنوان Words and Ther use** »[2] وبذلك أخذت البحوث الدّلاليّة

---

[1] – ابن منظور : لسان العرب ، ج : 02 ، ص :44.

[2] – حسام البهنساويّ : علم الدّلالة (النّظريّة الحديثة) ، مكتبة زهراء الشّرق ، ط : 01 ، 2009 ، مصر ، ص :26.

تغوص في دراسة المعنى، ومعنى المعنى، واجتهد فيها لغويون أمثال ريتشارد و أوجدن Richards, Ogden، وفيرثFirth وغيرهم كثير.

10– القـرآن و المرأة : لـم يكـن اختيار الخطـاب القرآنـيّ المتعلّـق بالمـرأة باعتبـاره أنموذجـا للمقاربـة قـيد البحث من باب الدّفـاع عنها ، و لا مـن قبيل غمـط الرّجل حقّه الّـذي كتبـه الله لــه ، إنّمـا هـو طرْق لبعض ملامح الجمال الصّوتيّ المتّصل بالنّصوص المنعكس فيهـا أحـد

مظاهــر جمــال خلـق الله ،، و هو " المرأة " الّتي منحها ذو الجلال و الإكــرام جميع حقوقها ممّـا تعرفـه أو لا تعرفه ، و اعتنى و حرّرها من ظلم الجاهليّـة ، وإنّ واحــدة مــن السّور الطّـوال فـي كتابـه الخالـد اسمهـا " سورة النّساء " ، كما بيّن القـرآن الكريـم عديـد أحوالهـا عبر الأزمــان ، قصصا تسرد ، و أمثالا تضرب ، و حبّر الآيات المنوطـة بهــا بألــوان الوقـوف ، و بديع الفواصل ، حتّى يكتمل جمال النّموذج بجمال الإلقــاء ، إمّـا متكلّمــا عنهـا ، أو إليهـا ، أو علـى لسانهـا ، قــاصّـا فصــلا مــن فصــول قصصهـا ، متحدّثـا عـن وضعهــا مــع نفسهــا ، أو مــع الله ، أو مع ذويها ، و سواء أكانت مؤمنـة أم كافــرة ، ملِكــة أم مــن عامّــة النّــاس ، ذات كرامـة و ولايـة مـن الله ، أم غـير ذلك مــن الأحــوال...

يفعــل القــرآن ذلك كلّه بفنّيّــة عارمــة ، يتـواشج فيهـا الصّـوت و المعنــى ، ممّــا يسعى البحث إلــى اغتــراف بعض مــن فيوضاتــه النّديّــة الدّلالــة.

11 – الصّوت القرآنيّ بين الدّلالة والجماليّة : نــال الصّوت القرآنــيّ اهتمام علماء أفذاذ ، تنوّعت عصورهم ، و انبترت هممهـم خدمـة لكتـاب الله –جـلّ فـي عـلاه – بين آخذ بأسبـاب الدّفـاع عن إعجازه ، و آخر مستلهم للقواعد و الضّوابط الّتي تقوم عليها اللّغـة العربيّــة مـن سطـوره أو آخذ بدلائـــل التّأثــير و الفنّيّـة من أساليبـه السّماويّة ؛ و أمــام هـذا الدّفـق مـن كنـوز القـرآن الكريـم ، يـأخذ علـم الجمـال نصيبـا من البـحوث و الدّراسات المتشبّـثة بتـلابيب الكتـاب المعجــزة ، الّـذي فتــن الجاهليّين فأسلموا ، و نال بأذواقهم فأذعنوا للذّكــر ، لجمـال النّظـم و جمال القراءات ، و أحـدثُ جمال ، جمال الصّوت الّذي استقطب المختصّيـن فـي الدّراسات اللّسانيّـة و الصّوتيّـة ، ذات العناية بمدى سيطرة صفات الأصوات / الفونيمــات (قـوّة و ضعفـا و جهـرا و همســا ، تفخيمــا و ترقيقا ، انفجارا و احتكاكا ..إلخ)إلى جـانب قــدرة الفونيمات فـوق التّركيبيّة و تأثيرهـا (نبـرا وغنّـة ، و تنغيما ، و قفا و وصلا) في النّصّ القرآنيّ ، لعلّ ذلك يكون سبيلا

إلى معرفـة كيفيّة تـأثير القـرآن فـي المشركين ، فمنهم مـن أسلـم – كما ذكر آنفا – ، و منهم من أثـار القـرآنُ حفيظتهـم « **و جعلهـــم يفكّـــرون بالوسائـــل الّتـــي يمكـن بواسطتهـــا التّخفـيف من اثر المعجزة القرآنيّـــة ، فاتّفـــقوا على أن لا يسمعـــوا للـــقرآن ، و لا يمكّنـــوا أحـــدا من سماعه ، خشية أن يتأثّروا بإعجـــازه ، و يستجيبـــوا لهديـــه ، كمـــا اتّفقوا على أن يلغـوا في القرآن إذا قرأه رسول الله – ﷺ –حتّـــى يشـــوّهوا – فيمـا يزعـــمون – جمالـــه ، و يذهبوا**

برونقه ، و يشوّشوا على النّاس لمنعهم من الإنصات لـــــه، قال تعالى :﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ فصّلت: 26 »[1] و مـــا كانت الغلبة و لن تكون ،، إلاّ لجمـال القرآن الّـذي استرعت أصواتـــه البـاب الجاهليّين و مَن بعدَهـم إلـى يومنـا هـذا ، تماما كما هو شـأن هـذا البحث الحقـير بين يديـه ، المتسوّل بعضا من أنوار دلالاتـه..

و الله المستعان و عليـــه التّكـــلان .

[1] – خالد محمّد القضاة : الإعجاز التّأثيريّ للقرآن الكريم ، مقال مقدّم إلى المؤتمر السّبع لإعجاز القرآن الكريم جامعة الزّرقاء الأهليّة ، 2005 ، ص :26.

الفصل الأوّل

من الجماليّات البلاغيّة و النّغميّة للوقف في خطاب القرآن المنوط بالمرأة

تَوطئة : الوقف الجائز : تعريفا و أنواعا

المبحث الأوّل : من بلاغة الوقف الجائز فى خطاب القرآن المنوط بالمرأة

المبحث الثّانى : من جماليّات النّغم بالوقف على الفاصلة القرآنيّ فى خطاب القرآن المنوط بالمرأة

قبل تمام الوقف .

1- توطئة : الوقف الجائز : أنواعا و تعريفا.

نالت ظاهرة الوقف قدرا كبيرا من اهتمام العلماء ، ولكن لا مناص من وقفة عند تعريفه لدى كلّ من القدماء و المحدثين فهو :

1- **1- الوقف : أ- لغة :** قال صاحب اللّسان "في باب وقف" : « **وقفت أي سكتّ ، وكلّ شيء تمسك عنه ، تقول: وقف** »[1]، فالإمساك عن إصدار الصّوت إيقاف للعمليّة النّطقيّة.

ب- اصطلاحا : هو باب قرآئيّ تعرّض له الكثير من أئمة القراءات القرآنيّة، قال عنه (الزّركشيّ ت :794هـ) بأنّه: «**فنّ جليل، وبه تعرف كيفيّة أداء القرآن، إذ يترتّب عليه فوائد كثيرة، واستنباطات غزيرة، وبه تتبيّن معاني الآيات، ويؤمن الاحتراز من الوقوع في المشكلات**»[2]، في حين يعود السّيوطيّ في "الإتقان" إلى كلام(النّكزاويّ. ت: 683) الّذي وصفه قائلا: «**باب الوقف عظيم القدر، جليل الخطر، لأنه لا يتأتّى لأحد معرفة معاني القرآن، ولاستنباط الأدلّة الشرعيّة منه إلّا بمعرفة الفواصل**»[3] ، أمّا هو- السّيوطيّ- فيتّجه -أثناء تعرّضه لمفهوم الوقف- اتّجاها فونولوجيّا- وفق المفهوم المعاصر- مشيرا إلى أنّه: «**عبارة عن قطع الصّوت عن الكلمة زمنا يتنفّس فيه عادة بنيّة استئناف القراءة، لا بنيّة الإعراض، ويكون في رؤوس الآي، وأوساطها، ولا يأتي في وسط الكلمة ولا فيما اتّصل رسما.**»[4].

وبينما ركّز كلّ من (الزّركشيّ) و (النّكزاويّ) على تناول "الوقف" من حيث أهمّيته في تجلية المعاني والإبانة عن أغراض الكلام، يكاد يكون تعريف (السّيوطيّ) أصواتيّا وظيفيّا: «**عبارة عن قطع الصّوت عن الكلمة زمنا يتنفّس فيه عادة» ، فليس من الطّبيعيّ استمرار الإنسان في إصدار السّلسلة الكلامية – عادة- دون أن يتخللها سكت أو وقف بين جملة وأخرى، وذلك مرتبط « بنيّة استئناف القراءة لا بنيّة الإعراض**»؛ فذلك – الإعراض عن استئنافها- دليل

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب المحيط، تق: عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب (د-ط) ، بيروت (د.- ت - .ن)، ج:03، ص:969.

[2] -بدر الدّين محمّد بن عبد الله الزّركشيّ: البرهان في علوم القرآن، تحقيق : أبو الفضل الدّمياطيّ ، دار الحديث ، ط:01 ، 2006 ، مصر، ج:01 ، ص :339.

[3] – السّيوطي: الإتقان في علوم القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف ، ط:01 ، (د – س- ن) ، المملكة العربيّة السّعوديّة ،ص: 541 .

[4] – المصدر والجزء ذاتهما، ص: 175.

تتمّـة الكـلام، أمّا الاستئناف فلـه مواضعــه فــي القـرآن الكريـم « **ويكـون في رؤوس الآي وأوساطها، ولا يأتي في وسط الكلمة، ولا فيما اتّصل رسما**».

غير بعيد عن هؤلاء، وعلى نحو جامع بين مذاهبهم في تعريف "الوقف" نجد (ابن الجزريّ: ت: 833هـ) يعلّل أنّه: « **لمّا لم يكن للقارئ أن يقرأ السّورة أو القصّة في نفَس واحد، ولم يجر التّنفّس بين كلمتين حال الوصل، بل ذلك كالتّنفّس في أثناء الكلمة، وجب حينئذ اختيار وقف للتّنفّس والاستراحة، وتعيّن ارتضاء ابتداء بعده، ويتحتّـم ألّا يكون ذلك ممّـا يخلّ بالفهم، إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد**»[1]، فقد ذكر حاجة القارئ إلى الوقف أثناء قراءة القرآن الكريم ، بما يتناسب و قدرة الإنسان على ادّخار النّفس ، و مدى محافظته على معنى ما يقرأ.

و أمّا في البحوث الصّوتيّة المعاصرة ، فيقصد بـ" الوقف" : « **السّكت على آخر الكلام قبل الابتداء بكلام جديد، إنّه: الحدّ الفاصل نطقا بين الجملة والجملة، حدّ يُحدث بحدوثه آثاراً لغويّة لا يعرفها الإدراج** » [2]، وهو الآخر يمثّل سبيلاً تحصل به فوائد جمّة « **وتكون الوقفات عادة عند تمام الكلام من حيث المعنى، وذلك يتحقّق في الجمل المكوّنة من العناصر اللّغويّة الموافقة للموقف المعيّن، فقد يكون الوقف على نغمة هابطة، ويكون ذلك مرتبطاً بالمعنى [...] و المعنى مرتبط بمواقف لا تقع تحت حصر** » [3]سوى شرط استيفاء المعنى.

ولأنّ البحث يتناول الوقف القرآنيّ من خلال رواية (حفص عن عاصم بن أبي النّجود) فمن مقتضياته، ذكر :

جـ – علاماته في المصحف العثمانيّ وهي*:

---

[1] –ابن الجزريّ: طيّبة النّشر في القراءات العشر ، ج:01 ، ص: 224– 225.

[2] – خالد قاسم بني دومي: دلالات الظّاهرة الصّوتيّة في القرآن الكريم، جدار الكتاب العالميّ وعالم الكتب الحديث، ط: 1، الأردن، 2006م، ص: 94.

[3] – حسام البهنساويّ، علم الأصوات، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، ط: 1، القاهرة، 2004م، ص: 170–171.

*– جميع ما يُذكر من علامات الوقف المصحفيّة، من كتاب، أحمد بن محمّد الطّويل: فنّ التّرتيل و علومه، مجمع الملك فهد للبحوث و الدّراسات الإسلاميّة ، ط : 01 ، 1999 ، المدينة المنوّرة ، المملكة العربيّة السّعوديّة ، ص: 928.

1- مـ: وضع الميم الصّغيرة الأفقيّة فوق الكلمة ، دلالة على وقف البيان، لأنّ الوصل فيه يفسد المعنى أو يغيّره، وهذا ما يُسمّى بالوقف اللاّزم ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الأنعام : 36.

2- لا : علامة الوقف غير الجازم_ الممنوع _ وهو الوقف القبيح المستهجن مثل الوقف على ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا ﴾ النّحل:38، و البدء بما بعدها ﴿ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ ﴾ النّحل: 38.

3- قلى: للوقف التّامّ، حيث يكون الوقف أولى من الوصل، ولا توضع في نهاية الآيات ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ الصّافّات :137-138 .

4- ج : للوقف الكافي وهو: ما كان فيه الوصل أو الوقف كلاهما جائزاً ومستوي الطّرفين ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ ﴾طه:99

5- صلى : للوقف الحسن وهو: ما كان الوصل فيه أولى من جوازات الوقف، وذلك في غير رؤوس الآي، لأن الوقف عليها سنّة ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ الأنعام: 162-163.

6- ∴ ∴ : لوقف التّعانق، وهو: ما كان الوقف على أحد الموضعين فيه يُغني عن الآخر، وهو عبارة عن ثلاث نقط على هيئة مثلّث تكتب مرّتين على كلمتين متواليتين مثل﴿ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾ الأعراف: 172، فـإذا وقفت علـى "بلى" لا تقف على " شهدنـا" و العكس صحيح.

7- ۞ الدّائرة المحلّاة: للوقف على الفاصلة القرآنيّة، ويشترط فيها تمام المعنى وحسن الدّلالة ، وهي علامة رؤوس الآي، في وسطها رقم، تدلّ على انتهاء الآية، وبرقمها على عدد تلك الآية في السّورة ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١ ﴾ الفاتحة : 1 .

و للإشارة، فإنّ النّصوص القرآنية الماثلة بين يدي البحث، لا تقترب من جميع أنواع الوقف، ولكنها تتّصل ببعضها في مدارات دلاليّة معيّنة، في حين استقلّت الفاصلة القرآنيّة بمبحث خاص، و يقترب المبحث الأوّل من هذه الرّموز الدّالّة على الوقف في القرآن الكريم.

د- مواضعه في القرآن الكريم :

_ متى يصحّ الوقف أثناء التّلاوة ؟ ألِمجرد وجود العلامات المذكورة آنفاً ؟ أم أنّ هناك أساسا آخر يوقف على اعتباره ؟

ليس هناك تحديد لمواضع الوقف عدديّاً، كأن يحسب الكلمات إلى غاية رقم معيّن ثمّ يوقف عنده، ولا يكون أيضا لمجّرد رسم علامة وقف بعينها« **ولكنّ القاعدة الثّابتة التي تقول شرط الوقف تمام الكلام مع صحّته لغويّا يكون الاعتماد عليها في تحديد مواضع الوقف**»[1] ، ومنه فإنّ تمام المعنى و اكتمال الدّلالة شرط أكيد في صحّة الوقف على كلمة دون أخرى، بل « **الكلام إذا كان متعلّقاً بما بعده فلا يوقف عليه، وإن لم يكن كذلك فالمختار الوقوف عليه**»[2] بفنّيّة قرائيّة وإنعام نظر في كلّ آية وكلمة، يكون القارئ بصدد الوقف عليها، والمجوّد _ خاصّة _ ملزم بمعرفة « **مادّة "الوقف" وأن يُحسن كيف ينتهي، ثمّ كيف يبتدئ بعد ذلك.** »[3].

وفي إجابة بلاغيّة عن السّؤال المطروح ، تنتصب البلاغة بأعلامها ممّن نوّهوا بأنّه ما من بليغ استهلّ كلامه ثمّ أنهاه دون أن يتوقّف عند جملة أو معنى تامّ من معاني خطبة أو شعر أو مقامة وذلك باحترامهم مبدأ "الفصل والوصل" الّذي سيتكرّر في ثنايا هذه المرحلة.

قد لا يصحّ إيراد رأي بلاغيّ في باب" الفصل والوصل " قبل العودة إلى ما ذكره صاحب "البيان و التّبيين" في سياق تعريفه البلاغة، حيث « **قيل للفارسيّ: ما البلاغة ؟ قال: معرفة الفصل والوصل** »[4] ، فكأنّ البلاغة شهادة لا تمنح لمتترّس إلاّ إذا أتقن مواضع "الوقف " – الفصل – و ميّزها

---

[1] – حسام البهنساويّ، علم الأصوات، ص: 171.

[2] – محمّد حسين علي الصّغير: الصّوت اللّغويّ في القرآن، ص:106.

[3] –خالد قاسم بني دومي :دلالات الظّاهرة الصّوتيّة في القرآن الكريم ، ص: 89.

[4] – عمرو بن بحر الجاحظ : البيان و التّبيين ، تحقيق : حسن السّندوبيّ ، دار الفكر (د– ط) ، (د – ت–ن)، بيروت ، ج: 1 ، ص :111.

* – يشرح "العسكري" "المعقود" بقوله :" المعقود هو: أنّك إذا ابتدأت في مخاطبة ثمّ لم تنته إلى مواضع التخلّص ...، عقدت عليه كلامك سمّي هذا الكلام معقودا وإذا شرحت المستور وأبنت عن الغرض المنزوع إليه سمّي الكلام محلولا"، ينظر أبو هلال العسكريّ: الصّناعتين، تحقيق : عليّ محمّد البجاويّ و محمّد أبو الفضل إبراهيم، طبعة الحلبيّ، 1971، ص: 500.

عن مواضع " الوصل " و هذا على سبيل المبالغة و التّأكيد على أهمّيّة معرفة أصول هذا الباب من أبواب علم البلاغة ، و ليس دليلا على قصر البلاغة شهادة لا تمنح إلاّ لمتمرّس إذا أتقن مواضع " الوقف " _"الفصل"_ وميّزها عن مواضع _" الوصل"_ وهذا على سبيل المبالغة و التّأكيد على أهميّة معرفة أصول هذا الباب من أبواب علم البلاغة، وليس دليلاً على قصر البلاغة في هذا المفهوم إنّما ذلك سنّة العرب حين تُشدّد على أمر.

ولم يكن الاهتمام بالوصل والفصل من نصيب أئمّة البلاغة فحسب، بدليل ما ذكر " العسكريّ " في كتابه أن « **قال المأمون : ما أتفحّص من رجل شيئاً كتفحّصي عن الفصل و الوصل في كتابه [...] فإنّ لكلّ شيء جمالاً، و حلية الكتاب و جماله إيقاع الفصل و الفصل موقعه، وشحذ الفكرة وإجالتها في لطف التّخلّص من المعقود إلى المحلول*** » [1].

فهذا حسُّ خليفة قادته سليقته العربيّة والبلاغة التي تشرّبها إلى معرفة مواطن " الجمال " في الكتب و الرّسائل، معتبراً " الوقف " أو " الفصل و الوصل " علامة عليها، ثمّ يؤكّد (الجرجانيّ) أهمّيّة " الفصل والفصل" الّذي يرى أنّ المعاني لا سبيل إلى استيضاحها و الوصول إلى مراميها، ما لم تتبيّن مواطن العطف بين الجمل أو نثرها عن بعض، أي: « **ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة ، تستأنف الواحدة منها بعد الأخرى**»[2] .

و بالنّظر إلى آراء البلاغيّين نجد أنّ مدار " الفصل و الوصل " لم يكن نحويّا إلاّ بقدر ما يحفظ به النحو معاني الكلام و يعرب به عن مكنوناته، وهو ما يرمي إليه (الجرجانيّ) عن كلامه إذ الفصل والوصل عنده « **ليس عطف جملة على جملة ، وإنّما هو وصل معنى بمعنى لاعتبارات جماليّة ، ففصل معنى عن آخر، ووصل معنى بآخر يحتاج إلى " أقوام ذوي ذوق هم به أفراد"، ويحتاج إلى تأمل و نظر، لذا نراه في تحليله الجماليّ يستند إلى معرفة " الجاري في العرف و العادة " وإلى ما يحرّك السّامعين لأن يعملوا...**»[3]، وبذلك تتحقّق معالم جمال الكلام الّذي ما هو

[1] – أبو هلال العسكريّ: الصّناعتين، ص: 500.

[2] – عبد القاهر الجرجانيّ: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، دار المدنيّ ، ط7 ، القاهرة، 1984، ص: 222.

[3] – منير سلطان: الفصل والوصل في القرآن الكريم، دراسة في الأسلوب ، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط: 9 ، 1997، ص: 27.

إلاّ سلسلــة أصـوات، لا بـدّ أن توصل ببعضهـا للدّلالـة على حاجات المتكلّمين، و بالضّرورة يتمّ قطعها عند تمام المعنى المراد بها.

باعتماد ما جاء في علميْ " القراءات" و " البلاغة" تتجلّى ببعض أهمّيّة الوقف و معرفة مواضع الفصل باحترام السّكت أو تجنّبه بإتيان الوصل أثناء القراءة، أو تجنّبه بإتيان الوصل أثناء القراءة أو كتابة النّصوص العربيّة، وإذا كان الأمر على هذا القدر من الأهمّيّة، فإنّ ارتباطه "بالتّنزيل" يُلبسه رداء التّجلّة أكثر لحكمة إعجازيّةٌ تقصر الأفهام عنها، وأخرى إنجازيّة يسعى البحث – بتواضعه و صغاره أمامها– في مرحلته الحاليّة إلى تتبّع أطراف من أشعّتها ممّا ستتكشّف عنه المقاربة من خلال النّماذج القرآنيّة المختارة، التي يبرزها الجدول أدناه ، مع الإشارة إلى عدم احتوائه الشواهد ، لتعدد الدلالات المرتبطة بالوقوف المتنوّعة في الآيات الكريمة.

الرّقم	السّورة	الآية
01	البقرة	230
02	آل عمران	35- 36
03	النّمل	44
04	القصص	07
		23
05	الأحزاب	32

جدول (01) : متعلّق بالآيات الشّواهد في المبحث الأوّل.

المبحث الأوّل

من بلاغة الوقف الجائز في خطاب القرآن المنوط بالمرأة

01 – من جماليّات شبه كمال الانقطاع في آيات الأحكام (قلى)

المرأة المطلّقة العائدة إلى زوجا الأوّل

02 – من جماليّات التّوسّط بين الكمالين في قصص القرآن (صلى).

أ - نذر امرأة عمران

ب – المرأة المبتلاة في رضيعها

03 –من جماليّات تنوّع وجوه الانقطاع في القصص القرآنيّ (ج +قلى) / (ج +صلى)

أ – المرأة الملكة بين يدي النّبيّ الملك

ب – المرأة العاملة الحييّة

04 – من جماليّات وقف التّعانق / التّجاذب في خطاب اللّه – تعالى – نساء نبيّه -

التّقوى مناط شرف نسبة نساء النّبيّ إليه

02- من بلاغة الوقف الجائز في خطاب القرآن المنوط بالمرأة.

02- 01- من جماليّات شبه كمال الانقطاع في آيات الأحكام (قلى) :
المرأة المطلّقة العائدة إلى زوجها الأوّل .

قال تعالى: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ٢٣٠ ﴾ البقرة: 230.

كثيرة هي النّداءات المتعالية من بعض نساء أيّامنا هذه، والمطالبة بحقوق المرأة على نحو آخر، وأكثر ما تكون في موضوع المرأة المطلّقة وحقوقها،، إنّ الآية – أعلاه- بند ضمن دستور مستقلّ خصّه الشّارع الحكيم بالمرأة المسلمة الّتي وقع عليها الطّلاق من قبل زوجها مرّتين،، و من علامات الوقف الوارد فيها " قلى" الدّالّة على أولويّة الفصل في القراءة بين الأجزاء الثّابتة فيها، ممّا يعني أنّ هناك قطعًا بين تمفصلات معيّنة من التّركيب القرآنيّ لمعانٍ خاصّة،، في حين نجد البلاغة العربيّة تذكر هذه الدّلالة تحت مفهوم:

- **الفصل لعدم إرادة تقييد الجملة الثّانية بقيد الأولى:**

وهو وضع يكون فيه الحفاظ على صحّة المعنى رهن الوقف المناسب، إذ « **هناك بعض الحالات تتحقّق فيها بين الجملتين مناسِبة ومغايرة، إلّا أنّ الأولى قد يكون لها قيد لا يقصد تشريك الثّانيّة فيه**»[1]، فيتحتّم منع الوصل بينهما لجلاء المقصود من الجملتين المنفصلتين.

أمّا علاقة العلامة " قلى " بمواضعها في النّموذج المختار، فتتكشّف بعد قراءة السّياق القرآنيّ، المتكلّم عن المرأة المطلّقة طلقة ثانية، «**﴿فَإِن طَلَّقَهَا ﴾** يعني الطلقة الثّالثة **﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ ﴾ أي:** من بعد الطّلقة الثّالثّة **﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ ﴾**»[2]؛ وهنا تحضر العلامة " قلى " الّتي تشير إلى ضرورة الوقف ، إذ يكون الفضل والسّكت على " **غيره** " أولى

[1] – أحمد عبد المنعم البهيّ: دراسات في الأدب والنّقد والبلاغة، مطابع النّاشر العربيّ، (د.ط)، القاهرة، 1959، ص: 142.

[2] – أبو محمّد الحسين بن مسعود البغويّ: معالم التّنزيل، حقّقه وخرّج أحاديثه: محمّد عبد الله النّمر- عثمان جمعة ضميريّة- سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنّشر والتّوزيع، ط: 04، 1997، ج: 01، ص: 273.

من وصلها بما بعدها، وكأنّ هذا الفعل المتكرّر من الرّجل بتطليقه امرأته لداع ولغير داعٍ، لم يعد له رادع إلّا تحريم امرأته عليه دون رجعة، فإن عاد إليها يكون قد تجاوز حدًّا من حدود الله تعالى،، وقارف مالا يحلّ له،، بدخولها في دائرة النّساء الأجنبيّات بالنّسبة إليه.

إنّ الإسلام يمنع تلاعب الرّجل بالعصمة الزّوجيّة وعبثه بها، بل هو « **يحترم المرأة ويحترم العلاقة الزّوجيّة، ويرفعها إلى درجة العبادة لله،، إنّما تكون عقوبته أن يحرمه زوجه الّتي عبث بحرمة علاقتها معه، وأن نكلّفه مهرًا وعقدًا جديدين، إن تركها تبين منه في الطّلقتين الأوليين، وأن نحرّمها عليه في الطّلقة الثّالثة تحريما كاملا إلّا أن تنكح زوجا غيره، وقد خسر صداقها، وخسر نفقته عليها، ونكلّفه بعد ذلك نفقة عدّة في جميع الحالات**»[1] بعد أن تكون قد عاشت في كنف زوج " غيره " .

لقد تمّ معنى الجملة بتمام وضوح تبعة الطّلقة الثّالثة، والسّياق القرآنيّ في الجملة الثّانية يخرج عن المعنى في الجملة الأولى، وبعد أن كان الحديث عن الزّوج الأوّل، المعاقب بعد زواجها من رجل ثان، ينقطع مسار تشريع الأسرة في عرف الإسلام .

أمّا الأسلوب البلاغيّ الوارد في الآية الكريمة﴿ **فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ**﴾ الآية ، هو أسلوب عطف الجزاء على مجموع الشّرط في السّياق القرآنيّ " فإن طلّقها " تكرّرت و جمعت إلى مثيلتها فيما بعد "قلى" حيث « **نرى أنّ الشّرط في مجموع الجملتين لا في كلّ واحدة منهما على الانفراد و جعلناهما شرطين ، وإذا جعلناهما شرطين اقتضتا جزاءين ، و ليس معنا إلاّ جزاء واحد** »[2] لأنّ طلاق المرأة من زوجها للمرّة الثّانية ، ثمّ زواجها بغيره يُحلّها له ، ، هذا ما دلّت عليه الجملة الأولى ، و لكنّ الجملة الثّانية ورَد فيها قيد لم يرد في الأولى ، إنّه طلاقها من زوجها الثّاني ، و الفرق بين الجملتين هو درجة وضوح علّة الحِلّة في رجوعها إلى زوجها الأوّل ، و سبب تراجعهما عن الانفصال ﴿**إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ**﴾ ، ويحضر الشّرط مرّة أخرى دون فصل أو علامة وقف ،،إلاّ بظهور غاية و بيان حكمة ،، « **فليست المسألة هوى يطاع ،، و شهوة تستجاب ،، و ليسا متروكتين لأنفسهما و شهواتهما ،، ونزواتهما في تجمّع**

[1] – سيّد قطب: في ظلال القرآن، دار الشّروق، ط: 09، بيروت، 1980، مج: 01،ج: 20، ص: 250.
[2] – شكر محمود عبد الله : الفصل و الوصل في القرآن الكريم ، دار دجلة ناشرون وموزّعون ،، ط:01 ، 2009 ، عمّان ، ص :173.

و افتراق ، إنّما هي حدود تقام ، وهي إطار الحياة الّذي إن أفلتت منه ، لم تعد الحياة الّتي يريدها و يرضى عنها الله »[1] ، وعند ذكر حدود الله تعود العلامة الدّالّة على أفضليّة الوقف ،، فلا تعدّي لحدود الله من زوجين التزما بأحكام الطّلاق ثلاث مرّات ، أو هذا الأصل و المتوقّع منهما ، ليرد بعد ذلك تعقيب إلهيّ ،،﴿ **وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ باستعمال واو الفصل –و ليست واصلة في هذا السّياق – فقد « **فصل القرآن بواو الاستئناف و الفاء..**»[2] للدّلالة على أنّ قيد الجملة السّابقة متعلّق بحدّ الطّلاق المتكرّر ثلاث مرّات ،، أمّا حدود الله فهي أوسع و أكثر ، وقد بيّنها – عزّ وجلّ– « **لقوم يعلمون ، فالّذين يعلمون حقّ العلم هم الّذين يعلمونها و يقفون عندها ، وإلاّ فهو الجهل الذّميم ،، وهي الجاهليّة العمياء**»[3] .

هكذا أدّت علامة الوقف الجائز ، المستحسن فيه الفصل لا الوصل دور القطع الدّلاليّ بين المواضع و التّراكيب القرآنيّة ، على نحو لا يبتعد بها عن مجمل نسج السّياق الّذي وردت فيه ،،و أبرزت جانبا بلاغيّا لم يغفله أئمّة العربيّة ؛ أمّا من النّاحية الصّوتيّة ، فإنّ الجدول * أدناه ، يكشف عن بعض معطياتها الجماليّة ...

الكلمة الموقف عليها	إعرابها	الحركة الإعرابيّة الأصليّة فيها	ما آلت إليه
غيرَهُ	غير : صفة منصوبة ، والهاء : ضمير متّصل في محلّ جرّ مضاف إليه	الضّمّة لفظا و الكسرة محلاّ	السّكون الحقيقيّ
اللهِ	اسم الجلالة مضاف إليه مجرور	الكسرة الظّاهرة على الآخر	السّكون الحقيقيّ

جدول (02) : أثر الوقف على هاءين متحرّكين

يتّضح من الجدول – أعلاه – انّ الوقف الّذي فرضته " قلى " قد أعدم كلاّ من الكسرة والضّمّة ،، وذلك في عدم مساس بوظائفهما النّحويّة ،، احتراما للقاعدة الشّهيرة ، " العرب

[1]– شكر محمود عبد الله : الفصل و الوصل في القرآن الكريم ،ص:.173.
[2] – منير سلطان : الفصل و الوصل في القرآن الكريم ، ص : 167.
[3] – سيّد قطب : في ظلال القرآن ، مج :01 ، ج : 02 : ص :250.

لا تقف على متحرّك " ،، و القرآن الّذي جاء بلسان العرب ، يوجب على القارئ احترام سننها ، وكأنّ السّكون – بضَعفه – قد أخذ قوّة الحركتين و تمتّع بهما ؛ إذ تخلّى البناء على علامته " الضّمّة " كما غابت " الكَسرة " ،، لتستوي العلامتان بسكون حقيقيّ آلتا إليه ، وضعُفتا معا بين يديه ...

على هذا النّحو ،، عملت " قلى " عملا صوتيّا و آخر دلاليّا ،، احتفظت به للعرب بنظامها اللّغويّ ،، وأدّت وظيفة الفصل في المعاني الواجب الوقوف عندها للتّأمّل و العمل بمقاصدها ،، كما أبرزت جماليّة المبنى ، وقدسيّة المعنى في الآية الكريمة .. – و الله أعلم – .

02-02- من جماليّات التّوسّط بين الكمالين في قصص القرآن (صلى)

أ - نذر امرأة عمران

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ آل عمران : 35 – 36.

هي واحدة من قصص القرآن ، وفريدة عقد نماذج المحبّة ،، تروي حبّ امرأة ، تسامى بها كلفها لتناجي من ؟؟ لتناجي ربّها ،، و فقط ،، إنّها قصّة محبّة خالصة أدّت إلى نذر ،، كما « **تكشف لنا عن قلب " امرأة عمران " – أمّ مريم – و ما يعمره من إيمان ، ومن توجّه إلى ربّها بأعزّ ما تملك ، ، وهو الجنين الّذي تحمله في بطنها ، ، خالصا لربّها ،، محرّرا من كلّ قيد ، و من كلّ شرك ،،و من كلّ حقّ لأحد غير الله – سبحانه – ،، و التّعبير عن الخلوص المطلق بأنّه تحرّر مُوح، فما يتحرّر حقّا إلاّ من يتخلّص لله كلّه ، ويفرّ إلى الله بجملته ، وينجو من العبوديّة لكلّ أحد ، ولكلّ شيء و لكلّ قيمة ،،فلا تكون عبوديّته إلاّ لله ، فهذا هو التّحرّر إذن ،، و ما عداه عبوديّة و إن تراءت في صور الحرّيّة.** »[1]

آيتان كاملتان،، استفردت علامة الوقف الجائز المستحسن فيه الوصل " صلى "، بالظّهور بين تراكبيها،، فأيّ وظيفة قامت بها؟ وما درجة الأهميّة الصّوتيّة للوقف عليها – إن كان– ؟ أو الوصل المراد بها؟.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾

هي ذي " حنّة " امرأة عمران المبتلاة بطول انتظار وليدًا من صلبها، وقد زاد من شوقها إلى الإنجاب أنّها بينما كانت « **في ظلّ شجرة بصرت بطائر يطعم فرخًا فتحرّكت بذلك**

[1] – سيّد قطب : في ظلال القرآن ، مج : 01 ، ج : 03 ، ص : 392.

نفسها للولد، فدعت الله أن يهب لها ولدًا، وقالت: اللهمّ لك عليّ إن رزقتني ولدًا أن أتصدّق به على بيت المقدس»[1]،، كان دعاءَ امرأة مؤمنة،، تودّ أن يكون لها من زوجها المؤمن " عمران " ولد تكتمل به أنوار الإيمان في بيتها،، وما كان للغنيّ المعطي- سبحانه- ردّ سائل مؤمن،، فإذا بالمرأة تتحوّل من هذا الوصف إلى " زوج " تزول عقبة اكتمال التّوافق بينها وبين زوجها بتحقّق " الأمومة "،، وحملها،، ممّا جعلها تشكر الواهب- سبحانه ،، بنذرها ،، إنّها تقدّم ما انتظرته بلهفة،، قربانا لله ﴿**رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا**﴾ عزّ وجلّ- ،، فيكون له " محرّرًا "، « **أي: عتيقا خالصا لله مفرغًا لعبادة الله ولخدمة الكنيسة [...] وكلّ ما أخلص فهو محرّر، يقال: حرّرت العبد، إذا أعتقته وخلّصته من الرّقّ** »[2]،، هل يستحسن للقارئ الوقوف عند هذا الحدّ من سرد القصّة؟.. إلى الآن لا علامة وقف في الآية الكريمة، وبذلك يتواصل السّرد: ﴿**فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ**﴾ ويخرج من الحكي عنها،، إلى ذكر مقالها،، وكأنّنا بالسّيدة مريم،، في غمرة فرحتها بحملها،، لا تعترف بنعمة الله عليها فحسب،، وليست في مقام إلام بنذرها فقط،، بل تسارع في مناجاتها وتترجّى الخالق – تعالى- قبول نذرها (**فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ**) ، إذ لا معنى لطاعة صاعدة من العبد إلى ربّه،، تردّ عليه لسبب ظاهر أو خفيّ،، وهذا تبرير غياب علامة وقف – رغم تغيّر الخطاب من " عنها " إلى "على لسانها "- إلّا على " منّي "،، حيث نرى العلامة "صلى" الدّالّة على" جواز الوقف " و استحسان الوصل،، أي أنّ القارئ إن انقطع به النَّفَس فلا بأس باستراحة قصيرة عند هذه الجملة،، لكنّ المواصلة أولى، لأنّها تعكس روحا تلهج: " إنّ هذا النّذر يا الله نابع من كلّ خلايا جسدي،، من أنفاسي المتقطّعة في سعيها إلى إرضائك،، من خفقات قلبي المخلص في خدمة بيتك ﴿**فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ**﴾ الآية،، سمعت دعائي،، وعلمت إخلاصي...

إن تسنّى لقارئ الآية وصل الجملتين، ترفّ على الإحساس معاني سنيّة، تختلج فيها انفعالات التّضرّع بين يدي الله- تعالى -،، وتقديم العزيز الغالي نذرًا لهذا الحبيب الّذي علِقته روح امرأة مؤمنة،، لا يتوقّف لسانها أثناء مناجاتها إيّاه،، فلا تهدأ كلماتها إلّا بطلبها منه قبول عطيّتها،، في اعتراف كامل بسمعه الواسع،، فكيف به وما نداؤها إيّاه قبل وبعد الحمل إلّا حرف أو أقلّ،، وإقرار أكمل بعلمه حالها أكثر منها هي نفسها،،؛ وفي هذا الوصل القرآنيّ المستحسن، دلالات أشدّ إثارة من تلك الّتي تحضر عند السّكت بين الجملتين، عبّر عنه البلاغيّون بما أسموه:

[1] – البغويّ: معالم التّنزيل، ج: 02، ص: 29.

[2] – البغويّ: معالم التّنزيل، ج: 02، ص: 29.

●**شبه كمال الاتصال:** وأغلب ما يكون باعتبار « **الجملة الثّانية جوابًا عن سؤال مقدّر الجملة الأولى، أو فهم منها، ودلّت عليه بالفحوى ومعونة القرائن وسياق الأصول وفي هذه تفصل الجملة الثّانية عن الأولى كما يفصل الجواب عن السّؤال اكتفاء بما بينهما من الرّبط المعنويّ...**»[1] وهو ما لا يوجب تمام الفصل ولكن يشي بشبه كمال وصل،؛ وبالعودة إلى الآية الكريمة،، يمكن توقّع السّيّدة- البتول – وهي تطلب من ربّها- عزّ وجلّ – قبول نذرها- أن تتساءل: كيف لا تقبله؟،، و ﴿ **إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ** ﴾ بما أضمرت وما أُضمرُ قبل وبعد مِنحتِك هذه!!.

ثمّ تحضر الفاصلة القرآنيّة عند هذا الثّناء على الله- سبحانه – معلنة تمام المراد.. ليستأنف بعد ذلك سرد جديد،، لا ينفصل عن سابقه،، وإنّما يتمّ القصّة...

فمن المعروف أنّ النّذر- في زمن الأنبياء- قبل محمّد- ﷺ – إن قصد به انقطاع الولد للعبادة، فإنّما يتعلّق بولد ذكر، فلا طاقة للأنثى على إتيان أعمال المعابد كما هو شأن الذّكور،، وقد كانت " زوج " عمران تنتظر " نذيرها " بفارغ الصّبر،، ولكن،، هاهي ذي تجدها أنثى، فتتوجّه إلى ربّها في نغمة أسفة، ﴿ **رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ** ﴾ **مناجاة عارمة** ﴿ **رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ** ﴾،، هو نداء يحمل حجم الصّدمة الّتي أصيبت بها الأمّ،، " يا الله،، إنّها أنثى،، فماذا عن نذري؟؟،، أعتذر إليك يا ربّ " ،، ولكنّ الوحي يذكّر المتلقّي- قارئا ومستمعا – عند من رجّح أنّ ﴿ **وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ** ﴾ بفتح العين،، يذكّره بالحقيقة الكبرى الّتي تختصر كلّ دلائل علمه- عزّ وجلّ – بالّذي كوّنه في رحمها،، وصوّره جنينا أنثى،، كتب له في علم الغيب وضع ليس ككلّ الأوضاع،، وحال ليست ككلّ الأحوال مع الله،، ومع النّاس،، ﴿ **وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ** ﴾ بانحناءة أسى،، وخفض رأس من السّيّدة المتضرّعة إلى ربّها،، يتجدّد ذكرها لسبب صدمتها إذ « **لا تنهض الأنثى بما ينهض به الذّكر في هذا المجال** »[2] التّعبّديّ،، ومع ذلك فإنّ المناجاة لا تزال متواصلة، والسّكت فيها جائز وليس الأفضل- كما تقول العلامة " صلى " – الّتي حلّت مرّة أخرى عند كلمة " الأنثى "-، فعدم مجيء النّذير،

[1] – شكر محمود عبد الله: الفصل والوصل في القرآن الكريم، ص: 118.

[2] – سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج: 01، ج:03، ص: 392.

الصّبيّ المقتدر على ما أمِلته الأمّ المؤمنة،، لم يمنعها من خضوعها لما قدره الله لها،، و قضى به في حقّ نذرها،، ها هي ذي تخبره- وهو الأعلم بذلك وبغيره- أنّها اختارت لوليدتها الوافدة إلى الحياة اسم " مريم "،، « **ومريم بلغتهم العابدة والخادمة، وكانت مريم أجمل النّساء في وقتها وأفضلهنّ** »[1]، إذن،، رغم هذا الواقع المفاجئ،، إلّا أنّ النّذر سيأخذ طريقه إلى حيّز التّنفيذ،، إنّ الصّغيرة ستؤخذ إلى المعبد،، وستكون الأمَة المتبتّلة في رحاب واهبها- سبحانه – وحتّى تقدّم أمّ مريم نذرًا خالصًا لله،، لا تزال ترجو السّميع العليم وتناجيه: ﴿ **وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ** ﴿٣٦﴾ ﴾،، هذه هي « **الكلمة الأخيرة الّتي تودع الأمّ بها هديّتها بين يدي ربّها،، وتتركها في حمايته ورعايته، وتعيذها به هي وذرّيّتها من الشّيطان الرّجيم،، هي كلمة القلب الخالص،، فما تودّ لوليدتها أمرًا خيرًا من أن تكون في حياطة الله ،، من الشّيطان الرّجيم**»[2]،، وهذه علامة محبّة الأمومة لابنتها،، بل هي تدعو لها،، ولذريّتها جميعًا من بعدها،،.

لقد ارتسمت علامة الوقف الجائز المستحسن فيه الوصل " صلى "،، ولكنّ حقّ الوقف للقارئ غير مستلب منه،، فما الّذي يستجدّ على الكلمتين الجائز السّكت عندهما؟، لنلاحظ الجدول أدناه:

الكلمة الموقف عليها	إعرابها	الحركة الإعرابيّة الأصليّة	ما آلت إليه الحركة الإعرابيّة
منّي	جارّ ومجرور متعلّقان بالفعل " تقبّل"	الكسرة المقدّرة على الياء، منع ظهورها الثّقل	السّكون الحقيقيّ
كالأنثى	جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر، أو الكاف اسميّة وهي الخبر، والأنثى مضاف إليه.	الكسرة المقدّرة على الألف المقصورة منع ظهورها التّعذر.	السّكون المقدّر على الألف المقصورة.

الجدول (03) : أثر الوقف على ياء المتكلّم مع الألف المقصورة.

[1] – البغويّ: معالم التنزيل، ج: 02، ص: 30.

[2]– سيّد قطب : في ظلال القرآن ، مج : 01 ، ج : 03 ، ص :393.

إنّ الوقف– حال لجوء القارئ إليه– أنيط بالكسرة المقدّرة للثّقل أو التّعذّر، وسوّى بين حاليها باستبدالها سكونًا– حقيقيّا أو مقدّرًا–، و ألزمها الخضوع لسنّة العرب في كلامها،، كما أنّه يعطي التّلاوة رتابة شبه كاملة، لولا تغيّر ملاحظ على النّغمة،، ففي " منّى " تكون هابطة، أمّا في " الأنثى " فهي صاعدة على الشّكل الآتي:

الكلمة	النّغمة	شكلها	العلّة
منّي	هابطة	↙	لتوافق السّكون مع إطلاق الكسرة ياء.
كالأنثى	صاعدة	↖	لتوافق السّكون مع إطلاق الفتحة ألفا مقصورة.

الجدول (04) : النّغمة حال الوقف على الياء مع الألف المقصورة.

إضافة إلى ما سلف ذكره، فقد فصلت العلاقة " صلى " بين جملة الدّعاء ﴿ **تَقَبَّلْ مِنِّيٓ** ﴾ وجملة الثّناء على الله سبحانه: ﴿ **إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ** ﴾، وأدّت وظيفة التّعبير عن الأسف ﴿ **وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ** ﴾ ثمّ الرّجوع إلى الله والتّسليم بقدره بل والتّوكيد على تقديم النّذر ﴿ **وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ** ﴾، أمّا إذا وصل القارئ تلاوة الآيتين دون فصل إلّا على الفاصلة بينهما، فإنّ ذلك يوحي بالصّلة الوثيقة بين امرأة عمران وربّها– عزّ وجلّ –، فحلاوة المناجاة الصّادرة عن قلب يستشعر الحضرة الإلهيّة، تستدعي انثيال الأدعية في سلسلة كلاميّة،، كالتّيار المندفع،، بعضُه وبعضُه كلٌّ واحد، وهذا ما كانت عليه حال أمّ البتول من خلال هذه المناجاة الفريدة في جمال فحواها،، وجمال اتّصالها،،– والله أعلم –.

ب – المرأة المبتلاة في رضيعها.

يقول جلّ من قائل: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ القصص: 07.

قصّة من روائع القصص القرآنيّ،، قصّة سيّدنا موسى– عليه السّلام– وفي الآية الكريمة، إخبار ذي الجلال– سبحانه – ببدايتها، المرتبطة بظلم الفرعون بني إسرائيل الّذين سيخرج منهم مزيل حكمه،، ممّا أدّى به إلى سنّ قانون إعدام كلّ طفل ذكر يولد لهم،، وكذلك حياة جنين " يوخابذ بنت لاوي بن يعقوب*" ،، غير أنّها ولدت،، ورزقت طفلا ذكرًا،، قد عزمت على حفظ حياته بما تملك من قوّة الأمومة،، المتوكّلة على ربّها الحفيظ،، ومع إيمانها،، هاهي ذي بين يدي الواقع المرير،، ليس بوسعها اتخاذ وسيلة بشريّة تنجيه من كيد فرعون،، إنّهالا تقوى على كتم صوته عند البكاء،، ولا تستطيع الاحتيال له ليختبئ من زبانية السّفاح،، إنّه العجز الفطري في الصّغير،، و « **هنا تتدخّل يد القدرة،، فتتّصل بالأمّ الوجلة القلقة المذعورة،، وتلقي في روعها كيف تعمل، وتوحي إليها بالتّصرّف**»[1] ..

كرامة إلهيّة،، أن ينادي المولى– سبحانه – في عليائه ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ – من آمنت به في سرّها، يتوجّه إليها بالوحي « **وحي إلهام لا وحي نبوّة،، قال قتادة: قذفنا في قلبها**»[2]،، ويكفي المؤمن اعتدادًا بعبوديّته لله – تعالى– أن يستشعر قربه منه،، فكيف بهذه المؤمنة وقد امتلأت عليها نفسها بكلام تستيقنه منها الجوارح والجوانح أنّه من أمر الله!!،، يأمرها ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾،،

لا ريب أنّ الرّضاعة فعل غريزيّ من الأمّ لوليدها،، ولكنّ الله– سبحانه – أراد لها الثّبات، فلا يؤدّي بها الخوف من بطش الفرعون إلى نسيانها الحقّ البيولوجيّ لصغيرها في الرّضاع،، وهو ضرورة للآتي من التّدبّر الإلهي،، لذلك تحضر علامة الوقف الجائز المستحسن فيه الوصل " صلى " وتجد مكانها عند هذه المرحلة من الوحي، والقارئ إذا توقّف على ﴿أَرْضِعِيهِ﴾،، تحضره حال الأمّ وقد

*– هكذا ورد اسم أمّ موسى– عليه وعلى رسولنا السّلام– في تفسير معالم التّنزيل، ج:06، ص: 191.

[1] – سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج:05، ج:20، ص: 2678.

[2] – المصدر ذاته: الجزء والصّفحة ذاتها.

ارتسمت على قسماتها ملامح السّؤال، ثمّ ماذا يارب؟ ليستأنف القراءة،، بأسلوب الاستئناف الجوابيّ – كما اصطلح عليه البلاغيّون – ﴿ **فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ** ﴾،، و باعتبار إمكانيّة الوقف مرّة أخرى،، يمكن توقّع سؤال جديد يراود نفس أمّ موسى– عليه وعلى رسولنا السّلام – أن " كيف لي ألّا أخاف ولا أحزن، وقد أمرت بأفعالا تبعث إلّا على ذلك " ؟ وبعد استراحة الوقف يرد الاستئناف الجوابيّ مرّة أخرى بالتّعليل والتّفسير: ﴿ **إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ** ﴾ ..

إنّ ما تمّ محاولته،، هو فهم الآية،، حال لجوء القارئ إلى الوقف لحاجة ما ومنحه علّة إمكانيّة قيامه بذلك أثناء التّلاوة بالإسناد إلى حجّة البلاغيّين في باب إمكانيّة القطع أو الفصل لشبه كمال الاتصال،، ومنه،، فإنّ " شبه كمال الاتّصال " يلقي بتخريج الآية من زاوية نقيضة،، تكون فيها قراءة الآية متّصلة،، لا توقّف فيها من قبل القارئ،، وَ عَوْدًا على بدءٍ يرجع البحث إلى حيث تلقّت" يوخابذ " أمر ربّها– عزّ وجلّ – بإرضاع وليدها،، واحترام القارئ أفضليّة وصل ﴿ **أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ** ﴾ بالجملة « ﴿**فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ** ﴾ **وهو في حضنك ، وهو في رعايتك ،، إذا خفت عليه و في فمه ثديك ،، و هو تحت عينيك ،، إذا خفت عليه ﴿فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾** »[1]،، إنّه يُعلمها بأنّه يَعلم– وهو السّميع العليم– خوفها على حياة صغيرها،، فيأمرها بإلقائه في اليمّ !! أي أنّها ستهرب به من خوف إلى أخوف منه، ثمّ ينحني السّياق القرآنيّ، يربّت على فؤادها بأسلوب العطف الحاني ﴿**وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ**﴾، بأمر إلهيّ آخر، يكشف عن رحمة الرّحمن بالولد تفوق رحمة الوالدة مبنى ومعنى، لأنّ موسى « **في رعاية اليد الّتي لا يجرؤ فرعون الطّاغية الجبّار، ولا جبابرة الأرض جميعا أن يدنوا منها،، من حمى العزيز الجبّار**»[2] و عند الوعد بتمام الأمن من الخوف والحزن معًا، إذ « **الخوف غمّ يلحق الانسان لمتوقّع، والحزن غمّ يلحقه لواقع وهو فراقه والإخطار به، فنُهيت عنهما جميعًا، وأمنت بالوحي إليها** »[3] لذلك ولغيره ممّا تقزّمت عنده همّة البحث، يستحبّ الوصل أثناء القراءة للآية الكريمة،، حيث لا يتأخر تبرير الأمر بعدم الخوف عن الأوامر المتقدّمة عليه،، ﴿ **إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ** ﴾ ..

---

[1] – سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج:05، ج: 20، ص: 2679.

[2] – المصدر و الصّفحة ذاتهما.

[3] – جار الله الزّمخشريّ: الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل دار المعرفة، ط:01، 1968، بيروت، ج: 02، ص: 165.

هو تمام صدق الوعد والبشرى الكاملة وعلى سبيل القول المشهور في حقّ هذه الآية،، فقد جمعت- إعجازًا- " أمران ونهيين و بشارتين " بل لعلّ من أسباب لفت الانتباه، تعدّد أنماط هذه السّلسلة المتشابكة من أساليب اللّغة،، لتؤكّد حقيقة لا أصدق عنها،، حقيقة نصرة الله لعباده المؤمنين،، فقد عملت من خلال علاقة ضفائريّة فريدة على توقيع الجماليّة في مدّة الفصل أو قطعها مسافة الوقت بوصل الأحداث والأوامر،، وديمومة القصّة،، الّتي احتوت استرجاعها، أخبرنا الله فيه وذكّر من خلاله نبيّه الكليم بِمِنّته عليه،، عبّر عن ذلك توظيف الجمل القصيرة وأدوات العطف الرّابط بينها، أو الجملة التّوكيديّة في نهاية الآية: ﴿ **إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ** ﴾ ،، خاصّة فيما يتعلّق بأفعال الإرضاع وعدم الخوف والإلقاء " أفعال فوريّة ".

كانت هذه بعض عطايا الدّلالات المستنبطة للآية بوصل جملها،، احترامًا للأصل في العلامة " صلى " الدّاعية إلى ربطها ببعضها،، أمّا إذا اختار القارئ الوقف- وهو حقّ محفوظ له بحكم الجواز- فإنّ تلك الدّلالات قد تنحو منحى فيه تأمّل على نحو آخر ...

يكون وحي الله- تعالى – لأمّ موسى – عليه وعلى رسولنا السّلام – قد ربط على قلبها،، أن ذكّرها بإرضاع ولدها،، أو طلبه منها لغاية بَعْدِيّةٍ،، ﴿ **أَنْ أَرْضِعِيهِ** ﴾ ممّا يستدعي منها استغرابًا للأمر،، وقد يكون توقّعًا لا تفتقر إليه الأمّ عمومًا،، يملأ نفسها خوفًا يعلمه الله،، لذلك فالوقف عند هذه الجملة،، له ما يستدرّه من معان،، لتليها جملة استئنافيّة شرطيّة،، تحمل إليها طمأنة تعجّ بالمتناقضات الأمريّة،، وفي الوقت ذاته غير قابلة للطّعن ولا ﴿ **فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ** ﴾ ليتوقّف التيّار الأمري،، وتستأنف مرحلة التّبرير أو التّعليل لتلك الأوامر ﴿ **إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ** ﴾...

بناء على ما سلف ذكره،، فإنّ الوقف الجائز المستحسن فيه الوصل،، مثل حلقة مرنة،، أدّت دور التّوسّط بين الكمالين،، كما جعلت من الآية الكريمة نصّا تطول معانيه وتثمر،، حال الفصل،، أو الوصل،، فما شبه الكمال إلّا كمال،، لا يقوى بحث متواضع كهذا،، الإمام ببعض أطرافه الجماليّة،، ولكنّها،، انعكاسات لشيء من نثاره المعجز،،- والله أعلم-.

وعن تبعات الوقف على الكلمتين « أرضعيه» و « تحزني» إعرابيًا،، يبيّن الجدول أدناه ما يلي:

الكلمة	إعرابها	الحركيّة الإعرابيّة الأصليّة	ما آلت إليه الحركة
أرضعيه	فعل أمر مبنيّ على حذف النّون لأنّه من الأفعال "5 "، الياء: ضمير متّصل في محلّ رفع فاعل الهاء: ضمير متّصل في محلّ نصب مفعول به	بناء الهاء على الكسر	السّكون
تحزني	فعل مضارع مجزوم ب "لا " وعلامة جزمه حذف النّون لأنه من الأفعال "5 "، والياء: ضمير متّصل في محلّ رفع فاعل.	حذف النّون لأنه من الأفعال "5 "	السّكون

الجدول (05) : أثر الوقف على هاء الغائب وياء المؤنّث المخاطب

ومرّة أخرى،، ينهي السّكون العلامات الإعرابيّة،، ليبقى الظّاهرة الصّوتيّة الماصّة لها،، عند الوقف.

02- 03 - من جماليّات تنوع وجوه الانقطاع في القصص القرآنيّ(ج+ قلى)/ (ج+ صلى)

أ- المرأة الملكة بين يدي النّبيّ الملك.(ج+ قلى)

يقول الله تعالى: ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّـرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤ ﴾ النّمل: 44.

إنّه امتحان عقيدة،، تمرّ به الملكة " بلقيس "،، ظاهره اختبار ذكاء،، ولكنّه في الحقيقة إجراء لمعرفة شخصيّتها ﴿ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ٤١ ﴾،، حيث « **أمر سليمان بالصّرح، صنعته له الشّياطين من زجاج كأنّه الماء بياضا، ثمّ أرسل الماء تحته، ثمّ وضع له فيه سريره، فجلس عليه، وعكفت عليه الطّير والجنّ والإنس، ثمّ قال: « ٱدۡخُلِي ٱلصَّـرۡحَۖ » ليريها ملكا هو أعزّ من ملكها، وسلطانًا هو أعظم من سلطانها** »[1] والسّياق القرآنيّ يورد القصّة في جزئيّتها ﴿ **قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّـرۡحَۖ** ﴾ بحضور علامة الوقف الجائز " صلى " حتّى يواصل القارئ تلاوته لأنّ الوصل أولى بين الجملة المذكورة والموالية ﴿ **فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ**﴾...

هاهي تقبل تحدّي الملك المسلم،، ورغم المفاجأة الّتي سلبتها التّمييز بين مرمريّة الصّرح ومائيّته،، لم تنتظر لتستشير الحكماء من مرافقيها وحاشيتها،، وإنّما بادرت في ردّة فعل جسديّة سريعة ﴿ **وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ** ﴾ لتخوض ما حسبته ماءًا،، وترتسم عند هذه الجملة علامة الوقف الجائز المستوي فيه الفصل والوصل،، أو الوقف وعدمه،، فإذا تمّ اعتبار مواصلة القراءة يكون ذلك مدعاه إلى الإيحاء بأنّ النّبيّ سليمان- عليه السّلام- الّذي لا يرضى رؤيته ما ليس له بحقّ من امـرأة أجنبيّـة عليـه « **صرف بصـره عنــه و ناداها قال: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ﴾ ممـلّس مستوِ﴿ مِّن قَوَارِيرَۗ ﴾ وليس بماء** »[2]؛ وعند " قوارير" يواجه القارئ بالعلامة " قلى " الجائز فيها الوصل وإن كان القطع أولى،، وترجيح الوصل،، تكون الملكة قد أدركت أنّها لا تخاطب رجل دنيا،، ولا ملكا همّه استعراض عظمة المادّة،، فتسارع إلى التّسليم للأمر الواقع،، بل للإسلام مع هذا الملك النّبيّ - عليه السّلام- ،، و بالنّظر إلى الآية الكريمة على نحو إجماليّ، يأخذ الفعل " قال " بأسباب الاهتمام،، وذلك لتكراره

[1] - حمدي بن محمّد نور الدّين آل نوفل: قصص القرآن، مكتبة المورد، ط: 01، القاهرة: 2002، ص: 368.
[2] - البغويّ: معالم التّنزيل، ج: 06، ص: 168.

– مبنيّا للمجهول أو للمعلوم–، بل يعتبر في عرف أهل الفصاحة أحد أوجه بلاغة الوصل بغير العطف في الأسلوب القرآنيّ،، ودليل مرونة المعاني في مواطن القطع والاستئناف أو شبه كمال الاتّصال،، ممّا يستدعيه الاستئناف الجوابيّ في أسلوب القرآن، ومعنى الاستئناف في هذه الحال « **ليس ابتداء كلام منقطع عن سابقه كما يُشعر بذلك لفظ الاستئناف، وكما يعتقد كثير من أهل النّحو والبلاغة، وإنّما هو استئناف جواب لسؤال يقدّر أن يثيره التّركيب المتقدّم في نفس المتلّقي، واستئناف الجواب هذا يتمّ به الكلام المنبثق عن الجملة السّابقة، الّتي يمكن أن تعدّ كأصل أو كأمّ لهذه الجملة، ولذلك ترى الجملة المستأنفة لا تستقلّ معنويًا بنفسها** »[1]؛ وبما أنّ مرحلة القرب من الآية بوصل أجزائها استوفت جهدها تاركة جلّ دلالاتها جماليّات الوصل بين جملها لدراسات أعمق ولإعجاز أحفى،، ينتقل البحث إلى قراءة الآية معتمدًا آلية الفصل أو الوقف الجائز،، مُركّزًا على دور الفعل " قال " في بنـاء معانيهـا .

وصلت" بلقيس " إلى حيث عرس الملك المستضيف إيّاها،، وكما هو شأن الملوك يرحّب بها،، فيروي عنه القرآن: ﴿ **قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّـرۡحَۖ** ﴾ هـل ستكـون متلهّفـة لرؤيـة ما بداخل الصّرح؟؟.،،

لا إنّها ملكة،، وللملوك برتوكولات وشؤون في حركاتهـم،، ستتمهّـل قليـلا،، كما سيتوقّف القارئ عند التّلاوة قليلا إن أراد، فإذا هي تبصر أرضيّة كأنّها الماء الجاري،، ولكي تحافظ على ثوبها من البلل ﴿ **كَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ** ﴾،، وانتظرت جوابًا لسؤال قد يكون طرق ذهنها أن: لم فعلت هذا أيّها الملك؟. سؤال مقدّر يشي به الوقف الجائز بالعلاقة الدّالّة عليه " ج " ، ويؤكّده ما جاء في تفسير" معالم التّنزيل "، حيث « **قيل أنّها لمّا بلغت الصّرح وظنّته لجّةً، قالت في نفسها: إنّ سليمان يريد أن يغرقني، وكان القتل عليّ أهون من هذا، فقولها** " **ظلمت نفسي** " **تعني بذلك الظّنّ**»[2]، ثمّ لعلّه ممّا يعضد هـذا الرّأي وجـود جملـة مقول قـول أخـرى: **قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ** ﴾،، وهل كان سليمان– عليه السّلام– ليستأنف كلامًا إلّا لما رآه من علامات استفهام مرتسمـة على محيّـا ضيفتـه !!.

[1] – شكر محمود عبد الله: الفصل والوصل في القرآن الكريم، ص: 161.

[2] – البغويّ: معالم التّنزيل، ج: 06، ص: 168.

و بالوقف على الجملة الصّادرة عنه،، لا يكون بالضّرورة وقف اهتمام منه لما ستفعله أو تقرّره " بلقيس "، بل، يتوقّع أن ينتظر ما يشير إلى نتيجة الدّعوة الملكيّة الّتي قدّمها إلى ملكة سبأ،، ﴿ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٤١﴾ ﴾؟؟،، " فماذا قرّرتِ أيّتها الملكة "،،هذا هو السّؤال الّذي أصلح- ربّما- نفس سليمان- عليه السّلام-،، فيأتي جوابها: ﴿ **قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾** ﴾.

جواب ورد بعد تصدّر الجملة الفعل" قالت " وما قالت مقولتها إلّا بعد أن قطعت مسافة ذهنيّة معتبرة إن لم تكن طويلة، فحتمًا، كانت كافية لإصدار قرارها هذا،، والعلامة" قلى " أدّت دور تمثيل المسافة الذّهنيّة المقطوعة للتّفكير في الخروج به- القرار-،، بهد هذه السّكتة، ترِد جملة فيها اعتراف بالذّنب المتمثّل في سابق عبادتها الشّمس،، وعدم معرفتها بالله الواحد، و أكثر من ذلك تحمّل الإقرار بالخطأ والإعلان الجميل بقولها في غير تردّد، ودون وجود أيّ علامة وقف تفصل بينه وبين الجملة السّابقة ﴿ **وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾** ﴾،، إذن،، اهتدت حقًّا،، وأسلمت مع سليمان،، لا " لسليمان" ولكن « لله ربّ العالمين »،، لقد اهتدى قلبها واستنار، فعرفت أنّ الإسلام لله ليس استسلامًا لأحد من خلقه،، ولو كان هو سليمان النّبيّ الملك صاحب هذه المعجزات،، إنّما الإسلام إسلام لله ربّ العالمين، ومصاحبة للمؤمنين به، والدّاعين إلى طريقه على سنّة المساواة « **وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ** ﴾ »[1].

وعليه،، فإنّ بلاغة الوقف الجائز بنوعيه، ما يستوي فيه الوصل والفصل وهو ما يُرمَزُ له بالعلاقة " ج " وما يستحبّ الفصل بين الجملتين الوارد فيهما، بعلامة " قلى "، معاني ودلالات مختلفة دون تضارب،، ولا تعارض،، فماذا عن النّاحية الإعرابيّة للكلمات الموقف عليها،، والطّوارئ العارضة لها إذا اعتبر الوقف...

[1] – سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج: 05، ج:19، ص: 2643.

الكلمة	إعرابها	الحركة الإعرابيّة الأصليّة	ما آلت إليه الحركة الإعرابيّة
الصّرح	مفعول به منصوب	الفتحة الظّاهرة على الآخر.	السّكون الحقيقيّ.
ساقيها	اسم مجرور ب "عن " وهو مضاف. الهاء: مضاف إليه ، متعلّقان ب "كشفت " .	بناء الضّمير المتّصل " ها" على السّكون المقدّر على الألف الممدودة.	السّكون المقدّر على الألف الممدودة.
قوارير	اسم مجرور ب" من ".	الفتحة نيابة عن الكسرة لأنّه ممنوع من الصّرف.	السّكون الحقيقيّ.

الجدول (06) : أثر الوقف على صوائت وصوامت متنوّعة.

يتّضح – من الجدول أعلاه – أنّ الوقف إمّا أنّ يفرض السّكون على آخر الكلمة،، وإمّا أن يحافظ عليه،، والجديد في الوقف على" قوارير " هو اجتماع ساكنين أحدهما على الياء والثّاني على الرّاء،، اقتضاه الانصياع لقاعدة العرب في كلامها؛ وفي ذلك جمال ثبات القاعدة العربيّـة،، ولتساوي الحركـات الإعرابيّـة حـال الوقف.

ب – المرأة العاملة الحييّة.

يقول تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦ ﴾ القصص: 23-26.

قصّة أخرى من قصص سورة القصص،، تروي هجرة كليم الله موسى- عليه السّلام-،، بين ثناياها حضور جليّ للمرأة،، باعتبارها الهجرة الّتي أُسِّست فيها أسرة نبيّ،، تقطّعت به السّبل،، فرارًا من الطّاغية فرعون،، فألهمه الله الطّريق إلى مدين،، لحكمة يعلمها،، وعلى مشارف هذه المدينة،، يكون التّعب قد أخذ منه قسطًا وافرًا،، فإذا به يبصر القوم حوافّ حول بئر يسقون منها مواشيهم،، وهذا أمر عاديّ،، أمّا الّذي أخذ باهتمامه، فإنّه تصرّف " ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ "، « **يعني: تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتّى يفرغ النّاس وتخلو لهم* البئر، قال الحسن: تكُفّان الغنم عن أن تختلط بأغنام النّاس**»[1]،، إنهما فتاتان نأت بهما محاسن أخلاقهما عن مزاحمة الرّجال لسقي أغنامهما،، إنّه الحياء،، العملة الصّعبة لدى المجتمعات،، هكذا تصرّفت الفتاتان،، رغم تعوّدهما على مهنة الرّعي ككلّ الرّجال،، ولكنّ الأنوثة الحييّة لم تفارقهما،؛ هنا وعند وصف القرآن لأولى مراحل الحلقة الثّانية من قصّة موسى- عليه السّلام- ترتسم علامة الوقف الجائز المستحسن فيه الوصل " صلى " تحبيذًا للقارئ مواصلة القصّة ﴿ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ ﴾؛ وكأنّ كليم الله لم يتأخر عند رؤيته إيّاهما،، وبادر إلى سؤالهما عن سبب وقوفهما بعيدًا عن البئر،، وبعيدًا عن القوم ذوي الحاجة ذاتها الّتي قدمتا من أجلها،، فتجيبان ﴿ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ ﴾ إجابة فوريّة،، لا وقت لديها للتّصنّع،، فلا وقف مستحبّ قيل هذه الجزئيّة،، وإن جاز،، يدلّ على الصّدق الواضح فيه، والأدلّ على ذلك،، ما جاء بعدها،، لأنّها هي الأخرى موسومة بالعلامة" صلى" ﴿ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾،، إذن هذه علّة خروجها من البيت للعمل،، عدم قدرة أبيهما على الرّعي،، فقد بلغ من العمر عتيّا،، فيكتمل جوابها ويتمّ لموسى- عليه السّلام- حصول الفهم لما رأى،، ولأنّه الرّجل الشّهم قبل أن يكون النّبيّ المرسل، فقد ثارت نخوته « **وفطرته السّليمة [...]** « **فسقى لهما** » **ممّا يشهد بنبل هذه النّفس الّتي صُنِعَتْ**

*- هكذا وردت، والأصحّ " لهما ".

[1] - البغويّ: معالم التّنزيل، ج: 06، ص: 199.

على عين الله.. كما يشي بقوّته الّتي ترهب حتّى وهو في إعياء السّفر الطّويل،، ولعلّها قوّة نفسيّة الّتي أوقعت في قلوب الرّعاة رهبته أكثر من قوّة جسمه »[1].

لا يخفى ما في الآية الثّالثة والعشرون " 23 " من تداوليّة خطابيّة،، أبرزها تصرّف الفعل " قال" بين " موسى "– عليه السّلام–، والفتاتين،، ممّا يرخّص احتمال الوقف أثناء الحوار بين الطّرفين،، ولكنّ العلامة " صلى " الموجودة على كلّ من " تذودان "، و " خطبكما "، و " الرّعاء " تنحو بالخطاب منحى تسارعيًّا، تتواشج فيه الأحداث، ويأخذ الحوار بعضه بعضًا في تسلسل واتّصال،، إلى أن تفضي إلى حركة سريعة– متخيلة– من نبيّ أثمرت فيه الرّجولة، وأينعت سلوكًا يقدّر حياء المرأة الّتي أرغمتها معطيات ظروفها على التّواجد بين الرّجال،، بعد ذلك،، هاهو موسى– عليه السّلام– يتفيّأ ظلّ شجرة،، يسلو الرّاحة ويرجو التّخلّص من أنواء الرّحلة،، ضارعًا إلى ربّه،، مناجيًا إيّاه، بفقره إلى غناه،، وبينما هو كذلك،، تقول الآية الموالية: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ الآية، بمشية خجلى تعكس حياء صاحبته « قال عمر– رضي الله عنه–: ليست بسلفع من النّساء* خوّاجة لوّاجة، ولكن جاءت مستترة قد وضعت كمّ درعها على وجهها استحياء »[2] تتقدّم الفتاة من موسى– عليه السّلام–، لتخبره أن أباها – ليست هي ولا أختها– يدعوه إلى بيته ليكافئه على جميل صنعه مع ابنتيه،، هل بقي متعلّق بحديث القرآن عن الفتاة إلى مدعوّ أبيها؟؟،، كلّا،، وعليه فإنّ الوقف الجائز المستوي فيه الوصل والفصل بعلامة" ج " ماثل عند هذه الجملة،، وحال تفضيل وصلها بما بعدها يحمل أخبارًا يطول سردها في الحقيقة تعلّقت بأخبار موسى– عليه السّلام– مع فرعون وقومه،، أمّا الآية السّادسة والعشرون" 26 " فتستهلّ بقول إحداهما لأبيها: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ﴾، وقبل ان تسأل عن دافع اقتراحها هذا، تجيب– وإن جاز الوقف على هذه الجملة لوجود العلامة "صلى "﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ وهو ما « **يعني خير من استعملت من قويّ على العمل وأدّى الأمانة، فقال لها أبوها: وما علمك بقوّته وأمانته؟ قالت: أمّا قوّته: فإنّه رفع حجرًا من رأس البئر لا يرفعه إلّا عشرة، وقيل: إلّا أربعون رجلًا، وأمّا أمانته، فإنّه قال لي: امشي خلفي حتّى لا تصف الرّيح بدنك**»[3].

---

[1] – سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج: 05، ج: 20، ص: 2686.

*– السلفع من النّساء: الجريئة على الرّجال، السّليطة.

[2] – البغويّ: معالم التّنزيل، ج: 06، ص: 201.

[3] – البغويّ : معالم التّنزيل: ج: 06، ص: 202.

كانت هذه قراءة وصليّة بين الجمل الّتي اعتلتها علامات الوقف الجائز بنوعيه، ما استحسن فيه الوصل،، وما تساوى فيه الفصل والوصل،، ولتوفّر إمكانيّة القراءة النقيضة،، يحاول البحث تلمّس جماليّات الفصل فيما بين الجمل ذاتها من الآيات المذكورة.

ويمثّل الفعل" قال "– كما في النموذج السّابق– سمة أسلوبيّة بارزة، يتحقّق بها أيضًا ملمح شبه كمال الانفصال، ويعضده في ذلك حضور علامة الوقف الجائز "ج"، قد يسوّغ الوقف على " تذودان " توقّع سؤال يحتمل أنّه راود نفس موسى– عليه السّلام–، لم يبق حبيس سرّه،، وتحوّل إلى تفكير بصوت عال يخبرنا به القرآن الكريم، في الجملة الثّانية الّتي تعلوها العلامة ذاتها" صلى " لتفصل بين السّؤال والجواب الصّادر عن الفتاتين بعد مسافة زمنيّة قصيرة، تمثّل مدّة تختصر وصف حالهما وهما تبصران رجلًا غريبًا يقصدهما في مشيه،، ثمّ يسألهما عن شأنهما من القوم،، وجملة الجواب، مكوّنة من جزأين،، الأولى منتهية عند " الرّعاء "، أمّا الثّانية فهي « وأبونا شيخ كبير»؛ جاءت بعد وقف جائز أيضًا،، يشي بأنّ الفتاتين عندما ذكرتا علّة تحاشيهما القوم أثناء سقي مواشيهم– وهو حياؤهما–، أحسّتا بخجل إضافيّ من تلميحهما إلى حيائهما،، فأودتا سببا منطقيّا يبرّر تصرّفهما،، وعليه،، يمكن تشكيل النّصّ القرآنيّ– إلى هذا الحدّ– على النّحو التّالي:

- قال: ما خطبكما؟
- قالتا: لا نسقي حتّى يصدر الرّعاء، وأبونا شيخ كبير.

حيث يعمل على ترتيب مدارج الحوار على حفظ الوقت المستقطع للتّفكير بين المتحاورين وأثناءه.

أمّا ما بعد عودة الفتاتين إلى البيت، وإخبارهما أباهما بمجريات الأحداث، فإنّ الحوار سيكون بينهما وبين أبيهما،، ويستأنف النّصّ القرآنيّ بمقولة إحداهما لأبيها:

قالت إحداهما: يا أبت استأجره ، إنّ خير من استأجرت القويّ الأمين.

ليس من شيم فتاة عرف عنها الحياء، أن تبوح بمشاعرها تجاه رجلٍ بوحًا سافرًا، ولكنّها لجأت إلى الكلام الجامع المانع « **الّذي لا يُزاد عليه، لأنّه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان في القائم بأمرك، والمتعهّد لشؤونك، وهما الكفاية والأمانة، فقد فرغ بالك، وتمّ أمرك، وسهل مرادك، ولأنّه ذهب مذهب المثل المضروب [...] وفيه التّعميم، الّذي هو أجمل وأليق في مدح النّساء للرّجال المدح الخاصّ،**

وأبقى للتّحشّم والتّصوّن، وخصوصًا بعد أن فهمت غرض أبيها، وهو تزويجها منه، وقد كان عمر ابن الخطّاب يعجب بهذا التّعبير، ويرمق سماءه في دعائه فيقول: " أشكو إلى الله ضعف الأمين وخيانة القويّ" »[1]، فينتهي صوت المرأة في هذا النّموذج نهاية تدرجها ضمن قائمة الحكماء،، إذ لا حكيم- شهد له بهذه الخصلة- إلّا وقد وطّن الصّمت والتّفكير، قبل السّرعة في الكلام،، وهذا بعض إيحاء الوقف في الآيات الكريمة،، ولا ينتهي دور الوقف على المواضع المشار إليها بما ذكر،، ولكنّه ذو شأن مع الكلمات المعنيّة حال التزام القارئ به عندها يبيّنه الجدول الآتي:

الكلمة	إعرابها	الحركة الإعرابيّة الأصليّة	ما آلت إليه الحركة الإعرابيّة
تذودان	فعل مضارع مرفوع بثبوت النّون لأنه من الأفعال "5 " والألف ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ رفع فاعل.	الألف، ولكنّ الوصل يثبت كسرة النّون.	سكون الألف دائم، ولكنّ كسرة النّون تؤول إلى سكون حقيقيّ (ظاهر).
خطْبُكما	خبر المبتدأ" ما الاستفهاميّة" مرفوع، وعلاقة رفعه الضّمّة الظّاهرة، الكاف: ضمير متّصل في محلّ جر بالإضافة، الميم: عماد، والألف للتّثنية.	السّكون المقدّر على ألف التّثنية.	سكون مقدّر على الألف.
الرّعاء	فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة الظّاهرة على أخر.	الضّمّة الظّاهرة.	سكون حقيقي (ظاهر).
لنا	جارّ ومجرور متعلّقان ب " سقيت".	السّكون المقدّر على الألف.	سكون مقدّر.
استأجره	فعل امر مبنيّ على السّكون الظّاهر، والفاعل ضمير مستتر تقديره: أنت، الهاء: ضمير متّصل مبنيّ على الضّم في محل نصب مفعول به.	الضّمّة لفظًا، والفتحة محلًا.	سكون حقيقي(ظاهر)

الجدول (07) : أثر الوقف على كلمات ذات محالّ إعرابيّة متنوّعة.

[1] – محي الدّين الدّرويش: إعراب القرآن وبيانه، دار اليمامة و دار ابن كثير ، ط : 07 ، 1999 ، سوريا ، ج: 05، ص: 596.

ومن خلال الملاحظة لما جاء في الجدول يتبيّن حفاظ القف عل امتصاص الحركة الإعرابيّة أيًّا كانت قوّتها، ونوعها،، فيعطي جماليّة صوتيّة أثناء القراءة، في غير إخلال بما جاء به المفسّرون، ودون تعارض مع المعاني المستفادة من وصل المركّبة.

02-04- من جماليّات وقف التّعانق/التّجاذب في خطاب الله- تعالى- نساء نبيّه-ﷺ- التّقوى مناط شرف نسبة نساء النّبيّ- ﷺ- إليه.

يقول تعالى:﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ ﴾ الأحزاب: 32.

من بيت النّبيّ الكليم موسى- عليه السّلام- إلى بيت النّبيّ الحبيب - ﷺ-، حيث يقف البحث عند عتبة بيته الكريم،، فيسمع نداء قدسيّا، يخاطب فيه آله- ﷺ- مباشرة،، أمّهات المؤمنين- رضوان الله عليهن-،، ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ ، أو ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ ﴾ عملا بجواز الوقف على إحدى الكلمتين،، لا عليهما معًا،، وفق ما يقتضيه وقف التّعانق الّذي يتحتّم فيه « **أن يكون الكلام له مقطعان على البدل كلّ واحد منهما إذا فرض فيه الوقف، وجب الفصل في الآخر**»[1] والمشار إليه بالعلامة ∴ ∴، حيث تحصر الكلمة بالنّقاط المثلّثيّة دلالة على إمكانيّة قراءتها باعتبارها تتمّة جملة آنفة، أو كونها مستهلّ جملة جديدة، وباعتبارها الإمكانيّة الأولى، فإنّ « يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ» تمثّل إعلانًا خاصًّا من الله- جلّ شأنه- بكرامة أزواج رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- عليه، وإشادة بمكانتهنّ عنده،، على وجه الإطلاق،، على جميع النّساء « **قال ابن عبّاس: يريد: ليس قدركنّ عندي مثل قدر غيركنّ من النّساء الصّالحات،، أنتنّ أكرم عليّ، وثوابكنّ أعظم لديّ**»[2]، وهذا حكم بالرّفعة الّتي نالتها أمّهات المؤمنين - رضوان الله عليهنّ- عند الله يظهره مطلع الآية الكريمة – كالآيات قبلها وما يليها- ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ ﴾ « **فإنّهنّ لسن كأحد من نساء الأمّة لحسن سابقتهم *، واقترانهنّ بالنّبيّ –** ﷺ-»[3]؛ إنّ الوقف

---

[1] – عبد العزيز علي الحربي: وقف التّجاذب (المعانقة)، مقال بمجلّة: جامعة أمّ القرى لعلوم الشّريعة واللّغة العربيّة و آدابها، ج: 19، ع:31، سنة: 1425 هـ، ص: 26.

[2] – البغويّ: معالم التّنزيل، ج: 06، ص: 348.

*- هكذا وردت، والأصحّ: سابقتهنّ.

[3] – البغويّ: معالم التّنزيل، ج: 06، ص: 348.

على" النّساء"، بجعل القارئ والمتلقّي كليهما؛ يستشعر مدى التّجلّة الّتي أولاها المولى- جلّ وعلا- لأمّهات المؤمنين،، ويوحي - إضافة إلى ذلك- بعلوّ وشرف مكانة رسوله- صلّى الله عليه وسلّم- عنده،، فهؤلاء النّساء،، ما كنّ ليحظين بما حظين به لولا هذه العلاقة الّتي جمعتهنّ بالشّريف الشّفيع - صلّى الله عليه وسلّم-،، بعض هذا التّخريج لدلالة الوقف على " النّساء" أيضًا،، تمام معناها،، ووجود جملة جديدة بعدها مستأنفة بجملة الشّرط « إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ »، وجوابها وارد في قوله – تعالى - : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ الآية،، حاضره فيه الفاء الرّابطة له،، وبهذه القراءة الموقف فيها على " النّساء "، يعلّم الله- تعالى- هؤلاء الشّريفات سبيل التّقوى وشرطها ، إذ « **ينهاهنّ حين يخاطبن الأغراب من الرّجال أن يكون في نبراتهنّ ذلك الخضوع الّيّن الّذي يثير شهوات الرّجال ويحرّك غرائزهم، ويطمع مرضى القلوب ويهيج رغائبهم!**»[1].

أمّا قراءة الآية الكريمة باتّباع الإمكانيّة الثّانية ، المتمثّلة في الوقف على " اتّقيتنّ " فتفيد أنهنّ لسن كالنّساء الأخريات إن اتّقيتنّ [...] يخصّص المعنى ويشرط بالتّقوى، فيتعارض مع مقام الإطلاق الّذي أفاده التّخرّج في القراءة الأولى،، ذلك أنّ التّشريف الإلهيّ لنساء النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم- ليس مجّانيّا،، وماهو لمجرّد توفّر هذا التّعريف بالإضافة إلى الحضرة النّبويّة ونسبتهنّ إليه،، إنّما هو مشروط،، مقيّد « **إن اتّقيتنّ**»،، **وصحيح يا نساء نبيّ الأمّة، حيازتكنّ مقامًا « لا يشاركنّ فيه أحد،، ولا تشاركن فيه أحد،، وإنّما ذلك بالتّقوى، فليست المسألة مجرّد قرابة من النّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم-، بل لابدّ من القيام بحقّ هذه القرابة في ذات أنفسكنّ**»[2]،، في حين تكون الفاء في" فلا تخضعن..." استئنافيّة محضة،، وما بعدها شرح لبنود التّقوى اللّازم تحلّيهنّ به و من ثمّ اختيارهنّ " نساء النّبيّ"- ﷺ-، من عدم خضوع في القول والتزام القول المعروف مع الأجانب من الرّجال،، - والله أعلم-.

وممّا ذكر،، يمكن ختام هذا المبحث على إضاءات دلاليّة،، اشتغل وقف التّعانق (التّجاذب) على تلمّس بعض شذراتها ومعانيها الّتي تجاذبها التزام القارئ على إحدى الكلمتين في الآية- أعلاه-، يصلح التّمثيل البيانيّ الآتي لاختصارها:

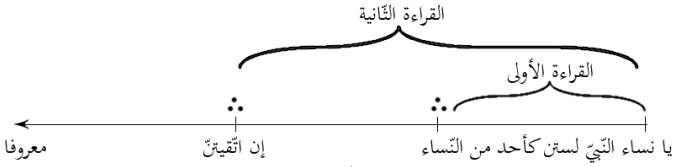

رسم بياني متعلّق بوقف التّعانق

[1] – سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج: 05، ج:22،ص: 2759.

[2] – سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج: 05، ج:22، ص: 2758.

المبحث الثّاني

من جماليّات النّغم بالوقف على الفاصلة القرآنيّة في خطاب القرآن المنوط بالمرأة

01 - عتبة : الفاصلة القرآنيّة : تعريفا و أنواعا

02 – من جماليّات النّسق الأغنّ للفاصلة القرآنيّة

02 – 01 – من جماليّات غنّة النّون بعد ياء المدّ أو واوها

أ – من تبعات شراكة المرأة زوجها معصيته

ب – المرأة الآية و أمّ الابن الآية

02 – 02 - من جماليّات غنّة الميم بعد ياء المدّ

خطاب اللّه – تعالى – المرأة المؤمنة كخطابه عموم المؤمنين

02 – 03 – من جماليّات الانزياح الدّاخليّ للفاصلة القرآنيّة

المرأة الموحى إليها

02 – 04 – من جماليّات نسق الجهر للفاصلة القرآنيّة

الخطاب الخاصّ بالمرأة في بيت النّبوّة

03 – قبل تمام الوقف : خلاصة الفصل الأوّل

03-01- عتبة : الفاصلة القرآنيّة: تعريفًا وأنماطًا.

حظيت الفاصلة القرآنيّة ببحوث متخصّصة ، أضاءت جوانب طالما أظلمت معانيها ، و استغلقت مفاتحها على ما قبل زمن الدّراسات اللّغويّة والقرآنيّة ، إذ تشغل فضاء من الأهمّيّة كبيرا – إن على مستوى الإيقاع الواسع ، وإن – كما قال عنها (السّيّد عبد الغفّار)- لـ « **ما تضفيه من جمال و روعة في التّعبير القرآنيّ ، من عوامل إظهار المعنى الوارد في الآية و تلاؤمه تمام الملاءمة** »[1]لما يتحقّق فيها من الرّواء الصّوتيّ في بديع الجرس النّاتج عنها ، والمعنى المعجز في سرّ تآلف أصواته ، وتأكيدا لوجهة النّظر هذه يقول (الرّمّانيّ 269هـ /386 م) :« **الفواصل حروف مشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني.** »[2] .

و من المتّفق عليه أيضا ، أنّ الفاصلة القرآنيّة أحد دواعي الوقف عند تمام المعنى و بالسّكت على ساكن ، تذوب فروق العامل النّحويّ ، لأنّ العرب لا تقف إلاّ على ساكن « **و لهذا ساغ مقابلة المرفوع بالمجرور،و بالعكس، كقوله-تعالى-:**﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ **مع قوله – تعالى** – : ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ **و**﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾الصّافّات»[3] ، فلا كسرة للمضاف إليه المجرور مقابل انعدام الضّمّة و تسكينها ، و هي علامة النّعت المرفوع في الآيتين العاشرة الحادية عشرة.

و قبل الخوض في تجلّيات الدّلالة الصّوتيّة للفاصلة القرآنيّة لا بدّ من الإشارة إلى بعض متعلّقاتها :

03-01-01 – تعريف الفاصلة القرآنيّة : أ – لغة : هي : « **الخرزة الّتي تفصل بين الخرزتين في النّظام ، و قد فصّل النّظم ، و عقد مفصّل ، أي : جعل بين كلّ لؤلؤتين خرزة .**»[4]

---

[1] – حسين نصّار : الفواصل ، مكتبة مصر ، (د – ط) ، القاهرة 1999 ،ص :197.

[2] – أبو الحسن عليّ بن عيسى الرّمّانيّ :النّكت في إعجاز القرآن ، ضمن كتاب " ثلاث رسائل في الإعجاز : محمّد خلف الله و محمّد زغلول ، دار المعارف بمصر ، ط2 ، مصر ،1956 ،ص :97.

[3] – كمال الدّين عبد الغنيّ المرسيّ : فواصل الآيات القرآنيّة ، المكتب الجامعيّ الحديث ، ط1 ، الإسكندريّة ، 1999، ص :148.

[4] – ابن منظور : لسان العرب المحيط ، ج:2 ، ص :1011.

ب – اصطلاحا : هي : «**الكلمة الّتي تكون آخر الآية ، وهي كقافية الشّعر و قرينة السّجع و قال بعض القرّاء : الفاصلة : هي : الكلمة الّتي تكون آخر الجملة ، ففرّق بين الفواصل و رؤوس الآي ، وجعل الفواصل أعمّ منها ، فيكون كلّ رأس آية فاصلة ، و لا يكون كلّ فاصلة رأس آية** .»[1] ، و الفاصلة القرآنيّة كالخرز و اللّؤلؤ المفرّق بين آي الذّكر الحكيم .

جـ – سبب تسميتها: " فواصل " فهو أمران : أوّلهما : دلالة الكلمة ، حيث ينفصل عندها الكلامان ، ، أو يحدّ بها بين كلامين ، و ثانيهما : السّند من القرآن الكريم * المتمثّل في قوله – تعالى– : ﴿**كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣**"﴾ فصّلت : 03.

و أمّا من الجانب اللّسانيّ ، فإنّ الفاصلة القرآنيّة مظهر صوتيّ متميّز ، استولى على مساحات بحثيّة صوتيّة غير قليلة ، لاعتبارها « **من الفونيمات التّطريزيّة** »[2] الّتي تحظى باهتمام كبير من قبل الدّارسين الّذين أولوها عنايتهم ، فالجرس الموسيقيّ المنثال أثناء إصدار الفاصلة حال توافقها أو عدمه في السّورة الواحدة ، و كذا تغيّر الدّلالة عند انكسار الرّتابة النّحويّة لضرورة مراعاتها ، يعكسان بعض معالم **الأسلوبيّة الصّوتيّة la phonostylistique أو علم الجمال الصّوتيّ** ** و أنواع الإيقاع المترتّب عن التّكرار و التّقابل و غيرهما ، ممّا يندرج ضمن مصطلح " الموسيقى الدّاخليّة " للنّصوص ؛ و هذا الفنن من أفنان الدّراسة الأسلوبيّة ، يعتمد وجهة نظر **لسانيّة – تعبيريّة linguistique – expressive** ، يسعى البحث في مرحلته هذه إلى تتبّع بعض مظاهرها ذات الصّلة بالوقف على الفاصلة القرآنيّة ، مختارا تصنيف النّماذج المختارة وفق الأنساق الصّوتيّة الشّهيرة لها ؛ وعليه ، يتحتّم ذكر **مفهوم النّسق الصّوتيّ للفواصل ، فهو : « نسق يجمع أصواتا مختلفة في نوعها و متّفقة في خصائصها الصّوتيّة ، ففي غير موضع في القرآن الكريم تستقلّ الآية بفاصلة مختلفة عن الفواصل الأخرى ، و قد آثرنا**

---

[1] – الشّيخ طاهر الجزائريّ الدّمشقيّ : التّبيان لبعض المباحث المتعلّقة بالقرآن على طريق الإتقان ، اعتنى به : عبد الفتّاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلاميّة بحلب ، ط :3 ، 1412 هـ ،ص :247.

* – ينظر : صلاح عبد الغفّار الخالديّ : إعجاز القرآن البيانيّ و دلائل مصدره الرّبّانيّ ، دار عمّار ، ط : 01 ، عمّان ، 2000، ص : 319.

[2] – حسام البهنساويّ : علم الأصوات ، مكتبة الثّقافة الدّينيّة ، ط : 01 ، القاهرة ، 2004 ، ص :107.

**–أوّل من استعمل هذا المصطلح هو : نيكولاي تروبتسكويN.TRUBETZKOY ، في كتابه : أ صول الفونولوجيا عام 1936 ، بألمانيا، للمزيد ، ينظر : محمّد إبراهيم الضّالع ،: الأسلوبيّة الصّوتيّة ، دار غريب للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، (د – ط) ، القاهرة .

تسمية هذا النّمط بالعنقوديّ. »[1] الّذي يثمر أنساقا ثانويّة ، تظهر مفاهيمها مع النّماذج الموافقة لها خلال المقاربة – بإذن الله تعالى – .

و فيما يلي جدول تعرض فيه الشّواهد محلّ البحث المتعلّق بهذه المرحلة ...

الرّقم	السّورة	الآية	الشّاهد – الفاصلة القرآنيّة –
01	البقرة	35	الظّالمين
02	آل عمران	42	العالمين
03		43	الرّاكعين
04		44	يختصمون
05		45	المقرّبين
06	طه	38	يوحى
07		39	عيني
08	التّوبة	72	العظيم
09	الأحزاب	28	جميلا
10		29	عظيما
11		30	يسيرا
12		31	كريما
13		32	معروفا
14		33	تطهيرا
15		34	خبيرا

الجدول (08) : الآيات محلّ المقاربة في المبحث الثّاني من الفصل الأوّل

[1] –عمر عبد الهادي عتيق : الأسلوبيّة الصّوتيّة في الفاصلة القرآنيّة ، مجلّة المنارة ، مجلّد :16 ،جامعة آل البيت ، الأردن ، ع :03 ، ص: 03.

03 – 02 – من جماليّات النّسق الأغنّ للفاصلة القرآنيّة

03–02 – 01 – من جماليّات غنّة النّون بعد ياء المدّ أو واوها.

أ – من تبعات شراكة المرأة زوجها معصيته .

المثال القرآنيّ المقترح لدراسة فاصلته في هذا الصّنف النّسويّ ، هو أوّل امرأة خلقت لآدم منه ،،،هي أمّنا " حوّاء " يقول المولى – تبارك و تعالى – في حكايته عن وحيه لآدم – عليه و على رسولنا السّلام – :

﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾البقرة : 35

إنّ الفاصلة القرآنيّة في هذه الآية الكريمة هي آخر كلمة " الظّالمين " و تحديدا (الياء و النّون) إنّها من حيث موقعها الإعرابيّ " اسم مجرور بـ " من " و علامة جرّه " الياء " لأنّه جمع مذكّر سالم ، غير أنّ الملاحظ هو أنّ الخطاب في الآية الكريمة جاء موجّها للمفرد ، ، فإذا يختتم بالجمع ،، لا ريب أنّ السّورة عموما ، جاءت فواصلها إمّا بـ (ياء + نون) ،، أو (واو+ نون) أو (ياء +ميم) و أحيانا تدخل ضمن السّياق فواصل أخرى تكسر الإيقاع العامّ و تخرج به عن المتوقّع ، حفاظا على لفت انتباه المتلقّي ، و عليه ؛ فإنّ ما كان متوقّعا أن يقال فيه " فتكونا ظالمَين " ورد للحكمة الإلهيّة : ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ رعاية للمدّ الشّامل للسّورة ، إذ بخروجهما عن الأمر الإلهيّ ، يدخلان في دائرة الظّالمين ، و لن يكونا ظالمين ، و كأنّه – جلّ و علا – يخفّف عليهما خطأهما رغم ثقله ، فهما ضمن مجموعة أكبر، و كثيرهم ظالمو أنفسهم، و كما يقال " إذا عمّت خفّت " متا دام الغفّار هو الله ، و ما دام هو أعلم و أدرى بخلقه .

إنّ الخطاب القرآنيّ حين يسرد حادثة معصية آدم – عليه السّلام – ثمّ يشير بجلاء إلى شراكة " حوّاء " فيها ، و قبل ذلك هي شريكته في السّكنى « ٱسْكُنْ » ثمّ « أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ » ثمّ « وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا » بعدها « حَيْثُ شِئْتُمَا » و يتواصل الخطاب بصيغة المثنّى تحذيرا لهما ، « وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ » ليتوقّف عمل " ألف المثنّى "لاشتغال " الياء و النّون " موافقة لعموم

الواقع الصّوتيّ في سورة البقرة ، الّتي « **تنتهي فواصلها بحرف من حروف المدّ مع النّون أو المدّ مع الميم ، في الأغلب الأعمّ ، إذ المعنى هو المقصود ، [..] فلا تكون زينة الكلام بالسّجع على حساب المعنى** .»[1]و منه ، فإنّ هذا الكسر لإيقاع الخطاب ، إنّما ورد للحكمة الإلهيّة « فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ » رعاية للمدّ الشّامل في فواصل السّورة ،، مظهرا ونسقا عنقوديّا تتواءم فيه الأصوات ، و تحافظ على اتّصالها الإيقاعيّ ضمن بقيّة الآيات فيها ،، و هو بدوره يحيل الأفهام على جانب دلاليّ مفعم بتضخيم حجتم الخطأ – إن وقع من آدم وحوّاء – ، إذ بخروجهما عن الأمر الإلهيّ يدخلان دائرة الظّالمِين ،، و لن يكونا ظالمَين وحدهما ؛ و في الوقت ذاته ،، ومقابل فداحة الخطأ المؤدّي إلى وصمهما بالظّلم ، تحضر" من " التّبعيضيّة ، و بذلك فالخطأ الصّادر عنهما ينسبهما إلى مجموعة أكبر ، فكثير هم ظالمو أنفسهم بالمعاصي ، فإن اتّجهت الملاحظة إلى التّقطيع الفونولوجيّ لـ " ظالمين " ينتج ما يلي :

ظالمين = ظ + ـَ +ا +ل +ـِ + م + ـِ + ي +ن + Ø

صائت + صائت طويل + صامت + صائت قصير + صامت +صائت طويل +صامت

و بذلك يكون مقطع الفاصلة الموقف عليه مغلقا طويلا ، و الوقف على هذا النّوع من المقاطع المغلقة – كما في الآية الكريمة – يحيل الأفهام إلى دور الياء المدّيّة ، عند قراءتها بالتزام المدود الأربعة ، – احتراما لقواعد التّجويد القرآنيّ – في دلالة جليّة على كثرة عدد " الظّالمين "الّذين لا يمثّل منهم " آدم وزوجه حوّاء " إلاّ بعضا " من " جملته .

أمّا إعادة النّظر في صوت "النّون " المعتبر« **مورفيما ** مقيّدا ، يدلّ على العدد و الجنس بإلحاقها [..] إذا وقعت بعد" ألف التّثنية "او" يائها " مثل "معلّمان " " المعلّمَين " أو " واو جمع المذكّر السّالم " أو "يائه، إذ تكون مورفيما مقيّدًا يدلّ على الجمع والجنس "المهندسون – المهندسين"»[2] ؛وبذلك، فقد أدخلت "حوّاء" المرأة إلى جنس الذّكور من حيث الجرم وسابقة المعصية الّتي ارتكبتها "كآدم" الرّجل.

[1] – كمال الدين عبد الغنيّ مرسي : فواصل الآيات القرآنيّة ، المكتب الجامعيّ الحديث ، الإسكندريّة ، مصر ، ط1 ، 1999 ، ص : 60

[2] –عبد القادر عبد الجليل: علم اللّسانيّات الحديثة، دار صفاء للنّشر والتّوزيع، ط: 01، أبوظبي، 2002م ، ص: 303.

والياء والنّون عند الأصواتيّين، صوتان يشتركان في عديد صفات، كما في الجدول الآتي:

الصّوت	المخرج	الصّفة
الياء المدّيّة	وسط اللّسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى.	مجهور– رخو– منفتح– مستفل– مصمت– خفيّ.
النّون	طرف اللّسان وما يحاذيه من غار الحنك الأعلى.	مجهور– بينيّ– منفتح– مستفل– مندلق– أغنّ.

جدول (09) :تحليل لصوتَي الياء المدّيّة والنّون.

وبناء عليه، فإنّ الجهر، والانفتاح، والاستفال، صفات ثلاث يسّرت هذا التّناغم في تكوين فاصلة " الظّالمين"، أمّا فيما يميّز " النّون" من صفات عن الياء، فهو هذه الغنّة الّتي تشحنه بالقوّة الإسماعيّة العالية بموسيقيّتها « **الّتي تساعد على اجتياز مراحل التّأوّه والأنين وضروب التّعبيرات الانفعاليّة، وتؤدّي وظيفتها الصوتيّة عبر سلوكيّات متنوّعة** »[1] على المستوى النّحويّ – كما أشير إليه آنفا – أو على المستوى الدّلاليّ ، الّذي لا يخفى ما يشير إليه النّصّ القرآنيّ من جرائر " الظّلم " على أ صحابه ،، فأنين النّفس ،، وعذاب الضّمير،،لا ينفكّان يلازمان المؤمن إذا قارف معصية ،، و ليست " حوّاء " في شراكتها زوجها إلاّ نموذجا من هؤلاء ، و لكنّ رحمة الله عباده المؤمنين التّوّابين بعد الخطأ لم تتخطّاها بشهادة الآيات الموالية ، من السّورة ،،فسبحان من اختار لوحيه أدلّ الكلمات ، و أوقع الفواصل ، كفاصلة النّون الجامعة بين الجهر ،، و الغنّة الرّقيقة ،، أو هي « **النّون الأنيسة** »[2] ،، الباعثة على الإحساس بأنس الله لعباده التّوّابين ،،فيُتوقّف عند القراءة لتمام المعاني المتكاملة ،،الظّاهر تدافع بعضها ببعض ،، و هكذا هي التّربية الرّبّانيّة لعباده المؤمنين ،، – و الله أعلم – .

[1] – عبد القادر عبد الجليل: علم اللّسانيّات الحديثة،، ص: 415–416.

[2] – أحمد زرقة : أسرار الحروف ، دار الحصاد للنّشر و التّوزيع ،ط : 01 ، 1993 ،سوريا ، ص :126.

ب – المرأة الآية و أمّ الابن الآية

يقول الله – تعالى – في هذا النّموذج النّسائيّ الفذّ في إيمانه :

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾.
آل عمران : 42 – 45.

الفاصلة عينها ،، صوت مدّيّ و نون مقيّدة ،، في آيات تروي خطابا ربّانيّا تكفّلت به الملائكة ، لتوصله إلى سيّدة ،، أراد لها الله– في عليائه – أن يبقى التّنويه بمكانتها ،، ذكرا في دنيا الأحياء ،، إلى يوم يبعثون ،،

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾
آل عمران :42

إنّه نداء التّشريف ،، بالاصطفاء و الطّهارة ثمّ اصطفاء آخر ،، أو هو طهارة معلنة أصداؤها في سمع الكون بجميع أحيائه ،،أنّ هذه المرأة عفيفة ،،لا غبار على ذلك في شخصيّتها بشهادة الله و ملائكته ،،محصورة بين اصطفاءين ، أفرزهما خلق الطّهارة الّذي ما فتئ اليهود يشكّكون في تمتّع البتول به ،، فكان الاختيار الإلهيّ لهذه السّيّدة ﴿ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، « **بهذا الإطلاق الّذي يرفعها إلى أعلى الآفاق**»[1] .

و تحضر فاصلة " العالمين " كما في " الظّالمين " ياء مدّيّة + نون جمع المذكّر السّالم ، غير أنّ هذا الجمع سالم من ظلم الجمع المذكور في الآية من سورة البقرة ، وهو ملحق بجمع المذكّر السّالم ،،فـ"العالمون " مأخوذة من " العالَم " و هي وحدها كفيلة بالدّلالة على الكثرة ،

[1] – سيّد قطب : في ظلال القرآن ، مج : 01 ،ج :03 ، ص : 395.

و لكنّ " الياء و النّون " أضافاها على كثرة الكثرة ،، تماما كعمل إضافتها إلى " نساء "بدل توقّف القارئ أثناء التّلاوة – لأنّ القرآن اختار هذا التّركيب المعجميّ – بدل الوقف على " النّساء " ، رغم كون الحالين تمثّلان تعريفا لـ" نساء"، أحدها بـ " ال " و الآخر بـ" الإضافة " ؛ بإنعام الفكر قليلا ،، يتّضح أنّ كلمة " نساء " تحيل مباشرة إلى هذا الاصطفاء الكامل وباختصار ،، في حين إذا أضيفت إليها " العالمين " جال الفكر في أهل الأرض « **إمّا على عالمي زمانها أو مطلقا** »[1] مهما بلغن من المكانة الموروثة عن آبائهنّ ، أو المكتسبة من أزواجهنّ و أبنائهنّ..

و بقدر ما تحفظ فاصلة " العالمين " منحى التّشريف للسّيّدة " مريم " ، و بقدر ما ينغلق المقطع الخير منها " الياء و النّون" على معان ممتدّة من الرّفعة الّتي حازتها " البتول " عند ربّها المعزّ ، تكون قد أدّت أيضا وظيفة أخرى ،، تتمثّل في رعاية النّسق الأغنّ للسّورة ، فتمّ الوقف على " العالمين " المضافة إلى" نساء " و ليس إلى " النّساء " بتصوّر الاقتصاد اللّغويّ.

﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾آل عمران :43

نداء الملائكة ،، يعرض فيه القرآن فحوى خطاب خاصّ خصوصيّة الملائكة الأطهار ،، موجّه إلى المطهّرة البتول ،، أن « اقنتي لربّك و اسجدي واركعي مع الرّاكعين »ما دامت حظيت بنعمة الاصطفاء على العالمين « **كان هذا من النّعمة الجسيمة ،، ما يوجب لها القيام بشكرها [..]القنوت دوام الطّاعة في خضوع و خشوع [..] خصّ الرّكوع و السّجود لفضلهما و دلالتهما على غاية الخضوع لله** »[2] .

و تتكرّر الفاصلة المدّيّة " ياء المدّ والنّون " ، حيث تدخل سيّدة نساء العالمين جمعا من العبّاد محدّدا ،،هو جمع الرّاكعين ،أمرت " البتول " أن تكون معهم « **بمعنى : و لتكن صلاتك مع المصلّين ، أي : في الجماعة ، أو : انظمي نفسك في جملة المصلّين ، وكوني معهم**

[1] – السّعديّ ، عبد الرّحمن بن ناصر السّعديّ : تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان ، تحقيق : عبد الرّحمن ابن معلا اللّويحق ، مؤسّسة الرّسالة ، ط : 01 ، 2000 ، بيروت ، لبنان ، ص :130.

[2] – المصدر ذاته : ص :130.

في عداد غيرهم ، ويحتمل أن يكون في زمانها من كان يقوم و يسجد في صلاتــه و لا يركع ، وفيه من يركع ، فأمرت بأن تركع مع الرّاكعين و لا تكون مع الّذين لا يركعون»[1].

كلمـة " الرّاكعين " مثّلت فاصلـة مختتمـة بمقطـع طويـل مغلـق ، تمامـا كفاصلـة " العـالمين " من حيث الوصف الصّوتـيّ ، و قـد اتّحـدت معهـا فـي منـح الآيـة الجـرس الموسيقـيّ الّذي تتدلّـى معـه الغنّـة المنسابـة مـن " النّون " عنـد الوقف عليهـا أثنـاء القـراءة ،، هـذا الوقـف الّذي استـؤنفت جملتـه بنـداء خـرج من الخطاب عن " مريـم " إلـى " خطابهـا مباشـرة " ، وغـاص فـي المعنى من عمـوم " العالمين " إلى خصوص " الرّاكعيـن " فـي نغميّـة وامتـداد يوحيـان بجمـال الرّكـوع لله – تعـالى – و ضرورة الإكثـار منـه !!

يبـدو من النّمـوذج القرآنـيّ الحالي – قيد المقاربـة – أنّ الخطـاب سيتّجـه إلى متلقّ آخر ،، فـي رسالـة لسانيّـة أخـرى ، تذكرهـا الآيـة الكريمـة الموالية ..

﴿ **ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك و ما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم ايّهم يكفل مريم و ما كنت لديهم إذ يختصمون** ﴾آل عمران : 44.

آيـة .. فيهـا منّـة الرّحمن علـى حبيبه – ﷺ –أن آتـاه مـن أخبـار السّابقين ، ولكنّه الوحي المنـزل عليـه ،، و الرّسالـة الّتي خصّ بهـا ، – ﷺ–إذ لـم يكـن شاهـدا علـى **مع ربّها** »[2] ؛أريـدَ لهـا شـأن عـال فـإنّ هـؤلاء « **تشاحنوا و تخاصموا أيّهم يكفل مريم ، واقترعوا عليها بأن ألقوا أقلامهم في النّهر ، فأيّهم لم يجر قلمه مع الماء فله كفالتها ، فوقع ذلك لزكريّا نبيّهم وأفضلهم»**[3] ؛ لقـد دلّت الفاصلـة فـي " يختصمون " علـى شـدّة الخـلاف بيـن هـؤلاء السّدنـة " الرّجال " ، فـلا جنس لامـرأة بينهـم ، بدلـيل " واو المـدّ " المصاحبـة للنّـون ، حيث قيّدتهـا بالجنس ، وبإجراء التّحليـل الصّوتـيّ لهتا نجد مـا يلي :

[1] – الزّمخشريّ : تفسير الكشّاف ، ج:01 ، ص :429.

[2] – سيّد قطب : في ظلال القرآن ، مج :01 ، ج : 03 ، ص : 429.

[3] – السّعديّ : تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان ، ص : 130.

الصّوت	المخرج	الصّفة
الواو المدّيّة	شفويّ من الجوف	مجهور – رخو – منفتح – مستفل – مصمت – ليّن

الجدول (10) : تحليل صوتيّ للواو المدّيّة

لعلّ في امتداد " الواو" الذّكوريّة دليل كثرة الرّجال الفاعلين للخصومة، من أجل الحضوّ بهذه النّذيرة " الأنثى "؛ وبين ثنايا عنقود النّسق الصّوتيّ للسّورة، وتحديدًا لهذه الآيات النّموذج؛ يجد " الواو المدّيّ " مكانه في فاصلة الآية المذكورة، لينحرف عن سابقه وقعا ونغما، رغم وجود النّون الأغنّ في كليهما، يتبيّن هذا من خلال تمثيل النّغمة في كلّ من فواصل الآيات المتناولة إلى غاية هذه المرحلة بالجدول الآتي:

النّغمة / الكلمة	العالمين	الرّاكعين	يختصمون
منخفضة	←	←	
مرتفعة			←

الجدول (11) : النّغمة حال الوقف على النّون بعد صوتَي الياء والواو المدّيّتين.

يظهر الجدول انخفاض الصّوت الّذي يستتبع حال الجرّ بالإضافة، أو بحرف الجرّ، فما الياء في " العالمين "و" الرّاكعين " إلاّ إشباع للكسرة الّتي ينخفض فيها مستوى الشّفتين إلى أدنى، مقابل ارتفاع نغمة الصّوت في فاصلة " يختصمون "، لأنّ " الواو المدّيّة " فيها إنّما هي ضمّة سابقة على " الصّاد " لاءمها " الواو" إشباعا، كأنّ " واو الفاعلين " لا ترضى إلّا بالعلوّ لصدور الفعل عنهم، وليس السّدنة متعلّقين بفعل غيرهم في ذلك، مع إمكانيّة ورود " إذا كانوا مختصمين " بدلا بـ " إذا كانوا يختصمون " ولكنّه جمال القرآن، حين ينزع إلى كسر أفق المتلقّي، وإبعاده عن أسباب السّأم والإحساس بالرّتابة في الكلام المعجز عند كلّ وقف – والله أعلم –.

وعلى نحو انكساريّ يعود الخطاب بصيغة الآية الّتي تسوّرت النّموذج القرآنيّ: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ آل عمران:45.

ويتجدّد فيها ذكر فحوى وحي الله تحمله ملائكته الأطهار،، للسّيّدة البتول ،، تزفّ إليها – هذه المرّة – بشرى لا تقلّ على بشرى التّشريف،، إنّها الأمومة المعجزة،، الّتي هيّئت « **بالتّطهير والقنوت والعبادة لتلقّي هذا الفضل، واستقبال هذا الحدث**»[1] الّذي لم تتوقّعه،، أن يتجدّد خلق الله للإنسان، دون أن يكون الإنسان– أو بالأحرى " الرّجل " – ذا دخل أو سبب إليه، سيخلق ولد من أمّ دون أب،، ولكن،، بكلمة من الله،، إنّه الآية في قومه،، ابن أمّ آية،، وقبل أن تبصر الدّنيا نوره، هاهو يرتقي– بأمر الله – معارج " المقرّبين "؛ وهنا تنتفض الفاصلة القرآنيّة، لتعود بالأسماع إلى نسقها العنقوديّ،" بياء مدّيّة ونون"؛ يمكن أن تحملا في مسافة المدّ جموع المقرّبين ممّن ينتمي إليهم السّيّد المسيح– عليه وعلى رسولنا السّلام –، وجمال القربى من علياء– رضوان الله عليهم– الّتي تحفّهم، كما تحفّ الغنّة دائرة النّون.

لعلّ الوقف على الفاصلة القرآنيّة في هذا المثال النّسائيّ، يوقف الأفهام عند هذه المحطّات الدّلاليّة، ممّا استنبط باتّباع قرائن الصّوت، وعند كثير ممّا لم يفلح في تأمّله بين أصواتها، فذلك بعض ما أفرزته الفاصلة بحضورها المتموّج في الآيات من سورة آل عمران، حين خاطب الوحي نبيّ الأمّة– ﷺ– ساردًا له كيفيّة نيل الصّدّيقة البتول شرف الوحي إليها بطريق مخاطبة الملائكة إيّاها، في مرحلة فتوّتها " فتاة "، وقبل الأمومة لإعلان تغيّر صفتها من البنت إلى الأمّ، فتمثّلت بمعالم جمال السّرد، وجمال القصّة، من خلال الوقوف المتأمّلة في الفواصل المناسبة، والمتناسبة...– الله أعلم–.

[1] – سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج:01، ج: 03، ص: 397.

03-02-02- من جماليّات غنّة الميم بعد ياء المدّ.

خطاب الله- تعالى- المرأة المؤمنة كخطابه عموم المؤمنين.

قال- عزّ من قائل-: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِوَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ التّوبة71-72.

مطلع الآيتين الكريمتين استئناف،، يحمل مقابلة بين طائفة سبقت الإشارة إليها في السّورة،، وأخرى تعرض صفاتها فيهما،، وليس يعني البحث- حاليا- إلّا هذه الأخيرة المتكوّنة من " مؤمنين ومؤمنات " تصافت سرائرهم،، " هم، هنّ "، وتعاهدت أرواحهم " هم، وهنّ " على نصرة بعضهم، والقيام بأسباب تحقيق خيريّة الأمّة، بأمرهم معا- " المؤمنين والمؤمنات " - بالمعروف، ونهيهم- معا- عن المنكر،، وكلّ منهم " مؤمنين ومؤمنات " يقيمون الصّلاة المفروضة عليهم، وعليهنّ، ويؤتون الزّكاة،، ويسعون في طاعة الله،، واتّباع هدي رسوله- ﷺ -،، لا فرق بينهم في التّكاليف،، تماما كما ذكر كلّ جنس ومقابله،، على قدم المساواة،، بما يحفظ في كلّ منهما « **طبيعة الأمّة المؤمنة، طبيعة الوحدة وطبيعة التّكافل، وطبيعة التّضامن، ولكنّه التّضامن في تحقيق الخير، ودفع الشّرّ..**»[1]،،على هذا النّحو،، يلتفت الخطاب القرآنيّ إلى المرأة المؤمنة،، أيّا كانت،، إن خفي اسمها،، أو بعدت أرضها،، أو اختلف لونها،، وغاير لسان العرب لسانها،، إن خيّل إلى هذه المرأة الّتي وحّدت ربّها،، وأسلمت إليه روحها،، واقتدت بنبيّها- ﷺ -، أنّها نكرة مجهولة،، فقد عرّفها القرآن،، أيّما تعريف،، جنبا إلى جنب المؤمن،، بدليل" ال " الاستغراقيّة الشّاملة لكلّ من نالت شهادة " الإيمان "،، إذن،، لا فرق بين المؤمنات والمؤمنين في الذّكر الحكيم،، لا تمايز في الواجبات،، كما لا تمايز في لغة الخطاب،، وأكثر من ذلك،، سيجتمعان" المؤمنون والمؤمنات " في عاقبتهما،، هل سيقول القرآن لهؤلاء المؤمنين كذا، ولأولئك المؤمنات كذا؟،، بل سيذكر ما لهما مجتمعين، رجالا ونساء،، ويضمّهم معا ذكورا وإناثا في زمرة واحدة تشملهم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية، باسم إشارة،، واحد،، يدخلهم

[1] - سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج: 03، ج:10، ص: 1675.

" رحمتـه " –سبحانـه–، سيكونون فيها سواء بسواء،، في الدّنيا رحمة الإيمان والتّوادّ في الله،، وفي الآخرة رحمة المنقلب،، في جنّاته،، وما كلّ ذلك محض صدفة،، أو مجرّد سنّة بشريّة، ولكن ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾، « **قادر على إعزاز الفئة المؤمنة ليكون بعضها أولياء بعض في النّهوض بهذه التّكاليف، حكيم في تقدير النّصر والعزّة لها، لتصلح في الأرض وتحرس كلمة الله بين العباد.**»[1]، هذه الفئة الّتي حملت فيها المرأة– كسميّة زوج ياسر– أعباء الدّين، وعلّقت روحها مُثُله وغاياته،، بنفس تحمّل الرّجل المنتمي إليها أنواء الدّعوة وتمسّكه بمبادئها،، وبهذا التّعقيب الرّبّانيّ،، ينتهي تعريف القرآن للمؤمنات كتعريفه للمؤمنين، وبذلك، يجوز لقارئ الآية الكريمة "الوقف " عند " كلمة " حكيم"، باعتبارها فاصلة قرآنيّة؛ ولكنّها غير منتهية " بياء مدّيّة ونون " وإنّما اتّصلت الياء بصوت الميم فيها،، والميم– كما يظهر في الجدول أدناه– صوت لا يختلف عن " النّون ".

الصّوت	المخرج	الصّفة
الميم	انطباق الشّفتين	مجهور– بينيّ– منفتح– مستفل– مندلق– غنّة.

الجدول (12) : تحليل صوتيّ للميم.

إلّا من حيث المخرج،، وأمّا الصّفات فواحدة،، فيها جهر بما لله من عزّة،، منح منها لعباده المَرضيّين،، وبحكمه الّذي لم يميّز بين الجنسين،، ما دامت الأعمال الصّاعدة إليه تنطلق من أرواح لا آصرة لها إلّا به،، ومن أنفاس لا تسبح إلّا بحمده،، على امتداد حياتهم في الدّنيا والآخرة،، ذكرانا وإناثا،، ولا أغنّ،، من صوت مؤمن ومؤمنة،، هذا تعريفهم،، وهذه مكانتهم،، وعاقبتهم الّتي تنتظرهم،، ممّا جاد به التّحليل الصّوتيّ،، السّاعي إلى تلمّس دلالة الوقف عند نهاية الآية الحادية والسّبعين "71 " من سورة التّوبة،، فما الّذي يربطها بالآية الثّانية والسّبعين من السّورة ذاتها؟!

يقول – تعالى – : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ التّوبة: 72.

[1] – سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج: 03، ج: 10، ص: 1676.

بالوعد- والوعد جميل- تُستأنف الآية،، إذن،، وهو- الوعد- من الله أجمل،، لقومٍ جَمُلت خصالهم وأعمالهم،، وهم المؤمنون والمؤمنات، معًا،، لهم جنّات « **جامعة لكلّ نعيم وفرح، خالية من كلّ أذى وترح، تجري من تحت قصورها ودورها وأشجارها الأنهار الغزيرة، المرويّة للبساتين الأنيقة، الّتي لا يعلم ما فيها من الخيرات والبركات إلّا الله تعالى** »[1]، ولا يزال الخطاب القدسيّ،، يذكر المؤمنين،،- مع أنّ الكلمة شاملة للجنسين- ولا يُغفل " المؤمنات "، بل يؤكّد عليهنّ،، مرّة أخرى،، لهنّ ما لهم من رضوان الله،، وكلّ هذه العطايا،، وجميع هذه الجوائز والخيرات،، أوضح السّياق القرآنيّ أنّها للمؤمنات كما هي للمؤمنين، منذ مطلع الآية ..

وحتّى لا تكون " المؤمنات " جزء من " المؤمنين"، لأنّهنّ ولأنّهم " أولياء بعض " وليسوا " بعضاً من بعض " كالمنافقين والمنافقات مثلا،، ورد أسلوب التّقسيم « **المُؤْمِنِين والمُؤْمناتْ**»،، الّذي لا يفتأ يعود للمّ الطّرفين في نيلهما الوعد الحقّ وهو « الفوز العظيم » و استحقاقهم تفاصيله،، معاً،، رجلا رجلا،، وامرأة امرأة،، سعدوا بالإيمان،، ففازوا فوزاً عظيما،، تمثّل في " رضوان الله " عليهم،، بأن يريهم النّور- جلّ جلاله- وجهه،، « **إنّ لحظة اتّصال بالله،، لحظة شهود لجلاله، لحظة انطلاق من حبسة هذه الأمشاج، ومن ثقلة هذه الأرض وهمومها القريبة، لحظة تنبثق فيها في أعماق القلب البشريّ شعاعه من ذلك النّور الّذي لا تدركه الأبصار،، لحظة إشراق تنير فيها حنايا الرّوح بقبس من روح الله،، إنّ لحظة واحدة من هذه اللّحظات الّتي تتّفق للنّدرة القليلة من البشر في ومضة صفاء،، ليتضاءل إلى جوارها كلّ متاع، وكلّ رجاء،، فكيف برضوان من الله يغمر هذه الأرواح، وتستشعره بدون انقطاع** »[2] ومجرّد الوعد بها يمثّل حقّ ذلك " الفوز العظيم "،، عظمة لا حدّ لها،، دائمة طويلة،، طول المقطع الأخيرة من الفاصلة " العظيم " وما كونه مغلقا،، إلّا لعدم الأحقّيّة فيه لسوء هؤلاء،، المستشعرين جمال الرّبح والفوز الحسن، حسن غنّة الميم،، المعبّرة عن جمال الرّضوان،، ليقف القارئ عند هذا الحكم القطعيّ،، لوجود الفاصلة القرآنيّة، المستحسنة ذلك ما لم يكن هناك معنى فاسد، يستدعي وصل الآية بما بعدها ليصلح ويبيّن، فسبحان من أنزل القرآن،، فيه حقّ للمؤمنات كما هو للمؤمنين،، قبل أن يطلبنه أو يطالبن به،، بل ووعد،، فيه جمال المآل، كما دلّ عليه جمال التّعبير- والله أعلم-.

[1] - السّعدي: تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان، ص: 343.

[2] - سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج: 03، ج: 10، ص: 1676.

03 – 02- 03 - من جماليّات الانزياح الدّاخليّ للفاصلة القرآنيّة.
المرأة الموحى إليها .

يقول- تعالى-: ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ طه: 38-39.

إنّها أمٌّ،، عانت رعشتيْ الخوف والرّجاء،، شخّص القرآن الكريم وضعها في أكثر من سورة،، بما يصوّر حالها ونفسيّتها على نحو لا يضاهى،، هي أمُّ نبيّ الله موسى- عليه وعلى رسولنا السّلام -، وكان للفاصلة القرآنيّة أثر لا يستهان به ودور جليل في إيصال ملامح شخصيّتها المؤمنة...

بنظرة عامّة، كلّيّة للآيتين، يكون البحث بصدد فاصلتين جديدتين، أولاهما اصطلح على تسميتها **بالفاصلة المصدّرة**، وفي تعريف مجمل لها، هي أن يتمّ « **توافق الفاصلة وأوّل كلمة في صدر ما قبلها** »[1]، وتمثّلها فاصلة " يوحي " المتناغمة مع عموم الإطلاق في سورة " طه " المبنيّة على إطلاق الألف، حيث افتتحت الآية بماضي الفعل المضارع " أوحينا "، في حين وردت " عيني " فاصلة،، خرجت عن ذلك الخطّ المتساوق لنغم السّورة، وقبل محاولة تخريج الآيتين صوتيّا ودلاليّا يجري التّحليل الصّوتيّ للصّوت الأخير ألف المدّ فقط، مادام صوت الياء المدّيّة قد تّم تحليله سابقا.

الصّوت	المخرج	الصّفة
ألف المدّ	الفراغ الممتد من الصّدر عبر الحلق والفم إلى خارجه	مجهور- رخوٌ- منفتح- مستفل- مصمت- خفيّ
ياء المدّ	وسط اللّسان وما يحاذيه من غار الحنك الأعلى	مجهور- رخو- منفتح- مستفل- مصمت- خفي

الجدول (13) : تحليل صوتيّ للألف والياء المدّيّين

فإذا عضّد بالتّقطيع الفنولوجي للكلمتين ينتج ما يلي:
يوحي => ي + ـُ + و + ح +ـِ + ى' => صامت+ صائت طويل x 2.

[1] – كمال الدّين عبد الغنيّ المرسيّ: فواصل الآيات القرآنية، ص: 74.

عيني => ع + ـَ + ي + ϕ + ن + ـِ + ي => صامت+ صامت+ صائت طويل.

ومنـه، وبالعودة إلـى الآيـة الثّامنـة والثّلاثيـن "38" تبـدو الفاصلـة " يوحـي " رغـم تقلّبها من حيث الزّمن، محافظة على دلالتها، وكما قال صاحب الكشّاف: « **الوحي إلى أمّ موسى إمّا أن يكون على لسان نبيّ في وقتها، كقوله تعالى: ﴿ وَ إِذْ أَوْحَيْتُ إلى الحواريّين ﴾ أو يبعث إليها ملكًا، لا على وجه النّبوّة [...] أو يريها ذلك في المنام، فتتنبّه عليه، أو يلهمها، كقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَى ربُّكَ إلى النّحل ﴾ أي، اوحينا إليها أمرًا لا سبيل إلى التّوصلّ إليه، ولا إلى العلم به إلّا بالوحي، وفيه مصلحة دينيّة، فوجب أن يوحى لا محالة، وهو أمر عظيم مثله يحقّ بأن يوحى** »[1] ،، هكذا جاء الفعل– للحكمة الإلهيّة– مكوّنا من مقطعين مفتوحين،، بصائِتين طويلين، دون تردّد،، أو حصر للمعاني الممتدّة مع امتداد الفتحة من مقطعه الأخير باعتباره – الفعل– فاصلة، عبّرت بإجمال عن التّفصيل اللّاحق في الآية التّالية، المشحون بطائفة من الأوامر هي « **حركات كلّها عنف،، وكلّها خشونة،، قذف في التّابوت،، وقذف في اليمّ بالتّابوت،، وإلقاء التّابوت على السّاحل**»[2] ها هي الفاصلة المفتوحة تحكي مسيرة الطّفل المسافر في صندوق،، وقلب الأمّ الخائفة،، مسافر معه،، وتتواصل القصّة مفتوحة كانفتاح المقطع الممتدّ لها،، دون علامة وقف أخرى،، ولا فاصلة جديدة، حتّى ﴿ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ﴾ الآية،، كما تقول الآية على لسان المولى – جلّ وعلا–، فيرسو سكون الألف المقصورة بالرّضيع المهاجر من الخوف،، بعد القذف،، ثمّ الإلقاء،، أين؟؟ على ساحل السّفّاح،، أيعقل أن تكون هذه نهاية اليخت الّذي صنعته الأمّ المؤمنة،، بأمر من الله؟؟،، وقد رجته حماية صغيرها،، واستودعته إيّاه؟؟، أن ينتهي بين أيدي زبانية فرعون؟؟..لو تنته الآية الكريمة بعد،، ولم تتبيّن فاصلتها،، فلا يحقّ للقارئ الوقف عند هذا الحدّ مالم يضق فيه نفَس،، ولذلك يُفضّل وتستحبّ منه مواصلة الآية الكريمة،، رغم جواز ذلك واستواء الفصل والوصل هنا،،﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ الآية، بسرعة عجيبة،، جسّدها العطف "بالواو" دون " ثمّ " المتراخية،، إنّه وقف قليل،، ربّما تبلغ فيه قلوب المتلقّين الحناجر،، بعده مباشرة،، تتكشّف القدرة العليّة « **الّتي تجعل من المحبّة الهيّنة اللّينة درعا تتكسّر عليها الضّربات، وتتحطّم عليها الأمواج،، وتعجز قوى الشّر والطّغيان كلّها أن تمسّ حاملها بسوء، ولو كان طفلا رضيعا لا يصول ولا يجول، بل لا يملك حتّى أن يقول**»[3] ،، عناية ربّانيّة،، أوحت إلى امرأة لم يكن لها ذكر في بني إسرائيل،، ثمّ ربطت على قلبها،،

[1] – الزّمخشري: الكشّاف، ج:02، ص: 536.

[2] – سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج: 04، 16، ص: 2334.

[3] – المصدر و الصّفحة ذاتهما.

فرجت ربّها،، وصارت منّة يمنّ بها مولاها على نبيّه موسى- عليه السّلام- أن كانت أمّه ممّن شرفت بوحي الله إليها- بطريقة أو بأخرى-، إذن،، انتهى نصّ الوحي إلى موسى الكليم،، وانتهت وظيفة الألف المقصورة الممتدّة،، في " يوحى "،، كما انتهى دور ياء المدّ في " عيني " بدلالات غير منتهية،، أشاحت المقاربة عن قليل منها،، واحتفظت بما لا حصر منها بكلّ امتداداته الدّلاليّة المطلقة،، إنّه التّرتيب الإلهيّ،، والتّوظيف المعجز للصّوت العربيّ،، فتي الكتاب الخالد،، الّذي أُريد له الغنى بأثقال المعاني،، ما ظهر منها وما بطن، وعلى قدرٍ فوق الفهم البشريّ المتصاغر،، الّذي يحاول التّقلّب بين خطوط وتعرّجات أنساق الفاصلة القرآنيّة،، حال انزياح بعضها،، أو عدمه،، فلا يملك إلّا الاعتراف بجمال وقعها،، ورونق رقّتها - والله أعلى وأعلم- ..

03 –02 – 04 – من جماليّات نسق الجهر للفاصلة القرآنيّة.

الخطاب الخاصّ بالمرأة في بيت النّبوّة.

يقول– تعالى–:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ ۞وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤﴾ الأحزاب 28–34.

بأدب ووجل،، يطرق الموضوع باب بيت النّبوّة الكريمة،، يتسمّع حوار الرّسول المصطفى – ﷺ – مع أهل بيته،، ويرقب نهاية التّعبير القرآنيّ عند كلّ فاصلة، وردت في– الآيات أعلاه –،، آيات خاطب فيهنّ المولى– عزّ وجلّ– نبيّه – ﷺ – ليبلّغ أمّهات المؤمنين– رضوان الله عليهنّ– رسالة متن ربّهنّ– وهو الأعلم بهنّ وبخواطر أنفسهنّ–، « **فرغم كونهنّ نساء النّبيّ– ﷺ – كنّ نساء من البشر، لهنّ مشاعر البشر،، وعلى فضلهنّ وكرمتهنّ، وقربهنّ من ينابيع النّبوّة الكريمة،، فإنّ الرّغبة الطّبيعيّة في متاع الحياة ظلّت حيّة في نفوسهنّ** »[1]، ولأنّه– ﷺ – قد سمت روحه عن بهرج الدّنيا وفتنتها،، فقد خيّرهنّ– بأمر الله– بين أمرين: أوّلهما: عرضته الآية: يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ ﴾ الأحزاب:28، حيث عرض فيها السّراح الجميل،، فما هو؟ إنّه الطّلاق على نحو لا ضير فيه ولا ضرار أو مذلّة،، إنّه سلوك الكريم أصله،، ذي الخُلق العظيم،، بشهادة الله– تعالى – وحيا و " جميلا " فاصلة لاميّة مطلقة عند الوقف،، فيها شحنة جمال التّسريح والحريّة والانعتاق،، متن تقشّف الحياة مع الرّسول الزّاهد،، الّذي لا يتردّد في منح الرّاغبات « سَرَاحٗا جَمِيلٗا »،، « **من دون مغاضبة ولا مشاتمة، بل بسعة صدر،، وانشراح بال، قبل أن تبلغ الحال إلى ما لا**

[1] – سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج: 05، ج: 22، ص: 2854.

ينبغي»[1] من نتائج تتناقض وكلمة " جميلا "، الّتي لا بدّ من إخضاع لامها المطلقة للتّحليل الصّوتيّ:

لصّوت	المخرج	الصّفة
اللّام	لسانيّ– لثويّ– جانبيّ– من أدنى حافّة اللّسان	مجهور– بينيّ– منفتح– مستقل– مندلق– منحرف

جدول (14) : تحليل صوتيّ للّام.

وكأنّ "اللاّم" المطلقة أوحت بجانبيّة الشّقّ الدّنيويّ والحياة النّاعمة، الّتي تنتظر زوجات النّبيّ– ﷺ– إن فضّلن الدّنيا واخترنها،، في جمال ممتدّ لا مهانة فيه ولا عيب،، ولكنّهنّ،، نساء خير البريّة– ﷺ–،، آثرن الخيار الثّاني، في قوله– تعالى – : ﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الآية: 29، الّذي يحمل دعوة إلهيّة للتّسامي والتّعالي عن جواذب الأرض،، والتّمسّك بأسباب الرّفعة إلى مرضاة الله– تعالى–، وصحبة رسوله– ﷺ–،، بترجيح كفّة الدّار الآخرة،، وقد أردن ذلك حقًا وفعلا « **اختيارًا للاستعلاء على متاع الحياة ورغبة خالصة فيما عند الله،، رغبة الّذي يملك، ولكنّه يعفّ ويستعلي**»[2]،، حتّى يلحقن بركب " المحسنات" ذوات الأجر " العظيم" الّذي لا يترتّب إلّا إذا تحلّين بالإحسان المعتبر علّة الشّرف،، لا مجرّد وصفهنّ بزوجات نبيّ الأمّة، فذلك لا يكفي،، بل لا معنى له مع عدم تحلّيهنّ بالإحسان ،، و " عظيما " فاصلة هذه الآية نعت منصوبة كمنعوته " أجرًا"، وعند الوقف عليها،، لن تُقرأ بإثبات النّون السّاكنة في التّنوين، الواقع في آخر مقطع منها، تجنّبًا للحكم عليه بأنّه مغلق،، بل تُقرأ " عظيمًا "؛ فيكون المقطع مفتوحًا ممتدًّا، فتعطى العظمة لا محدوديّة ولا نهائيّة،، تليق بثواب الفائزات بإحسانهنّ عند الله – عزّ وجلّ –،، لأنّه ثواب غير منقطع،، دلّت على ذلك قرينة الألف الّتي أشبعت فتحة الميم،، كما أعطت معنى إشباع الأجر،، مداه المنقطع النّظير،، في جمال ولذّة توحي بها غنّة الميم، الّتي تعكس لذّة النّعيم،، ورغده،، وحسن تفاصيله، لذّة مقترنة بدلائل النّعمة الإلهيّة ممّا يحقّ الجهر بها،، كجهر الميم أيضًا،، فلا شيء أحقّ بالجهر كوجوب ذلك الاعتراف بفضل الله على نساء النّبيّ الكريم،، فليسمع الكون أجر من اخترن الآخرة،، وفضّلن زينة الجنّة على حليّ الدّنيا،، ثمّ ماذا؟

[1] – السّعديّ: تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان، ص: 662.

[2] – سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج: 05، ج: 22، ص: 2853.

إنّه الوعيد،، بعد الوعد،، إنَّه التَّرهيب بعد التَّرغيب،، والعقوبة على المعصية- حال وقوعها- على قدر المكانة..﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠﴾ الأحزاب: 30 إذن لا عقوبة على قدر الخطيئة إن صدرت ممّن شرفن بالنّسبة إلى رسول الله- ﷺ - فإذا « **قارفت واحدة منهنّ فاحشة مبيّنة، واضحة لا خفاء فيها،، كانت مستحقّة لضعفين من العذاب، وذلك فرض يبيّن تبعة المكان الكريم الّذي هنّ فيه ﴿ وكان ذلك على الله يسيرا﴾ لا تمنعه ولا تصعّبه مكانتهنّ من رسول الله المختار كما قد يتبادر إلى الأذهان** »[1]،، وتنتهي الآية الكريمة بفاصلة " يسيرًا " المختتمة بصوت الرّاء المفتوحة الممتدّة، كما يُظهر الجدول فيما يلي:

الصّوت	المخرج	الصّفة
الرّاء	من طرف اللّسان وما يحاذيه من غار الحنك الأعلى	مجهور- بينيّ- منفتح- مستفل- مندلق- منحرف- مكرّر

الجدول (15) : تحليل صوتيّ للرّاء

وكما هو معلوم فإنَّ صوت " الرّاء " عند الإمام " حفص" « **مفخّمة إذا كانت مفتوحة**»[2] وباجتماعها وضمّها إلى الصّفات المذكورة،، فقد جمعت فيها الحكمة الإلهيّة الّتي اختارت هذا الصّوت اللّغويّ ليمثّل نهاية فاصلة تنمّ عن يسر تطبيق العقوبة،، والجهر بها إن تجاوزت نساء النّبيّ- ﷺ - حدود الله تعالى، والحقّ من الحقّ - سبحانه - ، لا غلالة عليه ولا تكتّم،، وهو أهون عليه،، ولا حدّ لتمامه،، إلّا.. ما أراده جلّ في علاه.

﴿ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١﴾ الأحزاب:31؛ وعلى النّقيض؛ إن خضعت كلّ واحدة منهنّ لأوامر الله ورسوله- ﷺ -،، وأحسنت العمل، فإنّ الأجر بمثليه، وأزيد منه،، تجلو ذلك فاصلة الميم المطلقة،، فكرم الثّواب مطلق،، حرّ من المقدار والكمّ، وهو ممتع لذيذ لمن وعدن به- رضي الله عنهنّ وأرضاهنّ -.

هكذا اختارت أمّهات المؤمنين الدّار الآخرة،، واخترن الله ورسوله،، عن غير رجعة... ثمّ يعود الخطاب القرآنيّ،، في نداء الاحترام المتكرّر،، ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ ﴾ بهذه النّسبة الشّريفة

[1] - سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج:05، ج: 22، ص: 2857.

[2] - عطيّة قابل نصر: غاية المريد في علم التّجويد،(بدون دار النّشر)، ط:03، الرّياض، 1987، ص: 166.

إلى نور الأرض ودرّة الأنبياء- ﷺ -،، يعود ويذكّرهنّ بأنّهنّ " نساء " استثنائيّات من جنسهنّ،، متى؟، إن التزمن التّقوى،، وأوّل بنودها في الآية: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ ﴾ الأحزاب: 32،، إنّه أوّل حقوق هذه القرابة من رسول الله- ﷺ -« **ينهاهنّ حين يخاطبن الأغراب من الرّجال، أن يكون في نبراتهنّ ذلك الخضوع اللّيّن الّذي يثير شهوات الرّجال ويحرّك غرائزهم، ويطمع مرضى القلوب وتهيج رغائبهم**»[1].

الفاصلة الموقف عليها هي " معروفا "،، آخرها مقطع مفتوح منته بفاء مطلقة، والفاء وفق التّحليل الصّوتيّ:

الصّوت	المخرج	الصّفة
الفاء	بطن الشّفة مع أطراف الثّنايا العليا- الأسنان -	مهموس- رخو- منفتح- مستفل- مندلق

الجدول (16) : تحليل صوتي للفاء

وبذلك فإنّ في إطلاقه إطلاق للمعروف ممّا لا حرج فيه،، ما دام « **حديثهنّ في أمور معروفة غير منكرة،، فإنّ موضوع الحديث قد يطمع مثل لهجة الحديث** »[2]، لأنّ الكلام المعروف لا يحتاج إلى قيد أو تحديد، فكلّ حديث معروف مباح مادام موافقًا للأدب الرّبّانيّ.

﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ ﴾ الأحزاب: 33.

سلسلة من التّوجيهات القدسيّة، لأهل البيت الكريم،، قرار في البيوت، وعدم مجاراة الجاهليّة الأولى،، مقابل أداء عبارات، تقوم بها أركان النّموذجيّة المنوطة بنساء النّبيّ وبيته الشّريف - ﷺ -، لماذا؟.

[1] – سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج:05، ج: 22، ص: 2857.

[2] – سيّد قطب: في ظلال القرآن. مج:05، ج: 22، ص: 2860

﴿ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا ٣٣ ﴾ الأحزاب: 33،، **« وفي التّعبير إيحاءات كثيرة، كلّها رفاف، حنون، فهو يسمّيهم " أهل البيت " بدون وصف للبيت ولا إضافة،، كأنّما هذا البيت هو " البيت " الوحيد في العالم، المستحقّ لهذه الصّفة، فإذا قيل " البيت " فقد عرف وحدّد ووصف[...] ﴿ إنّما يريد... تطهيرا﴾ و في العبارة تلطّف ببيان علّة التّكليف و غايته ،، تلطّف يشي بأنّ – سبحانه – بأنّه بذاته العليّة يتولّى تطهيرهم ، و إذهاب الرّجس عنهم ، و هي رعاية علويّة مباشرة بأهل هذا البيت.»** [1]

هذا التّطهير غير محدود ، من الله – تعالى– ، ، ذي العطايا غير المحدودة ،،للمذنبين ، فكيف به مع آل بيت خاتم أنبيائه و حبيبه– ﷺ– ؟! ،،لا بدّ أن يكون متكرّرا ما داموا أحياء ،، و لا بدّ أن يكون مطلقا ممتدّا كامتداد الرّاء و تكراريّتها ،، في فاصلة الآية " تطهيرا " ...

آخر توجيه لنساء النّبيّ –ﷺ– في هذا الجزء من السّورة :﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤ ﴾ الأحزاب : 34

تذكير لهنّ ،، بشرف آخر إلى جانب شرف ارتباطهنّ برسول الله –ﷺ – ،، إنّه الوحي المنزل في بيوتهنّ ، **« و إنّه لحظّ عظيم يكفي التذكير به لتحسّ النّفس جلالة قدره ،، و جزالة النّعمة الّتي ميّزهنّ الله بها ، و ضآلة الحياة الدّنيا بمتاعها كلّه و زينتها»**[2] ؛ إنّها دلائل اللّطف الرّبّانيّ الّذي لا يحُلّ إلاّ عن خبرة لا مثيل لها ﴿ إنّ الله كان لطيفا خبيرا﴾ ،، و تعود فاصلة الرّاء ،، لأنّ خبرة الله مطلقة ،، تتكرّر بإرادته – سبحانه – ، فجلّ من اختار للمعاني أشرف القوالب ،، و أوقع الفواصل ،،و أدلّ صفات الحروف ،،– و الله أعلم – .

[1] – سيّد قطب: في ظلال القرآن مج:05، ج: 22، ص:2862

[2] – المصدر و الصّفحة ذاتهما.

04- قبل تمام الوقف: خلاصة الفصل الأوّل

قبل مغادرة الفصل الأوّل من هذا البحث، يمكن القول أنّه قد لوحظ خلاله وجود آصرة دلاليّة بين أنواع الوقف الجائز- باعتباره ملمحًا صوتيًّا قرائيًّا-، من جهة، ومواضعه في خطاب القرآن للمرأة من جهة أخرى، وقد تلمّس البحث جوانب من جماليّات هذه العلاقة، حيث التحمت البلاغة في بابها الكبير "الوصل والفصل" بمعطيات التّحليل الفونولوجيّ للأصوات الموقف عليها؛ أمّا فيما يتعلّق بالوقف الّذي يتمّ اختيارًا على رؤوس الآي الكريم، أو الفاصلة القرآنيّة، حال جواز الوقف عليها وما لم تتّصل آية بأخرى من حيث المعنى والتّركيب، فيمكن القول أنّه مثّل سبيلا إلى معرفة مدى تحقّق الأسلوبيّة الصّوتيّة في أنساق الفاصلة القرآنيّة الّتي اصطبغت بها الآيات النّماذج.

هذا، وقد تبيّن أثناء إجراء المقاربة الدّلاليّة لظاهرة الوقف بنوعيه، توفّر أشكال متعدّدة لأنماط الخطاب القرآنيّ المنوط بالمرأة، فمنه آيات الأحكام الخاصّة بها، ومنها قصص عن نساء تباينت مواقعهنّ الاجتماعيّة، وأخريات تفاوتت درجات إيمانهنّ،، وهو ما يحمله المخطّط العامّ لما ورد في هذا الفصل فيما يأتي:

مخطّط (01) : أنواع الوقوف المصاحبة لخطاب القرآن المنوط بالمرأة

الفصل الثّاني

من جماليّات المماثلة بالتّجاور للقلب في خطاب القرآن المنوط بالمرأة

تَوطئةُ : النّون السّاكنةُ و التّنوين بين علوم اللّغةُ و الصّوتيّات

المبحث الأوّل : من جماليّات قلب النّون السّاكنةُ فى خطاب القَرآن المنوط بالمرأةُ

المبحث الثّانى : من جماليّات قلب التّنوين خطاب القَرآن المنوط بالمرأةُ

... قلب ... و غنّةُ ...فى خطاب

01- توطئة :

يوقد سراج الفصل الثّاني – بإذن الله تعالى – بواحد من أحكام التّرتيل القرآنيّ متعلّق بباب " النّون السّاكنة و التّنوين " ، لأنّ النّون في الحالين ، يستوجب أحكاما أربع ، (الإظهار – الإخفاء – القلب – والإظهار) تنتج عن تضامّه مع غيره من الأصوات أثناء قراءة القرآن الكريم ، فمراعاة كيفيّة إنتاج الأصوات القرآنيّة حال التّركيب ، على قدر من الأهمّيّة جليل ، أشار إليه علماء القراءات ، يؤمّهم في ذلك (ابن الجزريّ) الّذي قال : « **أوّل ما يجب على مريد إتقان القرآن تصحيح إخراج كلّ حرف من مخرجه المختصّ به تصحيحا يمتاز به عن مقاربه ، و توفية كلّ حرف صفته المعروفة به توفية تخرجه عن مجانسه ، يُعمِل لسانه و فمه بالرّياض في ذلك إعمالا يصير ذلك له طبعا و سليقة [...] فإذا أحكم القارئ النّطق بكلّ حرف على حدة مُوفٍ حقّه ، فليعمل نفسه بإحكامه حالة التّركيب ، لأنّه ينشأ عن التّركيب ما لم يكن حالة الإفراد ، وذلك ظاهر ، فكم ممّن يحسن الحروف مفردة و لا يحسنها مركّبة بحسب ما يجاورها من مجانس و مقارب [...] فمن أحكم صحّة اللّفظ حالة التّركيب حصّل حقيقة التّجويد بالإتقان والتّدريب.**»[1]

إلى هذه الدّرجة من الشّرح و التّعليل اهتمّ السّلف من علماء القراءات – وهم في ذلك سواء مع علماء اللّغة – بصون سلاسة اللّسان و حفظه من الثّقل و الرّكاكة الأدائيّين ، فقد « **حرص الذّوق العربيّ على كراهية توالي المثلين و المتقاربين و المتعارضين ، و كان حفيّا بتوالي المختلفين و المتناسبين ، و من هنا وجدنا إجراءات عدوليّة تصريفيّة تتبع في صياغة البنية كالإدغام والإخفاء و الإقلاب و الإعلال و الإبدال و النّقل و القلب ، والحذف و المناسبة ، علاجا لمشاكل تجاور الأصوات الّذي يتّسم بالثّقل** »[2] وهذا ما لا حيّز له في الكتاب المعجزة.

و من المذكور – أعلاه – يجتهد البحث في مرحلته هذه ، متقصّيا بعض جماليّات الخطاب القرآنيّ المنوط بالمرأة ، متحسّسا إيّاها بين مواضع النّون السّاكنة و التّنوين حال مجاورتهما صوت " الباء " ، أي: حين يقلب صوت النّون فيهما ميما ، وهو ما يتطلّب :

---

[1]- ابن الجزريّ : النّشر في القراءات العشر ، ج: 01 ،ص: 214- 215.

[2]- تمّام حسّان : البيان في روائع القرآن ، عالم الكتب ، ط: 01 ، 1993 ، القاهرة ، ص : 348.

01-01 – تعريف القلب : أ – لغة : جاء في اللّسان : « **القلب : تحويل الشّيء عن وجهه ، قلبه يقلبه قلبا**»[1] و في القاموس المحيط : « **قلبه يقلبه : حوّله عن وجهه كأقلبه و قلّبه ، وأصاب فؤاده ، يقلُبُه و يقلِبه ، والشّيء : حوّله ظهرا لبطن كقلّبه** »[2]، أمّا في " القصد النّافع " فترد إشارة لغويّة حول المصدر " إقلاب " إذ يعتبره صاحبه خطأ « **يقوله بعض عوام الطّلبة لأنَ إفعال لا يأتي إلاّ من " أفعل " مثل : أظهر و أخفى ، و لا يقال " أقلب " فلا يقال : إقلاب** »[3]، و بغضّ النّظر عن الخلاف الصّرفيّ فالثّابت كون القلب : تحويلا و جعلا الشّيء على غير أصله ، و عملا بقاعدة : " قد عرفت فالزم " فإنّ مصطلح **القلب** سيعتمد خلال هذه المرحلة من البحث.

ب – اصطلاحا : هو بالنّسبة لكلّ من علماء القراءات و علماء الأصوات : « **قلب النّون السّاكنة أو التّنوين ميما مخفاة في اللّفظ لا في الخطّ ، مع بقاء الغنّة ، وللإقلاب حرف واحد هو الباء**»[4] ، يتمّ ذلك لأنّه « **لا تدغم النّون في الباء لاختلاف الصّفتين و تباعد المخرجين** »[5] و هو ممّا يقبله المنطق الصّوتيّ المحتكم إلى سلاسة أصوات العربيّة و انتقالها المرن أثناء صدورها من أفواه أهلها ، و ما لهم فيها من سُنن ، من ذلك « قولهم عمبر ، أبدلوا النّون ميما في اللّفظ و إن كانت الميم أثقل من النّون ، فخفّفت الكلمة ، و لو قيل عنبر بتصحيح النّون لكان أثقل»[6] .

جـ– علامته في الرّسم القرآنيّ : ترسم ميم صغيرة هكذا " **م** " فوق النّون أو التّنوين المتبوع بالباء.

د– كيفيّته : لقلب صوتي النّون السّاكنة والتّنوين ميما ، لا بدّ من مراحل ينبغي لقارئ القرآن احترامها و الإتيان بها أثناء التّلاوة ، ويتحقّق له ذلك « **بثلاثة أشياء :**

أ– بقلب النّون أو التّنوين ميما لفظا لا خطّا

ب– ثمّ بإخفاء هذه الميم عند الباء [...]

---

[1] - ابن منظور : لسان العرب المحيط ، مج : 03 ، ص : 144

[2] - مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروزآباديّ : القاموس المحيط ، تحقيق : مكتب التّراث في مؤسّسة الرّسالة بإشراف محمّد نعيم العرقسوسيّ ،مؤسّسة الرّسالة ، ط: 01 ، 1993جدّة ، ص : 230

[3] - أبو الحسن عليّ بن محمّد التّازيّ : القصد النّافع لبغية النّاشئ و البارع على الدّرر اللّوامع في مقرئ الإمام نافع ، شرح الإمام محمّد بن إبراهيم الشّريشيّ ، تحقيق: التّلميديّ مجمّد محمود دار الفنون بجدّة ، ط:01 ، 1993

[4] - عزّت عبيد الدّعّاس : الواضح في شرح المقدّمة الجزريّة في علم التّجويد ، دار الإرشاد للنّشر ، ط :02 ، (د – م – ن) ، ص : 70.

[5] - مكّي درّار: الحروف العربيّة و تبدّلاتها الصّوتيّة في كتاب سيبويه ، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب ، ط :01 ، 2003 ، سوريا ، ص : 203.

[6] - ابن جنّيّ : الخصائص ، تحقيق : محمّد عليّ النّجّار ، المكتبة العلميّة ،ط :02 ، ج :03 ، ص :20.

جـ – ثمّ الإتيان بالغنّة مع الإخفاء ، وهي – الغنّة – : صفة الميم المقلوبة ، وليست صفة النّون السّاكنة والتّنوين »[1] ، وعلى نحو توضيحيّ أكثر ، يقول (الغوثانيّ) : « **نقلب النّون أو التّنوين الّذي بعده باء ميما ، ثمّ نطبق الشّفتين إطباقا خفيفا بلطف و لين ، بدون كزّ على الشّفتين ، لئلاّ يتولّد عن كزّهما غنّة ممطّطة من الخيشوم ، و نحرج غنّة الميم من الأنف ، ثمّ ننطق بالباء مجهورة شديدة بتقوية كزّ الشّفتين و الضّغط عليهما قليلا ثمّ بتباعدهما. »**[2]

هذا ، وممّا يلاحظ عن التّعاريف اللّغويّة و الاصطلاحيّة للقلب ، ثمّ ما جاء في كيفيّته ، تأكيدهما جميعا على الغنّة ، لتساوقها مع صوتي النّون و الميم .

01-02- تعريف الغنّة : أ – لغة : يعرّفها (الفيروزآباديّ) : « **الغنّة : بالضّمّ : جريان الكلام في اللّهاة ، واستعملها يزيد بن الأعور في تصويت الحجارة ، غنّ يغَنّ بالفتح : فهو : أغنّ ، [...] و ظبي أغنّ : يخرج صوته من خياشيمه.**»[3] ، فهي : صوت مستقلّ المخرج – الخياشيم –.

ب – اصطلاحا : تعرّف في كتاب (سيبويه) بأنّها : « **حرف شديد يجري معه الصّوت ، لأنّ ذلك الصّوت غنّة من الأنف ، فإنّما تخرجه من أنفك ، واللّسان لازم لموضع الحرف ، لأنّك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصّوت و هو النّون والميم.**» ،[4]

جـ – **مقدار الغنّة** : حدّدت مدّة إنتاج صوتها سواء أكانت نونيّة أم ميميّة بثانيتين ، و هو « **مقدار ألِف ، أي : حركتان ، لا يزاد عليهما و لا ينقص عنهما ، فهي كالمدّ الأصليّ ، يمدّ حركتين بلا زيادة و لا نقص .**»[5]

---

[1] - أحمد بن احمد الطّويل : فنّ التّرتيل و علومه ، مجمّع الملك فهد للطّباعة و النّشر ، ط : 01 ، 1999 ،المملكة العربيّة السّعوديّة ، ج :02 ، ص :780.

[2]- الغوثانيّ : علم التّجويد ، ص: 34.

[3] - الفيروزآباديّ : القاموس المحيط ، ص :122.

[4] - سيبويه : الكتاب ، تحقيق : عبد السّلام هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط :02 ، 1982 ، مصر ، ج : 04، ص:434. ص:434.

[5]- محمود خليل الحصريّ : أحكام قراءة القرآن ، ص : 111.

و تمثّل الغنّة أحد معالم التّقريب الصّوتيّ في اللّغة العربيّة ، أو ما يسمّى عند معجميّي اللّسانيّات و الصّوتيّات **بالمماثلة المتجاورة l'Assimilation voisine** حين «**يتغيّر صوت ليماثل صوتا آخر يجاوره تماما ، في مثل من – بعد ، حيث يتغيّر صوت النّون إلى صوت الميم ، ليماثل صوت الباء الّذي يجاوره .** »[1] بل إنّها تمظهر آخر للمشابهة بين حزم صوتيّة لحروف يجمع بينها ؛ و باعتبار الأصوات الثّلاثة مدار مقاربة هذا الفصل (النّون و الميم و الباء) فهذه جداول تعرّف بها :

النّون	المخرج	طرف اللّسان مع ما يليه من لثّة الثّنايا العليا و الخيشوم
	الصّفة	الجهر – التّوسّط – الاستفال – الانفتاح – الإذلاق – الغنّة

الجدول (17) : تحليل صوتيّ للنّون

الميم	المخرج	الشّفتان مع الخيشوم
	الصّفة	الجهر – التّوسّط – الاستفال – الانفتاح – الإذلاق – الغنّة

الجدول (18) : تحليل صوتيّ للميم

الباء	المخرج	الشّفتان مع انطباقهما
	الصّفة	الجهر – الشّدّة – الاستفال – الانفتاح – الإذلاق – القلقلة

الجدول (19) : تحليل صوتيّ للباء

تعكس الجداول الثّلاثة متانة الوشيجة الصّوتيّة بين النّون والميم و الباء ، والفرق الطّفيف في المخرج ، وكذا القرابة المخرجيّة بين الميم و الباء ، وإجمالا يتبيّن بالملاحظة أنّ « **في الميم شيئا من إطباق الميم ، فإذا اجتمع صوت النّون مع إطباق الباء ، تولّدت منها ميم ، و هذا ما لا يجوز غيره ، ولا تطوّع الشّفة إلاّ به .**»[2] ، بل و لا يرضى النّصّ القرآنيّ إلاّ احترامه

[1] - سامي عيّاد حنّا و كريم زكي جسام الدّين و نجيب جرجس : معجم اللّسانيّات الحديثة ، (د- ط) ، مكتبة لبنان ناشرون ، (د- ت) ، ص :10

[3]- أبومحمّد الحسن بن عليّ بن سعيد : القراءات الثّماني للقرآن الكريم ، تحقيق ة تقديم و تعليق : إبراهيم عطوة و أحمد حسين صغير ، وزارة التّراث القوميّ و الثّقافة بسلطنة عمان ، ط: 01 ، 1995 ، ص :146.

من قِبل كلّ قارئ ليحظى بغايتي فهمه و التّلذّذ بتلاوته ،، فالجماليّة اثنتان : جماليّة هداية و جماليّة ذوق و دراية .

كذلك ممّا يحسن الالتفات إليه ، أنّ جماليّة القلب الصّوتيّ المتوسّل تحسّس شيء منها ، لا تنفكّ تتمسّك في هذه المرحلة بِيَد علم النّحو العربيّ ، لوشيجة إعجازيّة وأخرى دلاليّة ،،و لا غرو في الأمر ، مادامت الغاية طَرْق بعض «**أبواب النّحو على أساس المعنى ، علاوة على كونها ضرورة فوق كلّ ضرورة ، تعطي هذا الموضوع نداوة و طلاوة ، وتكسبه جدّة وطرافة** .»[1] شأنه في الأهمّيّة شأن علم الصّرف الّذي تمثّل فيه الدّلالة «**الأثر المعنويّ المستفاد من تقاطع الدّلالة المعجميّة مع دلالة البنية و تحويلها إلى أبنية مختلفة.** »[2] تسند النّحو والصّوت لتؤلّف نشيد التّأثير في المتلقّي ، و تحقّق الغاية الكبرى للّغة – وفق رأي ابن جنّيّ – : « **اللّغة أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم** »[3] ، وليست تلك الأغراض إلاّ غرضا واحدا في كتاب الله – تعالى – يجسّده جمال العبوديّة له – سبحانه –بعد حسن تناول من مائدة قرآنه .

بناء على ما جاء في هذه العتبة ، يقترب من تقاسيم الجماليّة القرآنيّة في الخطاب المتضمّن مواضيع المرأة ، حال قراءته تجويدا ، يراعى فيه حكم القلب في الآيات الشّواهد من خلال كلّ مبحث على حدة – بإذن الله – تعالى – .

[1]- السّامرّائيّ : معاني النّحو ، ج : 01 ، ص : 08.

[2]- فريد بن عبد العزيز الزّامل السّليم : الخلاف التّصريفيّ و أثره الدّلاليّ في القرآن الكريم دار ابن الجوزيّ ، ط :01 ، 1427 هـ ، الدّمّام ، ص : 62.

[3] - ابن جنّيّ : الخصائص ، ج: 01 ، ص :33.

المبحث الأوّل

من جماليّات قلب النّون السّاكنة في خطاب القرآن المنوط بالمرأة

01 - من جماليّات قلب النّون السّاكنة على مستوى الكلمة الواحدة

أ – إنبات البتول مريم و نباتها

ب – من تربية القرآن للمرأة المسلمة ضرورة كتمانها سرّ زوجها

02 - من جماليّات قلب النّون السّاكنة على مستوى الكلمتين

02-01 من جماليّات الارتباط بين " من " و ظرف الزّمان " بعد "

أ – المرأة مضرب مثل السّوء

ب – طلب العفّة حقّ للأمة المسلمة في القرآن

جـ - أمومة نساء النّبيّ للمؤمنين بالحجر عليه في تبديلهنّ أو الإضافة إليهنّ

02 – 02 - من جماليّات دلالة " من" على البعضيّة

بعضيّة المؤمنين من بعض

02 – 03 - من جماليّات الارتباط بين " عن " و " بعض"

ما كلّ ما بعرف بقال عند العتاب – وإن بين الزّوجين-

02 – من جماليّات قلب النّون السّاكنة في خطاب القرآن المنوط بالمرأة.

02 –01 – من جماليّات قلب النّون السّاكنة

أ – إنْبـــات البتـول مريـم ونباتهـا .

يبـدو أنّ جمـال الخطـاب القرآنـيّ للمـرأة، لا يلبـث يذكـر قصصا لا يملّ قـارئ القـرآن مـن تلاوتهـا، ولا يشـرد السّامـع إن طـرقت سمعـه آياتهـا،، مـن ذلك قصّـة الطّاهـرة " مـريـم "، الّتـي ورد فيها قلب للنّـون السّاكنـة، فأسبغ عليهـا مــن المعاني، مـا يجثــو البحث بـين يديـه،، طالبًـا إيّــاه .

يقـول – تعالـى – : ﴿ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٧** ﴾ آل عمران: 37.

إذن،، هـي أوبــة إلــى سابـق،، ورجـوع إلــى مَشُــوقٍ إليــه ،، إلــى قصّــة سيّـدة مـن سيّـدات نساء الجنّـة، الطّاهـرة" مريم"، وقـد غـادرهـا البحث فــي أوراقــه المـاضية، ولمّـا تـزل رضيعـة سُلّمت إلــى سدنــة المعبـد نـذرًا لله، وها هــو الحكم الإلهــيّ بحـقّ أمّهـا يصدر بقبـول نذرهـا " مريـم ": « فتقبّلها ربّها بقبول حسن» يعني أنّــه « **تقبّـل مريـم مـن أمّهـا، ورضـي أن تكـون محـرّرة للانقطـاع لعبادتـه وخدمـة بيتـه**»[1]، وأجـزل لهـا – لامـرأة عمـران– علامات قبول النّذيـرة، أن حفظهـا مــن الشّيطـان الرّجيم– كمـا طلبت–﴿ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ .

فـي هـذا "الإنبات" الّـذي يغـدو "نـباتـا " " حسنـا" تتكـاثـف أوراق كتابـة الكلمـة" أنبتهـا " حـول زهـرةِ معناهـا ، حـال قـراءة الفعل هكـذا " أمبتهـا " ثـمّ بإتباعـه المصدر" نباتـا " ، فـي حين يُتوقّـع أن يعقب الفعـل " أنبت " مصـدره القيـاسيّ " إنباتـا " ،، فـأيّ جمـال توشّحت بــه الآيـة الكريمـة ، بتوفّـر هـاتين **السّمتيـن الأسلوبيّـتين للانزيـاح الصّوتــيّ déviation phonétique؟!**

[1]- رشيد رضا، تفسير المنار، دار المنارة ، ط :03 ،1367هـ ، ج : 04 ، ص:242.

عندما يقضي علم التّرتيل بحكم قلب "النّون السّاكنة " ميما إذا تبعتها الباء ، وعندما تقرأ الآية الكريمة بلسان قارئ متقِن ، تختفي النّون السّاكنة من " أنبتها " ،، وتترك " الميم " الأغنّ – مثلها – يصوّر عمليّة " إمبات " لم يستغرق زمنا طويلا ، و لا زمنا طويل على الخالق – جلّ جلاله – ،، فالغنّة لا يعدو عمرها ثانيتين أو حركتين ، وهي بذلك أقصر من بقيّة المدود المعروفة في علم التّجويد ،، هي إذن أولى زخّات حسن الآية في حقّ من أُمبِتت " نباتا حسنا " .

لقد استعمل القرآن الكريم الصّيغة " أنبت – نباتا " في مواطن كثيرة ، كقوله – تعالى – : ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧﴾ نوح : 17 ، مخاطبا فيها و في غيرها من مواضع الذّكر الحكيم عموم البشر ،، ولكنّه خصّ ذكر السّيّدة البتول بهذا الوصف لنوع النّشأة إيحاءً «**بالوحدة بين أصول الحياة على وجه الأرض ، وإنّ نشأة الإنسان من الأرض كنشأة النّبات ، من عناصرها الأوّليّة يتغذّى و ينمو ،، فهو نبات من نباتها ، وهبه الله هذا اللّون من الحياة ، كما وهب النّبات ذلك اللّون من الحياة ،، فكلاهما نتاج الأرض ،، وكلاهما يرضع من هذه الأمّ ،، وبعد الموت يعود كلاهما إلى الأرض ترابا** .»[1] ، فلا يُقبَل ممّن عاصر السّيّدة البتول أو عرف سيرتها أن يُهيل عليها فوق المحبّة والاحترام أوصاف العظمة ، فينسيه حقيقتها ، الّتي تتقاطع فيها مع كلّ البشر ،، الأصل الطّينيّ ،، الّذي " أُمبِتت " منه ،، بسهولة ،، سهولة النّبات ،،

بساطة النّشأة المَرْيَميّة ،، ثمّ استقامتها ،، والتّذكير بصيرورتها إلى ما خُلق منه كلّ بني الإنسان أوّل مرّة ،، جماليّات ،، توقّع معانيها " ميم " مقلبة عن " نون ساكنة " ، صحبها في نشر إيقاع الحياة الدّلاليّة ،صوت الغنّة الجميل ،، ليحمل معها ما يبهج الدّنيا في قابل أيّامها ، ،، بتجهيزها لإيفاد جمال الهداية إلى بني إسرائيل ،، عيسى – عليه السّلام – ؛؛ ربّما يكون ذلك همس القبول الحسن ،، يتقاطر في سرّ أمّها إلهاما ،، و لكنّه في أحشائها " إمبات " جديد ،، و بذرة نبات آية من نبتةٍ آية ،، أو هو إيقاع البهجة المنتظرة بكلّ أبعادها و صورها ،، تزرعه في نفس السّامع باقات صوتيّة متموّجة تحملها

[1] – إبراهيم عبد الباقي أبو عيانة : الإنسان و النّبات ، مجلّة حراء ، ع : 31 ، 2012 ، تركيا ، ص :37.

الآيـة الكريمـة ،، طـولا وقِصَرا ،،غنّـــة و مـدودا ،، و لقـاء مـن الهمسـات الخاشعـة يكتسح الأفئدة موجات « **خشـوع تقشعـرّ بهـا الجلـود المؤمنـة و موجـات هـدوء تلين بهـا حركـات مـن التّرتـيل الجسـديّ** »[1]" تَمبت " لتصوّر المـزيد مـن علامات قبـول طاعـة " امـرأة عمـران " ، فبعـد القبـول الحسـن لنـذيرتهـا ،،يتمثّـل " إمباتهـا " " نباتـا حسنـا " ،، و ليـس لـه إلاّ أن يكون كـذلك ،، فقـد ربّاهـا ربّهـا – جـلّ فـي عـلاه – « **و نمّاهـا فـي خيـره و رزقـه ،، وعنايتـه و توفيقـه ،، تربيـة حسنـة شاملـة للـرّوح والجسـد ،، كمـا تربّى الشّجـرة فـي الأرض الصّالحـة حتّـى تنمـو و تثمـر الثّمـرة الصّالحـة ،، لا يفسـد طبيعتهـا شـيء**»[2] ، ولعلّـه السّبب في نسبة " الإمبـات " إلـى النّبـات " الحسـن " الـذّاهب فـي النّمـوّ ببساطـة طبيعيّـة فيـه ،، لا إلى مشقّة " الإنبـات " ...

لـم تكتمل القصّة ،، ولـم تسـرد جميـع تفاصيـل حيـاة السّيّـدة " مريـم " ،، ولكنّـه نثار عطر ،، مـن رحيـق الزّهـرة " أمبتها " ،، و بعض جماليـّاتٍ مـن أثـر قلـب النّـون السّاكنة في الآيـــة ،، التـفّ فيهـا مـع أنسـاق لغويّـة و علميّـة ،، ليثمـــر شجرة مموسقـة المنظر ،، مفعمـة الـدّلالات ،، لم يبصر منهـا البحـث إلاّ بعض وميـض ،، و لـم ينلـه مـن أزهـارهـا إلاّ قليل عبيـر ،، – والله أعلـم –

[1] – محيي الدّين خطيب سلقيني : العمارة والقرآن ، شعاع للنّشر و العلوم ، ط :01 ، 2009 ، سوريا ، ص : 1754.

[2] – رشيد رضا، تفسير المنار، ج : 04 ، ص:242.

ب – **من تربية القرآن للمرأة المسلمة: ضرورة كتمانها سرّ زوجها .**

يقول – تعالى – : ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾ التّحريم : 03

لا ينفكّ البحث في دقيقة من دقائق الحياة أو كلّيّاتها ، يستلهم المثال و يطلب الأنموذج فإذا بسيرة المصطفى – ﷺ – تغطّي الطّلب ،، بل ،، وتعطي الفائض ،،و هاهو الوحي يستغرب من النّبيّ – ﷺ – تحريم ما أحلّ الله له ، ،، يذكر جانبا من جوانب حياته الأسريّة ، فيربّي من خلاله المجتمع المسلم ، و المرأة المسلمة على وجه أخصّ ،، ليرسل فيه أسباب الأمان ، وأوّلها ،، الحفاظ على أسرار الأسرة ،، فما القصّة ؟؟

لقد أخبر رسول الله – ﷺ – زوجه حفصة بتحريمه مارية القبطيّة ، ونبّهها إلى عدم إفشائها الأمر ،، فإذا بها لا تقوى على حفظ أمانة الكلام ، وتطلع عائشة على الجديد الّذي علمته ،، ولكنّ الله الّذي لا يخفى عليه شيء في الأرض و لا في السّماء ،، أوحى إلى رسوله بذيوع ما استأمن عليه زوجه ،،فما كان منه – ﷺ – إلاّ أن اتّجه إلى حفصة و أخبرها بما أذاعته ،، فقالت :﴿ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ؟ ﴾

إنّها تدرك تكتّم رفيقتها عائشة – رضي الله عنها و عن جميع أمّهات المؤمنين – و لم تتوقّع أن يكون عِلمُ النّبيّ بما فعلته غيبا عن طريق الوحي ،، فلعلّها فكّرت بأنّ الوحي لا ينزل إلاّ في قضايا العقيدة أو التّشريع من كبريات الاهتمامات ،، وبذلك نمّ سؤالها عن هوّيّة شخص سمع حديثها مع عائشة – رضي الله عنها – ربّما – ..

و بقراءة الجملة من الآية ، يكون السّؤال " من أمبأك هذا " ؟ لسُلطة الميم المقلبة عن النّون السّاكنة ، الّتي قيل حول أهمّيّتها المخرجيّة و عملها التّسهيليّ في إنتاج الكلمة الواردة فيها ما أشير إليه سلفا ؛ و لكنّها في هذه الآية الكريمة ،

سبقت بهمزة التّعدية في " أنبأ" ، و وزنه الصّرفيّ « **أفعل ، له معان كالتّعدية والصّيرورة ، والسّلب و الإزالة ، والتّعريض و غيرها** »[1] هذا الغير من المعاني تبيحه مقتضيات الدّلالة الصّرفيّة الّتي « **تبني رؤيتها عن طريق الصّيغ و أبنيتها ، وإنّ أيّ تحوّل في الصّيغة يؤدّي حتما إلى تغيّر في محتوى الدّلالة من خلال الإضافة الصّوتيّة أو الحذف الّذي يحُلّ على تركيب الصّيغة الصّرفيّ ، و هذا أمر ملموس بوضوح في أبنية الألفاظ** »[2] .

يلاحظ عن السّؤال " من أمبأك هذا ؟ " شدّة النّبر فيه ، على الهمزة ، نظرا لخصوصيّتها من حيث المخرج ، فهي « **تحدث من حفز قويّ من الحجاب و عضل الصّدر لهواء كثير ، ومن مقاومة الطّرجهاليّ*الحاصر زمانا قليلا لحفز الهواء ، ثمّ اندفاعه إلى الانقلاع بالعضلة الفاتحة وضغط الهواء معا** »[3] ، ولحضور هذه المشقّة في إصدار الهمزة ،، إحساس بمدى وقع المفاجأة بالنّسبة للسّيّدة حفصة – رضي الله عنها – و هي تحاول السّؤال بألم وقوّة لا تدري معها ، أتكمل سؤالها أم لا !! و لكنّها تسأل ، إذ لا بدّ أن تعرف كيف تسرّب ما دار بينها و بين عائشة – رضي الله عنها – في محاولة أخيرة لمُداراة الواقع ،، وكأنّ الميم المقلبة تصوّر مشاعر السّيّدة حفصة – رضي الله عنها – بين خوف و ألم ،،و شوق ،،إلى معرفة مصدر نشر الحديث الّذي بثّته رفيقتَها ،،إذن ،، استرسلت في السّؤال، و قد أعطت الهمزة معنى العنت في بداية الحوار ،، فبم تُراه أجابها – ﷺ – ؟؟

يقول الوحي في ذلك على لسان الرّسول– ﷺ– :﴿ **نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ** ﴾ ،، ما من شكّ أنّ سؤالا نحو : من أحسن تربيتك ؟ يكون جوابه : أحسن تربيتي والداي – مثلا – ؛ أمّا جواب النّبيّ – ﷺ – فقد كان "نبّأني " لا " أنبأني " ، و لا يخفى ما للوزن الصّرفيّ " فعّل " من شأن هامّ في اللّغة العربيّة ، و دلالات عميقة فهو

[1]– فاضل صالح السّامرّائيّ من أسرار البيان القرآنيّ ، دار الفكر ناشرون و موزّعون ، ط:01 ، 2009 ، عمّان ، ص : 07

[2] – عبد القادر عبد الجليل : علم اللّسانيّات الحديثة ، ص : 526.

* – الطّرجهاليّ : يقابله عند علماء الأصوات المعاصرين " الوتران الصّوتيّان " .

[3] – ابن سينا : أسبا حدوث الحروف ، تحقيق : محمّد حسّان الطّيّان و يحي مير علم ، تقديم : شاكر الفحّام و أحمد راتب النّفّاخ ، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة بدمشق ، (د– ط) ، (د– ت) ص: 72.

« **يفيد التّكثير و المبالغة غالبا ، ، نحو قطّع و فتّح ، و قد يخرج [..] عن التّكثير إلى معان أخرى كالتّعدية نحو : فرّحته ، و النّسبة إلى أصل الفعل نحو : فسّقه [..] و من مقتضيات التّكثير المبالغة في الحدث ، استغراق وقت أطول ، وأنّه يفيد تلبّثا أو مكثا** »[1] ، يبدو أنّ" نبّأني " حملت منه قدرا ثقيلا ، فالنّون المجهور في أوّل الفعل يوحي بالحقيقة الّتي لا تلبث أن تظهر مهما اجتُهد في إخفائها ، والباء شديد مضعّف ، فيه قوّة الخبر و يقينه ،، يؤكّد ذلك نهاية الفعل بالهمزة ، الّتي كانت في " أمبأك " أوّل الكلمة ،، فكلّها أصوات قويّة مدوّية ،،تعلن انتشار السّرّ الّذي لم تستطع أمّ المؤمنين – رضي الله عنها – كتمانه ،، و قد أوحى الله إلى نبيّه ، بما صدر بين نسائه – رضوان الله عليهنّ– ،، و هو ﴿ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ ...

لم يكن – من ظاهر الدّلالات المستنبطة – أن يتوافق الفعل ذو الجذر الواحد " نبّأ " مع " أمبأ " بين طرفي الحوار في الأسرة النّبويّة ،، فالهمزة الّتي تنقّلت بين طرفيه أسبغت عليه دلالات يسّرت حركته من المعنى إلى المعنى النّقيض ، ذلك أنّ " أمبأك " بقدر ما فيه من رسم معالم الدّهشة ،، حمل أيضا مشاعر الألم المتسرّبة بين ثناياه لانتشار السّرّ ،،أدّت هذه الوظيفة المؤثّرة غنّة الميم بضَعفها و رقّة الصّوت فيها ،، وقد سكنت وسط الفعل ،،يحيل إلى إمكانيّة الوصف بأنّها احتلّت الوسط الّذي تتطلق منه تعابير الأسى و الحزن لما حدث ،، أمّا " نبّأني " فكلّه قوّة ،، قوّة في الحقّ ،، و قوّة في قطعيّة ما وصل الرّسول – ﷺ – من حديث أزواجه – رضوان الله عليهنّ – – و الله أعلم – .

هكذا تتضاعف احتمالات المعاني الّتي تنفتح عليها الآية الكريمة ،خاصّة بملاحظات علم الصّرف ،، وتجلّيات أضواء الكلمة القرآنيّة ،، مفردة كانت أم جملة اشتقاقات لأصل واحد ،، فللأولى و الثّانية دلالاتها و إضاءاتها « **الّتي تنسب إليها في المعاجم ، ولها أجراسها الّتي تولّد في النّفوس قبولها أو نفورا منها ،، و قد يكون للّفظين قدْر من الاتّفاق في المعنى ، كان من المفيد رصد الفرق بين**

[1] – فاضل صالح السّامرّائيّ : بلاغة الكلمة في التّعبير القرآنيّ ، شركة العاتك للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، ط : 02 ، 2006 ، مصر ، ص : 58.

اللّفظين ، وتخليص معنى كلّ منهما من معنى الآخر »[1] فليس في القرآن سرّ واحد بتراكيب و صيغ مختلفة و لكنّه أسرار ، وتراكيب و صيغ ، تسكب في النّفس رونق الوحي ،، و تكسبها جمال اللّغة بألق قدسيّ ،، تماما كما استُلهم منها بعض الفروق بين شدّة " الإنباء " ، وبينيّة " الإمباء " ،، و مفارقة " أمبأ " و " نبّأ" .

هذه بعض نفحات من خطاب الله – تعالى – نبيّه – ﷺ – بشأن ما دار في بيته ، وأنموذج آخر أدّى فيه القلب حركيّة دلاليّة ،، صاحبتها صيغ الصّرف و اجتهادات البيان ،، ليعلّم المرأة المسلمة أدبا أُسَريّا، من خلال عرض سلوك خاطئ ارتكبته امرأة تنتمي إلى بيت الشّرف ،، وتسكن منزلا هبط فيه الوحي ،، في خطاب قرآنيّ أفاد اللاّتمييز في ضرب المثال و سرد القصّة ،، و العبرة بالخُلُق المدعوِّ إليه ،، وسرّ الأسرة أمانة ، لا يحقّ للمرأة الزّوج ، و إن لم تكن زوج نبيّ ،أو ابنة صحابيّ ، حريّ بمن تقرأ أو تسمع سورة التّحريم ،، أن تقدّره حقّ قدره ،، – والله أعلم – ..

[1]– تمّام حسّان : البيان في روائع القرآن ، ص : 317.

02 – 02 – من جماليّات قلب النّون السّاكنة بين كلمتين.

02 – 02 – 01 – من جماليّات الارتباط بين " من " و ظرف الزّمان " بعد " .
أ – المرأة مضرب مثل السَّوء.

ممّا لا ريب فيه أنّ القرآن الكريم قد اتّخذ وسائل مختلفة للوصول إلى النّفس البشريّة ، حتّى يسلك بها سبل الهداية و دروب الأمان ، و يعلو بها مدارج الإنسانيّة الصّافية ، لا كدرة فيها و لا غلواء ، و المَثَل واحدة من تلك الوسائل و الأسباب المنتمية إلى منظومة أخلاقيّة ، حبّبها الإسلام حبّبها الإسلام إلى أهله ، بعرضها مباشرة ، أو بتبغيضه أضدادها في أنفُسهم ، و كما قيل في المثل السّائر: " بأضدادها تتمايز الأشياء" ..

و في القرآن الكريم ، حشد من المنبوذات يرغّب في نقائضها ،، فالتّهويل من هاوية الكفر استدراج إلى مراقي الإيمان ، و التّخويف من الكذب دعوة إلى اتّباع سبيل الصّدق ، وهكذا وظّف الخطاب القرآنيّ أمثالا متعدّدة ، اعتمدت الطّبيعة (البرق، الرّعد ، الرّيح ، الظّلمات ، النّور ، السّراب) و الحيوان (الأنعام ، الكلب ، الحمار ، البعوض ..إلخ) ، و الإنسان سواءً أكان مضرب المثل رجالا(أصحاب القرية ، آدم ، عيسى ..إلخ) أم نساء (مريم البتول ، امرأة عمران ، آسية امرأة فرعون ، ..إلخ) ممّن ذكرهنّ الوحي تشريفا و تكريما ،، أو ممّن ساءت عقيدتهنّ فحبطت أعمالهنّ (امرأة لوط ، و امرأة نوح ،) و في هذه الزّمرة ، يحضر مثال آخر من النّساء ، حذّر المولى – تبارك و تعالى – الإنسان المسلم – رجلا و امرأة – من العمل بعملها ، حيث يقول في محكم تنزيله :﴿ **وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾** ﴾ النّحل : 92.

نهي صريح من الله – عزّ وجلّ – عباده المؤمنين أن يفعلوا بأيمانهم و عهودهم الّتي قطعوها على أنفسهم ما فعلته « **امرأة حمقاء ملتاثة ، ضعيفة العزم و الرّأي**

تفتل غزلها ثمّ تنقضه و تتركه مرّة أخرى قطَعا منكوثة و محلولة وكلّ جزئيّة من جزئيّات التّشبيه ، تشي بالتّحقير و التّعجيب ، و تُشوِّه الأمر في النّفوس و تقبّحه في القلوب و هو المقصود»[1] بإخبار القرآن عن هذه المرأة الخرقاء ،، حتّى لا يفعل المسلم بعهده ما فعلته بصوفها ،، متى ؟؟ ﴿ **مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ** ﴾ و حسن تمام ..

يبدأ الاستقصاء الدّلاليّ لقلب النّون السّاكنة في هذه الجملة ،، ببحث دلالة حرف الجرّ " من " المعروف أنّه يستعمل للدّلالة على ابتداء الغاية ، في حين يرى (السّامرّائيّ)أنّه : « **للابتداء لا لابتداء الغاية لأنّ ابتداء الغاية معناه أنّ الحدث ممتدّ إلى غاية معيّنة كقوله – تعالى – :**

﴿ **سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١** ﴾ **الإسراء : 01 ونحو : " جئت من داري " فإنّ الإسراء امتدّ من المسجد الحرام و انتهى بالمسجد الأقصى ، فالمسجد الأقصى هو الغاية** »[2] يؤيّد هذا الرّأي مجيء الظّرف " بعد " عَقبها في السّياق مباشرة ، و هو الآخر يصنّفه أهل النّحو في ألفاظ الغايات* ، و بين نون " من " و باء " بعد " ميم واجب حضورها صوتيّا أثناء تلاوة الآية بدلا بالنّون السّاكنة ، وكأنّ بداية عهد المرأة المذكورة فيها بالغزْل لم تكن هي ذاتها نهايتها مع ما ينتهي به العمل عند سائر النّساء ذوات المعرفة بغزل الصّوف ، فقُلبت " بَعدا " ، أي : بعد ما نالها من العناء في ترتيبه وفتله على نحو مخالف لما كانت عليه " قَبلا" ، وقد حضر القلب الصّوتيّ بين النّون السّاكنة و الباء للدّلالة على هذا التّحوّل و التّبدّل في غاية عملها و نهايته ، تَنسج خيوطَ هذا الوضع المستهجن للمرأة ، و المثل السّيّئ المنفّر منه ، عمليّة القلب الصّوتيّ المتواشجة مع معاني " بعد " و هي : « **ضدّ قَبل ، أي : أنّ كلاّ منهما ظرف زمان يبنى مفردا و يعرب مضافا ، لأنّ الإضافة توجب توغّله في الاسميّة و تبعده**

---

[1]– سيّد قطب : في ظلال القرآن ، مج : 04 ، ج : 14 ، ص : 2191 .

[1]– فاضل صالح السّامرّائيّ : معاني النّحو ، شركة العاتك للطّباعة والنّشر و التّوزيع ، ط :02 ، القاهرة ، ج : 03، ص :65

*– ألفاظ الغايات هي : بعد و فوق ، تحت ، أمام ، خلف... الخ للمزيد ينظر المرجع ذاته ، ص: 119.

عن شبهه بالحرف لأنّه ظرف مبهم ، لا يفهم معناه إلاّ بالإضافة إلى غيره.»[1] ثمّ يستمرّ المثل ،، و لا يتوقّف عند قوله – تعالى – ﴿ **وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ**﴾ ، بل يتواصل صفير الإنذار من خطر التّدثّر بدثار الضَّعَة الأخلاقيّة الّتي مثّلتها امرأة حمقاء ، بلغت بها سفاهة عقلها مبلغ ضرب المثل في الخطاب القرآنيّ ، لقد صار غزْلها " أنكاثا " بعد أن كان " قوّة " ، حيث آلت حال التّماسك و الصّلابة إلى نثار و أنكاث ضعيفة ، لا طاقة لها بنسيج إزار أو حياكة فراش ، نعم ، تحمّلت تلك المرأة مشقّة تنظيف ثمّ غزل صوفه ،، و هي أعمال لم تكن هيّنة و لا سريعة التّتمّة و الاكتمال ،، و إنّما نالت من الوقت نصيبا وافرا ، وعمرا مستغرقا ناقصا ،، قد تكون غنّة الميم ساهمت في رسم معالمه بين نون " من " و باء " بعد " ، أو خطّت شيئا من مسافاته .. مقتطَعة...

لقاء بين سبب نزول الآية الكريمة ،، و فحوى المثل مَحلّ المقاربة ،، وبضع خلاصات لمؤثّرات من أصوات رسمت مشهدا ثلاثيّ الأبعاد ، منطلقه ظاهرة قلب النّون السّاكنة ميما بين كلمتين ، هذه الأصوات الثّلاثة أيضا ،، و إن تنزّلت على نحوٍ فيه تركيب إلاّ أنّ صفاتها تنتج وقعا هادرا – في هذا المقام – الّذي يصوّر فظاعة خرق العهود ، و نقض الأيمان ،،متن باب الخديعة و المكر ، ﴿ **دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ** ﴾ في احتيال و سوء طويّة غادرة ،، لا يليق بالمرء المسلم الاتّصاف بها أو التّفكير بها قبل ذلك..

هو صوت الله في قرآنه ، يضرب المثل لكلّ قارئ أو سامع لآيه الكريم ،، يربّي فيه حبّات الوفاء ،، وخلق الصّبر على العهود ،، بإيراد المثل ؛ ما دام التّوجيه بهذه الطّريقة يُيسّر « **تقرّب الفكرة إلى الأذهان و توضيح مقاصدها ، و لاتّخاذ العظة و العبرة ، فضرب المثل وضّح الفكرة و أزال إبهامها ، وقرّب بعيدا ، وحلّ غموضا** »[2] معرفيّا في علّة النّهي عن خرق المواثيق .

---

[1] – محمّد يوسف عبد القادر : أسماء الزّمن في القرآن ، ماجستير مخطوطة بجامعة النّجاح الوطنيّة ، 2009 ، فلسطين ، ص :97.

[1]– عثمان قدري مكاني :من أساليب التّربية في القرآن الكريم ، دار ابن حزم للطّباعة والنّشر و التّوزيع ، (د – ط) ، 1981 ،بيروت ، ص: 22.

و عليه ، فقد تبدّى في هذه الجزئيّة من المقاربة منحى آخر ؛ عوملت فيه المرأة معاملة مضرب الأمثال ، فكانت طبيعة بشريّة في صورتها المنحطّة ، استخدمها الخطاب القرآنيّ وسيلة في إيضاح « **المعنى وإيصاله إلى ذهن السّامع ، وإحضاره في نفسه بصورة المثال الّذي مثّل به ، فقد يكون أقرب إلى تعقّله و فهمه و ضبطه ، واستحضاره باستحضار نظيره ، فإنّ النّفس تأنس باستحضار النّظائر و الأشباه ، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النّظير.**»[1] ؛ و أمّا القلب الصّوتيّ في الآية ، فإنّه عاملٌ من عوامل الغور في المعنى لوقوعه بين أحد حروف الجرّ "من" و أحد أسماء الزّمان " بعد " ممّا شدّ الدّلالات اللّغويّة ،،و أيّد ما جاءت به التّفاسير ،، بما يملأ النّفس من معاني الجمال الخُلُقيّ ،، بفعل تلاحم الصّوت والدّلالة و النّحو ،، في عرض بشاعة سلوك المرأة المذكورة ،، تأكيدا لما استهلّت به هذه المرحلة " بأضدادها تتمايز الأشياء " – و الله أعلم – .

[1] – ابن قيّم الجوزيّة : الأمثال في القرآن الكريم ، تحقيق : محمّد سعيد نمر الخطيب ، دار المعرفة للطّباعة والنّشر، (د– ط) ، بيروت ، ص :22

ب – طلب العفّــة : حــقّ للأَمَــة المسلمــة فــي القرآن .

وقفــة جماليّــة جديــدة ، وقفهــا الإســلام عبــر القــرآن الكريــم ،، ليؤسّــس واقعــا إنسانيّــا أنيقــا بأخلاقيّاتــه ،، فــي بداية عهــده بيــن تلال مكّــة و أحيــاء يثــرب ،، بسَنّه قانونــا للمــرأة الأَمــة ، يمنحهــا حقًّــا لــم تعهــده ، – وهي الجاريــة فــي خدمــة مولاهــا – فــي أعــراف الــعرب و غيرهــم ممّــن سَرت فيــه ربقــة الإماء ،، عــن ذلك الواقــع المحــارَب بهــذا التّشريــع الجديــد ،، يقــول – تعالــى – :

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ النّــور : 33.

التفاتة رحمة بالعبيد أوّلا ، أو الرّقيق المسلمين ،، تحملها الآية الكريمــة معتّقــة بأسبــاب التّكافل الاجتماعيّ و كيفيّاته ،، بين السّادة ومن ملكت أيمانهم من الخــدم،، بالإحســان إليهــم وحفــظ ماء وجوههم من المسكنــة ،، وصون لأعراضهــم ؛ وثانيــا : يعقــب هــذا الأمــر الإلهــيّ بـ" العفّــة الذّكوريّــة " ،، نهــي لعبــاده عــن دفــع الإمــاء الرّاغبــات فــي العفّــة إلــى سلــوك مسلك البغــاء ، من أجــل التّحصيل المــادّيّ وجمــع الأمــوال مـــن راء عمالــة النّســاء..

﴿ **وَمَن يُكْرِههُّنَّ** ﴾ كعبــد الله بن أبــيّ بــن سلــول ، الّــذي نزلــت الآيــة الكريمــة فــي حقّــه ، فليس لــه أن يتوقّــع بــأنّ إلقاءه تبعــات فعلهــنّ عليهنّ قــد يــؤدّي بهــنّ إلـــى العقوبــة مـــن الله – عــزّ و جلّ – ، فالمسؤوليّــة الجنائيّة بالتّعبيــر القانونــيّ لا تخضعهــنّ للمساءلــة الشّرعيّــة ،، مــادام فعــل الإكــراه *علـــى إتيــان المعصيــة يعفــي المُكــرَه مــن عقوبــة الشّــرع * ، كمــا أنّ الأَمــة المدفوعــة مــن سيّدهــا لــم لتُقْبل على هتــك عفّتهــا و سفــح كرامتهــا علــى مذبحــة الشّهــوات المحرّمــة ، وفيهــا بقيّــة باقيــة مــن أنوثــة حــرّة ،، و القــرآن في هــذه الآيــة الكريمــة ، يقــدّر و يصدر إعلانــا خالــدا بواحــد مــن عديــد حقــوق ضمنهــا للمــرأة فــي كنفــه ،، بــل أبعــد مــن ذلك ، نهــى بشــدّة أولئك « **الّذيــن يُكرهــون فتياتهــم علــى هــذا المنكــر ،، و وبّخهــم علــى ابتغــاء عــرض الحيــاة الدّنيــا مــن هــذا**

* لقوله – صلّى الله عليه و سلّم – : " رفع عن أمّتي الخطأ و النّسيان وما استكرهوا عليه "

الوجــه الخبيـث ،، و وعَـد المُكرَهـات بالمغفـرة و الرّحمــة ، بعـد الإكـراه الّذي لا يـد لهنّ فيــه »[1]،،لطائـف إلهيّــة ،، و معاملــة بالحسنــى مثاليّـة ،، لا طاقـة لبشـر بهـا ،،،، و لا تكـون إلاّ مـن الله ،، هــي رحمــة الرّحمـن ،، تغمـر المـرأة الضّعيفـة ،، الّتـي قـارفت المعصيــة مرغمـــة ،، وهِبــة أخـرى مـن الـذّات العليّــة بالمغفــرة " مِنْ بَعْـدِ " تلك المعصية ؛ فــإذا قــرئت الجملـة باحتـرام أداء الميم الصّغيـرة بين " مـن " و "بعـد " استحـالت الجملـة كلمـةً " ممبعـد " أي : أنّ النّـــون و هـو « **أصلح الأصوات قاطبـــة للتّعبيـر عـن مشاعـر الألـم و الأنيـن وضروب التّعبـــيرات الانفعاليّـة** »[2] لا بـدّ مـن إبعـاده بكـلّ حمولتـه الحزينـة ، لتحُـلّ الميـم محلّـه ،، وفـي دائرتها الصّغـيرة ،، شحنـــة كبيـــرة مـــن المـودّة و المغفـرة ،، تعطّرهـــا غنّـة رخيمــة حسنــة الوقـع فـــي نفـــس السّامـع ،، وحسنـــــةٌ معانـــي مجيئهـــا قبـل البـاء الدّالّـــة « **علـــى الانبثـــاق و الظّهـور والانفـــراج بمـــا يحاكـــي خـــروج صوت البـــاء مـــن بيـــن الشّفتيـن بعـد انطبـاق و انفـــراج منهـــا** »[3] تتســرّب عبـره نسـائم التّوبـــة ،، والطّهـر ....

و كقلـب صـوت مـن صوت ، تُقـلب حيـاة الأَمـة العفيفـة روحهـا ،، فتتخلّـى عـن هواجسهـا وإحساسهـا بالنّـأي عـن رضـوان الله ،، وتتحلّى برحيـق الرّحمـة الرّبّانيّـة المعطّرة بالمغفـرة ،، هـذه المغفـرة مـن لـدن ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ،، فأمّـا غفـور فـ « **مـــن المغفـــرة والمغفـــرة السّتر ، كأنّه يستـر ذنوب العباد إذا رضي عنهـم ، فـلا يكشفهـا للخلائـق [..] فالغفـــور علـــى وزن فعـول ، يعنـي : مـن شأنـــه أن يغفـر الذّنـــوب**» [4] عظيمها و حقيرهـا ،، مـا لـم تكـن إشراكـا بـه ، ولا هـي عـن طـوع وإرادة صاحبهـا ،، فكيف بهـا والأمـر منـوط بامـرأة لا تملك الحـقّ فـي نفسهـــا ،، أَمَـة ،، ككلّ الإمـاء و العبيـد الّذيـن ذلّـت أعناقهـم بأيـدي بشـر لـم يعـرفـوا الله قـدره فـي عبـاده !!

---

[1]– سيّد قطب :في ظلال القرآن ، مج :04 ، ج : 18 ، ص :2516.

[2]– عبد القادر عبد الجليل : علم اللّسانيّات الحديثة ، ص :414

[3] – حسن عبّاس : خصائص الحروف العربيّة و معانيها ، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب ، (د – ط) ، 1998 ، ص :102

[4]– عماد عبد يحي : ألفاظ الثّواب في القرآن الكريم ، دار دجلة ، ط:01 ، 2009 ، عمّان ، ص :131.

و أمّا " رحيم "فهي: صفة على وزن صيغة المبالغة " فعيل " ومثلها " غفور " تنتمي إلى ما حقل أوزان المبالغة ، قال عنها (محمّد عبده): « **و أمّا صيغة فعيل ، فإنّها تدلّ في الاستعمال على المعاني الثّابتة ، فلفظ الرّحمن يدلّ على من صدر عنه آثار الرّحمة بالفعل وهي إفاضة النّعم والإحسان** »[1] ، والمرأة المغلوبة على أمرها زهرة ذابلة ، و لكن ،، في انتظارها الحياة تغدق عليها فيوض الغيث الرّحمانيّ ،، فتستعيد نظارتها بمجرّد نيلها هذه البشرى من الوحي ،، فأنوثتها محميّة ،، و فطرتها محفوظة في ظلال الإسلام ،، مادام أنّه : « **ليس في القرآن و لا في شريعته ما لا يلائم طبيعة المجتمعات السّليمة أو يناقضها، و ليس فيهما ما تسوء أو تتضرّر بهما الجماعات و المجتمعات من الأحكام و الأخلاق و المعتقدات و المعلومات ، بل كلّها يوائم الفطرة [..] مواءمة حسنة ، و ينسجم مع الفطرة انسجاما شاملا ، بحيث تسعد النّفوس بامتثالها ، وترتاح القلوب بالانصياع لها** »[2] بمحبّة كاملة ،، وإجلال عميق لهذا الهدي النّورانيّ ...

لطالما دوّى – و لا يزال يُطيل صراخا بصوت نشاز – أدعياء حقوق المرأة ، بمطالبهم المادّيّة ، بين ناعق بضرورة اقتحامها أنواع العمل بلا تمييز شريف عن منحطّ ، وآخر صائح بمساواتها بالرّجال ،، ولكن ،، هل بينهم من نهى – كما فعل القرآن – عن الاتّجار بها ،، أو تبضيع أنوثتها على طريقة الإشهاريّين ؟؟ إنّها الأنوثة في سوق نخاسة العصر ،، حرّمها الإسلام مذ فجر الجاهليّة العربيّة ،، و حَفِظ للمرأة عزّتها ،، و حافظ على جمالها من كدر و أوحال طينيّة البشر ،، و ارتفع بها في سُدّة خطابات الوحي ،، فالقرآن الكريم « **وحده القادر على مخاطبة العقل و القلب معا و أن يمزج الحقّ و الجمال ، فلا يبغي بعضهما على بعض** »[3] في صناعة مجتمع يحترم نساءه ، في إطار بوتقة أخلاقيّة ،، تسمو بمعاني الأنوثة العزيزة المنتهكة عنوة ،، تُهديها رياحين المغفرة و الرّحمة ،، بشرى عاجلة في الدّنيا ،،

---

[1]– محمّد عبده : مشكلات القرآن و تفسير سورة الفاتحة مع مقدّمة في التّفسير و ثلاث مقالات ، جمع و نشر : محمّد رشيد رضا ، دار مكتبة الحياة ، (د – ط) ، ، بيروت ، ص :124 – 125.

[2] – محمّد خليل جيجك : عالميّة القرآن ، مؤسّسة الرّسالة ، 2002 ، لبنان ، ص: 176.

[3] – محمود بن أحمد بن صالح الدّوسريّ : عظمة القرآن ، دار ابن الجوزيّ ، ط:01 ، 1426هـ ، الدّمّام ، ص :213.

* – جملة قانونيّة تقابلها الحكمة : حرّيّة الشّخص تنتهي عندما تبدأ حرّيّة الآخرين .

وتصمت عن تلك الشّرذمة من البشر الّذين انطفأت فيهم النّخوة ،، و تحيل أمرهم إلى الله ،، إذ لا نصّ في سياق الآية الكريمة يخبر عن تجاوز الله عنهم صراحة ، كما أعلن تجاوزه عن الأمَة الضّعيفة ،، إنّه قلب لحياة الإماء للّائي تفور في صدورهنّ مشاعر المنعة والعفاف ،، يبجّلهنّ الوحي،، وينهى مواليهنّ نهيا صُراحا عن " **التّعسّف في استعمال الحقّ**" * ، فأزاح بذلك عناء الألم النّاجم عن إتيانهنّ البغاء " إكراها " ، ثمّ قَلَبه فيوض رحمة و واسع مغفرة تكلأهنّ ،، دلّ على شيء من جمال هذا التّغيّر ، قلب النّون السّاكنة الحزينة إلى ميم المرح في رياض العزّة الإلهيّة ، ومغفرة الخالق ما أُجبرن عليه ،، فكان تجاوز النّون إلى الميم تجاوزا لألم الإكراه ،، في تيّار دافق من الجمال السّياقيّ للآية الكريمة ؛ إذ ما طُرق موضوع المرأة المسترقّة الطّامعة في العفّة إلاّ بعد أن خاطب الشّارع الحكيم سادة العبيد أن لا يمانعوا في تزويج رقيقهم الصّالحين سدّا لباب المفسدة الخلُقيّة ، و أدّت فيه الكلمة المضيئة معجميّا و صرفيّا ، دورا لامعا في نسج معاني الجمال القرآنيّ في خطابه " عن " المرأة المستلبة حرّيّتها من خلال صيغ معيّنة و تمهيد لا أنسب منه ،، في الدّعوة إلى الحفاظ على جمال الأخلاق ،، وجمال فطرة الأنوثة في المرأة عموما ؛؛ هو جمال الصّوت المقلب ،، يلقي في الأفئدة جمال الإحساس بالمرأة الكادحة ، ذات النّفس العزيزة ، في خطاب صادح بمادّة قانونيّة من دستور لا يتغيّر و لا يتبدّل و لا يمحى ،، – و الله أعلى وأعلم – .

جـ - أمومة نساء النّبيّ- ﷺ- للمؤمنين بالحجر عليه في تبديلهنّ أو بالإضافة إليهنّ.

لا يسع الموضوع، وقد استأذن فدخل بيت النّبوّة إلّا أن يديم طول إفادة من رياضه،، خاصّة وأنّ الله - تعالى - سجّل أحاديث وأحداثًا تتعلّق بزوجات الرّسول يشرف البحث بتناولها،، وبالتفاتة قصيرة إلى الآيات الّتي ذكرت في الفل المتعلّق بالوقف، من سورة الأحزاب (28 ← 33) يستحضر مشهد تخيير الله ورسوله إيّاهنّ بين جمال الدّنيا وجلال الآخرة،، وتفضيلهنّ الثّانية،، فيجيء ردّ الكريم - عزّ و جلّ- على اختيارهنّ،، ولكن ليس إليهنّ،، بل خطابًا إلى نبيّه- صلّى الله عليه وسلّم- قائلًا:

﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾ الأحزاب: 52.

إنّها عين الله الّتي لا تنام،، عن سائر الخلق،، كما هو حالها مع بيت النّبوّة،، وحتّى مع شخص الرسّول- صلّى الله عليه وسلّم-،، وكذلك « **سلوك نسائه - رضي الله عنهنّ- كان يخضع لرقابة مباشرة من الوحي،، على نحو غير مألوف في حياة غيرهنّ**»[1]،، وكما نبّهن إلى ضرورة التزامهنّ التّقوى، وتبعاتها،، أعطين جوائز لم تكن من نصيب غيرهنّ من النّساء،، فهنّ من نزل الوحي بشأنهنّ، يتوجّه بالنّهي إلى النّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم-، ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ ﴾ الآية، لماذا يا الله؟ ومن بعد ماذا؟ لطالما دخل رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- بنساء،، لعلّة أو لأخرى،، وكلّ واحدة أتقى من الّتي سبقتها،، ومن الّتي تليها،، ولا تزال التّقوى في صحابيّات عديدات،، يكفي أنّهنّ عاصرن النّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم-،، فلم تحريم تمديد التّعديد على النّبيّ بعد حادثة التّخيير؟!.

لا يخفى أنّ تعدّد أزواج النّبيّ- ﷺ- وقع لحِكم ربّانيّة كثيرة، منها ما ظهر للعقل ومنها ما استأثر بها الله- تعالى- في علم الغيب عنده،، ولأنّ الجانب الوظيفيّ تجلّى بعضه للمؤمنين آنذاك،، فقد حان وقت التّوقف عن توسيع الأسرة النّبويّة،، لا سيّما و أنّ أزواج الرّسول- رضوان الله عليهم- اجتزن امتحانًا كشف

[1] - عائشة عبد الرّحمن: نساء النّبيّ، دار الهلال، ط:05. (د - م - ن) ،ص: 16.

عن سرائرهنّ المطبوعة على الإيمان النّقيّ،، والحبّ الخالص لمن أسلمن إليه،، ثمّ لمن آمنّ به رسولًا ورضين به زوجًا- صلّى الله عليه وسلّم-،، اتّضح ذلك حين اخترن العيش مع الرّسول الزّاهد، ولم يُجبرن على البقاء معه أو في عصمته، بل خُيّرن تخييرًا، وكان لهنّ حقّ تقرير مصيرهنّ،، فإذا بأبصارهنّ تنظر إلى أموال الأغنياء،، وما عند نسائهم من زينة وبهرج،، يتقلّبن فيه،، وإذا ببصائرهنّ تنفذ إلى ما وراء ذلك،، فتدرك زواله، بل وتستحضر الحساب على الأموال والزّينة، فيما كان؟ ثمّ تقع على مشاهد الآخرة،، وقد أخذ الفقراء الزّاهدون في الدّنيا ومظاهرها نصيبًا لا محدود السّواحل من عطاء الجواد - سبحانه - ، جزاء صبرهم وأملهم في الله - تعالى-،، ولم يطل الأمر بعائشة وصويحباتها- رضي الله عنهنّ- في التّفكير،، بل تسارعت إجابتهنّ،، وكانت إجابة واحدة، إنّما نريد الله ورسوله،، إنّما نريد الله ورسوله!!.

هذه الثّلّة النّادرة من النّساء،، اللّائي قُدّر لهنّ الارتباط العائليّ بسيّد البشر - صلّى الله عليه وسلّم-،، استحقّت وسام التّكريم من ربّ الدّنيا والآخرة،، وفي انتظار للثّواب الأخرويّ عجّل لهنّ جزاءهنّ الدّنيويّ،، بأنّ حرّم على نبيّه طلاق إحداهنّ أو جرح كرامتهنّ بإدخال امرأة أخرى بعدهنّ إلى بيته باعتبارها " زوجًا "، بل « **قصره عليهنّ وحرّم عليه أن يتزوّج بغيرهنّ أو يستبدل بهنّ أزواجًا غيرهنّ، ولو أعجبه حسنهنّ إلّا الإماء والسّراري فلا حرج فيهنّ**»[1]، فلا معنى لجمال نسويّ مقابل جمال تفكير أمّهات المؤمنين وما اخترنه،، ولا حسن كحسن التّقوى الّتي تجمّلن بها.

تطفحت الآية بالجمال المتنوّع،، فهذا النّهي يفتتحها بقطعيّة،، تفيض بمعاني التّحريم،، وكثيرًا ما وظّفت "لا" في نهي المسلمين عن شؤون عامّة وخاصّة،، تضبط المجتمع الناشئ في كنف الإسلام،، ولكنّ « **استعمال "لا" في نهي المخاطب يزيد كثيرًا**

[1] - محمّد سعيد محمّد عنتري: معالم الأسرة النّبويّة في القرآن الكريم، ماجستير مخطوطة، جامعة النّجاح، نابلس، 2008، ص: 84.

عن استعمالها في نهي الغائب في القرآن»[1] ، وتوجيه الخطاب إلى الرّسول الكريم- صلّى الله عليه وسلّم- دليل على أنّه هو أيضًا خاضع ومعنيّ بالأوامر والنّواهي الإلهيّة،، ككلّ

المسلمين،، ممّا يؤيّد مصدريّة القرآن الكريم من عند الله- سبحانه- وليس من عنده - صلّى الله عليه وسلّم-، وإلّا ما كانت هذه الآية لتكون أو لتبقى- على الأقلّ-.

إذن،، حرّم على النّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- الزّواج بغير من سبق له البناء بها،، وكذلك الشّأن في طلاق إحداهنّ، ﴿ **مِنۢ بَعۡدُ** ﴾.

شبه جملة،، أشير إليها سابقًا،، غير أنّ القلب فيها،، لم يرتبط بـ"من" الجارّة لما بعدها جرًّا لفظيّا،، يستتبع مضافات إليها،، وإنّما جاورت "بعدُ " الّتي قال (الفرّاء) بأنّها: « **ترفع إذا جعلته غاية،، ولم تذكر بعد الّذي أضفنه إليه**»[2]،، وقد رفعت الأمر الّذي لا يحلّ فيه للنّبيّ- ﷺ- ما حرّم عليه إلى أجل غير مسمّى،، وإلى أن يلقى ربّه- عزّ وجلّ-،، وبين "مِن" بداية الغاية و "بعدُ" الموعد غير المحدّد،، قلب لوضع أمّهات المؤمنين، وهنّ نساء أوّلا وآخرًا،، يخرجن بداية من حال القلق، ما قد رضي الله عنهنّ أم لا،، ثمّ يخرجن من توقّع وافدات جدد إلى بيت النّبوّة- إلى حال أخرى،، تحيل آلام النّون إلى مسرّات الميم الرّؤوم،، إلى علامة الرّضوان من الله- تعالى- ، فالتّكريم منه- سبحانه- لهنّ « **لأنّهنّ إذا علمن أنّ الفعل من الله قرّت أعينهنّ بذلك ورضين،، لأنّ المرء إذا علم أنّه لا حقّ له في شيء كان راضيًا بما أوتي منه وإن قلّ، وإن علم أنّ له حقًّا لم يقنعه ما أوتي منه، واشتدّت غيرته عليه، وعظم حرصه فيه، فكان ما فعله الله لرسوله- صلّى الله عليه وسلّم- من تفويض الأمر إليه في أحوال أزواجه، أقرب**

[1] – محمّد عبد الخالق عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن، دار الحديث، 1972، ط :01، (د – م – ن)، ج: 02، ص: 523.

[2] – أبو زكريّا يحي بن زياد الفرّاء: معاني القرآن، عالم الكتب ، ط :03 ،لبنان ، ج: 03، ص: 320.

إلـى رضائهـنّ معـه»[1] وهـل يرضـي المسلـم شـيء مثلمـا يرضيه حكم قضـى بـه الله – تعالى– ؟! فكـيف والأمـر متعلّـق بأوّل مـن خضع لأمـر الوحـي "إقـرأ"– صلّـى الله عليـه وسلّـم– !!.

إنّهـا المكافأة الرّبّانيّـة،، علـى نحوٍ لـم تتوقّعـه أزواج النّبـيّ– صلّى الله عليـه وسلّـم–، تدخـل البهجـة إلـى أفئدتهـنّ وترضيهنّ بمـا حكـم بـه– عزّ وجلّ– مـن نـوع الهدايـا..؛ وكمـا

وصلت المـيم المُقلبـة عـن النّـون بيـن صوتيـن، شـدّت غنّتهـا بفرحـة القلـوب المستقبلـة قـرارات النّبّـي– صلّـى الله عليـه وسلّـم–، وهـو يأمـر عبـده الرّسول المطيع، بعـدم تجاوزهـنّ إلـى غيرهـنّ مـن النّسـاء، ما بقي فيـه نفـس يتـردّد، أو فـؤادٌ يتلقّـى الوحـي– صلّـى الله عليه وسلّـم–،، لا جمـال يحـرّك إحساسـه،، ولا رغبـة فـي ولـود،، ولا امتـداد بصر إلـى أيّ امـرأة "بنيّـة الـزّواج"،، كـلّ ذلك وغيـره مـن دواعـي الإضافـة إلـى عقـد الزّوجيّـة النّبويّـة،، محـرّم عليـه!!.

هـي نثـرات نـدى القبـول، يعلنهـا تغيّـر صوتـيّ،، مفعـم بدلائـل تغيّـر فـي الوضع الاجتماعيّ للأسـرة النّبويّـة،، أحكمت معانيهـا دلالـة الكلمـة القرآنيّـة المضيئـة،، الّتـي ارتقت بـ "بعـدُ" مـن جزئيّـة ضامـرة فـي "شبـه جملـة" لا "جملـة تامّـة" إلـى مـراتب إيحائيّـة أتـمّ من التّمـام،، فلمعـت بـ « **جمال موقعهـا وأصالتهـا فـي موضعهـا، ومـا لهـا مـن حـلاوة وجـرس، ومـا تحدثه من إرهاق في الحسّ ثالثًـا**»[2] إذ تقاطرت حبّـات معانيهـا مـن لسـان قـارئ يتغنّـى بالآي الحكيـم،، وهـي تحكـي بعض يوميّـات البيت الأنمـوذج، « **وكـذلك فـإنّ الجـرس الدّاخلـيّ والظّاهـري يوحـي بأهميّـة الصّوت المتنـاسق، والجملة الصّوتيّـة فـي النّفـس والوجـدان، لا مـن حيث التّأثيـر التّغييـريّ وحسب، ولكن مـن حيث التّأثير الفنّـيّ الجمالـيّ أيضًـا** »[3] فالإحسـاس بجمـال المكانـة الّتـي حازتهـا نساء النّبيّ لا يتصوّر من خـلال سـرد الحادثـة فقـط، ولا عـن طريـق القـراءة

[1] – القرطبيّ: الجامع لأحكام القرآن، ج:14، ص: 190–191.

[2] – فضل حسن عبّاس: الكلمة القرآنيّة وأثرها في الدّراسات اللّغويّة، مجلّة مركز بحوث السنّة والسّيرة، ع:04، 1989 م، الجامعة الأردنيّة، ص: 509.

[3] – نذير حمدان: الظّاهرة الجماليّة في القرآن، دار المنارة ،ط : 01 ، 1991 ، المملكة العربيّة السّعوديّة ، ص: 217.

السّليمة وحدها بتلمّس،، ولكنّ "الإنصات" إلى النّصّ القرآنيّ مرتّلًا،، فيما يتعلّق بها يجعل الوقع أقوى،، والأثر أكبر.

على هذه الشّاكلة التّرتيليّة،، ووفق هذا الذّوق الجماليّ، يسكب القرآن تشريعاته في حقّ المرأة،، ضمن قالب قانونيّ أنيق،، تتألّق فيه الأنوثة المشوقة إلى الرّضوان،، وتنتشي فيه جوانب الإنسانيّة الموجّهة في شخصيّة الرّسول الأكرم- صلّى الله عليه وسلّم-، غير متنكّبة،، ولا مستنكفة عن أمر ربّها،، وقد أصدر مادّة قانونيّة تخصّ نساء النّبيّ

- صلّى الله عليه وسلّم-،، فيمنحهنّ أكثر من قُصِر زوجهنّ عليهنّ،، ويقصد بذلك حقّ أمومة المؤمنين،، وهنّ من لا ولد لهنّ ولا بنت،، نشأ في أحضانهنّ أو قيل "أمّ فلان" أو "أمّ فلانة" من شباب ونساء الإسلام إلّا قليل ممّن ليسوا من صُلب الرّسول الكريم ،،، إذن،، كانت المنحة منحتين،، وصارت تلك الثّلّة المختارة قبل الوحي القاضي بحرمة زواج النّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- أمّهات لكلّ موحدّ عرفنه أو سمعن به أو سمع بهنّ،، بل بمجرّد انتسابه إلى الإسلام فإنّ أمّه ليست الأمّ البيولوجيّة وحدها،، بل هناك "أمّهات" يرقبن إيمانه ولهنّ حقّ عليه،، يرعاه وإن لم يعرفهنّ،، وإن لم تسجّل أسماؤهنّ إلى جوار اسم أمّه البيولوجيّة في سجلّات الحالة المدنيّة،، وبذلك،، فأزواج الرّسول- صلّى الله عليه وسلّم- اللّائي نزل الوحي بشأنهنّ حظين بمكافأتين دنيويّتين أولاهما: أن لم يضف إلى الدّفتر العائليّ النّبويّ أسماء نسويّة بعدهنّ،، وثانيهما: نيلهنّ لقب "أمّهات المؤمنين" دون سواهنّ.

هكذا فعلت التّقوى حين اختارتها أزواج الرّسول- رضوان الله عليهنّ-،، وهكذا "يُنهى" و "يُحرّم" على النّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- طيّبات أُحلّت له إلى حين،، تكريمًا للتّقوى،، وتلطّفًا بنساءٍ لسن ككلّ النّساء،، - والله أعلم-.

02- 02 -02 - من جماليّات دلالة "من" على البعضيّة.
بعضيّة المؤمنين من بعض .

من الخطاب القرآنيّ الخاصّ بالنّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم-، تنسحب المقاربة بتحفّظ،، لفراقها البيت الشّريف، وتتّجه إلى من كانوا عُدّة الإسلام وأمناءه،، إلى المؤمنين والمؤمنات الّذين عمل الرّسول- صلّى الله عليه وسلّم- من أجل الارتقاء بهم وبواقعهم- ككلّ البشر المرسل إليهم-، وتلقي عنايتها بآية توجيهيّة، مرتبطة بظاهرة التّفاضل بين "النّساء الحرائر" و "النّساء الإماء"، وقد كانت واقعًا مألوفًا عند العرب فيما مضى- ولا يزال معمولا به في بعض البلاد المسلمة اليوم-، رغم تساويهنّ في أخوّة الدّين ورباط العقيدة،، فكان الرّجل "الحرّ" إذا تعذّر عليه الزّواج بحرّة ذات مهر غالٍ، لا يفكّر في المؤمنة "الأَمَة" الّتي لا تطلب مهرًا بغلاء مهر "الحرّة"، وإن مال إليها قلبه أو هتفت إلى أنوثتها نفسه،، لما يسبّبه له ذلك من شعور بالضّعة وإحساس بالغضاضة بين قومه؛ ولكنّ القرآن لم يغضّ الطّرف عن هذا الواقع فأشار على المؤمنين: قال تعالى: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْۚ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾** ﴾ النّساء:25.

نساء "مملوكات" عزّ على المؤمنين "الأحرار"- وقد قصرت أموالهم على الزّواج "بحرائر" يشترطن مهورًا غالية- أن ينزلوا إلى دركتهنّ الاجتماعيّة،، ليعقدوا عليهنّ قران زواجهم،، لأنّهنّ "إماء"،، وفي المقابل لم يكن عندهم حرج من ذلك إذا كان سرًّا،، فيلدن لهم من سفاح،، أو يستبقونهنّ أخدانًا،؛ واقع لم يكن للمؤمنة "الأَمَة" مدافع عنه،، أو حقوقيّ يناهض من أجلها في خضمّه،، ولكنّ خالق "الأحرار" و "العبيد" و "الحرائر" و" الإماء" فعل - جلّ وعلا - ،، إنّها نظرة حانية من الله- عزّ وجلّ- تعطّف بها على المرأة المستضعفة

في المجتمع،، وقد جاء الإسلام فأكمل إنسانيّة الرّجل السّيّد،، والسّيّدة "الحرّة" فكيف نالت المرأة "الأَمَة" معنى إنسانيّتها في ظلاله؟!.

ألفاها الإسلام جارية تسعى في خدمة أسيادها،، تستوي عندها العفّة وعدمها،، ولا فرق في حياتها- إن احتاجت إلى المال- أن تتزوّج أو تخادن أو تسافح،، ما دامت الكرامة الشّخصيّة معنى لم يعرف الطّريق إلى رصيدها اللّغويّ،، فكيف بنفسها المنقادة لأعراف الجاهليّة؟!..

إذن جاء الإسلام،، بكتاب هداية البشريّة،، الّذي لم تسقط من اهتماماته "المرأة الأمَة"، الّتي اختارت الإسلام منهج حياة، بل ضمّت أنفاسه الخالدة خطابًا يخصّها،، رُتِّل في شعاب مكّة وأحياء المدينة،، وصدعت أحكامه بين جنبات التّلال والجبال على مدى الزّمان،، فتحدّث عن "أمَة نكرة" تسعى لكسب رزقها في هدوء،، لا يعرفها مناضل،، ولا محامٍ عنها.

ها هم أولاء "الرّجال الأحرار" "المعارف" في مجتمعهم،، وقد أرادت لهنّ "النّساء الحرائر" "المعارف" ظهورهنّ،، استخفافًا بقلّة أموالهم،، وقصورهم عن أداء مهورهنّ،، ومنهم من يرغب في الزّواج "بمملوكته" أو "جاريته" الّتي تخدمه،،؛ ولكنّها ليست من مقامه العالي!!، فيغضّ الطّرف عنها حفاظًا على ماء وجهه في قومه،، فإذا بالوحي يميط اللّثام عن هذه الظّاهرة الاجتماعيّة،، ﴿**وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمْ ۚ**﴾ الآية.

تيسير لزواج المؤمنين الّذين لا طاقة لهم بأداء تكاليف الارتباط بالمؤمنات المحصنات "الحرائر"،، فمهورهنّ باهظة،، والحياة العائليّة معهنّ لها ثمنها الغالي،؛ وتوجيه لأنظارهم نحو ما ملكت أيمانهم من "فتياتهم المؤمنات"،، وصف متلطّف لمن لم يعرفن إلّا بنعوت "الإماء" أو "الجواري" أو "المملوكات"،، إنّهنّ "فتياتكم المؤمنات" أيّها السّادة المؤمنون،، ونسبتهنّ إنّما هي "إليكم" كما يستدّل من إضافة الضّمير" كم" إلى" فتيات"،، صحيح أنّهنّ نكرات

في المجتمع،، ولكنّهنّ معرّفات بالإضافة "إليكم"، وإيمانهنّ خليق بالتّقدير،، وكفيل بعدم التّفريق « **بين الأحرار وغير الأحرار تفرقة عنصريّة تتناول الأصل الإنسانيّ، كما كانت الاعتقادات والاعتبارات السّائدة في الأرض كلّها آنذاك، إنّما يذكّر بالأصل الواحد، ويجعل الآصرة الإنسانيّة والآصرة الإيمانيّة هما محور الارتباط**»[1] القائمة وفق حقوقهنّ على سادتهنّ المؤمنين،، ودليل التّكافؤ مع "المؤمنين الأحرار"، ليتمّ بناء الأسرة المسلمة من "حرّ" و "أَمَة" تساويا في ميزان الإسلام رتبة؛ بل يذهب (الطّبريّ) إلى أنّ "الطَّول" الّذي قد يصيب الحرّ إمّا أن يكون مشقّة وعنتًا مادّيّا أو وجدانيًّا؛ يقول: « **حدّثني المثنّى: قال: ثنا حبّان بن موسى، قال: أخبرنا ابن المبارك، قال: أخبرنا حمّاد بن سلمة، عن أبي الزّبير، عن جابر أنّه سئل عن الحرّ يتزوّج الأَمَة، فقال إن كان ذا طَول فلا، قيل إن وقع حبّ الأَمَة في نفسه؟ قال: إن خشي العنت فليتزوّجها..** »[2] ، وفي هذا إشارة لطيفة إلى إمكانيّة زواج "الأحرار" "بالإماء" بسبب الميل العاطفيّ إليهنّ، خاصّة بوصفهنّ « " **الفتيات**" **فإنّهنّ جمع "فتاة" وهنّ الشّوابّ من النّساء**»[3].

هو الخطاب القرآنيّ الّذي تتحوّل فيه النّكرات المغمورة في المجتمع إلى معارف يصدع الزّمن بحقوقها، ويرفع فيه نزيل الدّركة إلى جمال الدّرجة،، وهل درجةٌ أو شهادة أعلى من شهادة الإيمان ﴿ **مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ** ﴾ فعلى كونهنّ إماءً خادمات، فهنّ فتيات، جمعن جمال الشّباب وفتوّته إلى جمال العقيدة والإيمان ثمّ يتابع الوحي: ﴿ **وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمْ** ﴾، تعقيبًا يجسّ حقيقة تسليم المؤمنين وإتيانهم رخصة ربّهم، إذ لا غضاضة في الزّواج "بفتاة مؤمنة" وإن كانت "أَمَة" طلبًا للعفّة وتجنّبًا لغلاء مهور المحصنات، وكأنّ الوحي يقول: « **فلينكح من لم يستطع منكم طَولًا لحرّة من فتياتكم المؤمنات، لينكح هذا المقتر الّذي لا يجد طَولًا لحرّة من هذا الموسر فتاته المؤمنة، الّتي قد بدأت بالإيمان وكِلوا سرائرهم**

[1] – سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج: 02، ج: 05، ص: 628.
[2] – الطّبريّ: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج: 03، ج: 05، ص: 24.
[3] – المصدر والصّفحة ذاتهما.

إلـــى الله، فـــإنّ علـــم ذلك إلـــى الله دونكـــم، والله أعلـــم سرائركـــم وسرائرهـــنّ»[1]، والعلّـة الحقيقيّـة فـي هـــذا التّقريب الاجتماعـيّ فيمـا بينكـم هـو: ﴿ **بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ** ﴾ الآية.

وهـذه البعضيّـة لهـا نسيج لغـويّ- دلالـيّ-، ورد فيـه أنّ: « **بعض الشّـيء: طائفـة منـه، والجمع، أبعـاض، وبعّضت الشّيء تبعيضًا: فرّقتـه**»[2] تمامًـا كمـا أنّ المؤمنـات الإمـاء يمـثّلن بعـض المجتمع المؤمن، لا يقوم به وهنّ،، بحكـم أنوثتهـنّ،، وبحكـم إيمانهـنّ أيضًـا،، وبيـن البعضيـن فـي الآيـة الكريمـة ترتسـم "مـن" بنونهـا السّاكنـة جنبًـا إلـى جنـب مـع "بـاء" "بعـض"، وقـد قلبـت النّـون السّاكنـة "ميمًـا" بمـا يتطلّبـه حكـم "القلـب" التّرتيلـيّ، وفـي تأثّـر الصّوتيـن "ببعض" استيعـاب المـيم الجديـدة معانـي تأثّـر المؤمنيـن والمؤمنـات "ببعـض"، وقـلب لمفهـوم الرّتبـة الاجتماعيّـة، ليتحـوّل المعيـار الحكـمُ فيهـا مقيـاس الإيمـان، الّـذي يرسـم سلّمـه الإيقاعـيّ، زمـن الغنّـة الأنيقـة،، وكـأنّ قلـب حـال "الإمـاء المؤمنـات" مـن مجـرّد سلـوى خدمـاتيّـة، أو مفـرّ مـن غـلاء مهـور "الحرائـر" تمثّـل فـي الخـروج الصّوتـيّ مـن أنيـن النّـون إلـى لحنيّـة الميـم ومعانـي الأمومـة الشّريفـة،، بحنوّهـا ولطفهـا ممّـا أُهّلـن لـه، وقـد ردّ إليهنّ القـرآن اعتبارهـنّ العاطفـيّ عنـد الرّجـال "الأحـرار"، ورجّـح كفّـة الإيمـان الّـذي أثقـل وزنهـنّ فـي نفـوس المؤمنـين، فصـرن بعضًـا مـن هـؤلاء البعض،، هـما جـزآن لا غنيـة لأحدهمـا عـن الآخـر، وكـلّ طائفـة منهـا تخسـر معنـاهـا فـي ظـلّ غيـاب الأخـرى،، هكـذا خـاطب القـرآن "المؤمنيـن الأحـرار" ليتحـرّروا مـن بقايـا الجاهليّـة،، محـرّرًا" الفتيـات المؤمنـات" مـن ذلّـة الـرّقّ وربـقتـه ،، مناديًـا "المؤمنـين الأحـرار" أن: « **أنتـم وهـنّ سـواء فـي الدّيـن فـلا تستنكفـوا فـي نكاحهـنّ**»[3] ، ولا بـدّ مـن أخـذ الأمـر الإلهـيّ فـي رخصتـه الّتـي رخّصهـا لكـم- وأنتـم أحـوج إليهـا- بيسـر وسهولـة، وقبـول نفسـيّ، دون حـرج أو إحسـاس بالتّدنّـيأو السّفالـة الاجتماعيّـة، فإنّمـا الدّرجـات،، درجـات الآخـرة،، لا غيـر،، ومـا العـزّة الّتـي شرّفكـم الله تعالى بها إلّا عـزّة الإيمـان لا الأنسـاب وكمّيـّات الأمـوال، لـذلك أسلـف: ﴿ **بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ** ﴾ بقولـه: ﴿ **وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ**﴾ « **فهو يبيّن أنّ الإيمـان قـد رفـع شـأن الفتيـات المؤمنـات وسـاوى بينهـنّ وبيـن الأحرار في الدّين، وهو أعلم بحقيقة هـذا الإيمـان ودرجـات قوّتـه، وكمالـه، فـربّ أمَـة أكمـل إيمانًـا مـن حرّة،**

---

[1] – الطّبريّ: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج: 03، ج: 05، ص: 29.

[2] – ابن منظور: لسان العرب، مج: 07، ص:119

[3] – السّعديّ: تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان ، ص: 104.

فتكون أفضل منها عند الله تعالى، أي، فلا يصحّ مع هذا أن تعدّوا نكاح الأمَة عارًا عند الحاجة إليه، فأنتم أيّها المؤمنون إخوة في الإيمان بعضكم من بعض »[1] .

إعلان "كرامة المؤمنة- وإن هي أمَة- " يطلقه الخطاب القرآنيّ حتّى يربأ بها و "بالمؤمن" عن سبيل الفساد، فلا يرضى لها أن تكون "للمؤمن" "مسافحة" ولا "مخادنة"، وزواجه بها يقتضي مهر الكرامة الإيمانيّة تمامًا كما هو المهر "للحرّة"- على قلّته- بأمر الله- عزّ وجلّ-، « **فهو الّذي لا يشغله شأن عن شأن وهو القادر على أن يخاطب العقل والقلب معًا بلسان، وأن يمزج الحقّ والجمال معًا يلتقيان ولا يبغيان وأن يخرج من بينهما شرابًا خالصًا سائغًا للشّاربين**»[2] تسقيه أمواج التّغنّي بقرآنه،، كؤوسًا معتّقة المعاني لأرواح متلقّية،، مثلما تلقّى المؤمنون "الأحرار" أمر ربّهم،، بقلب مقاييس التّفاضل بشأن "الحريّة" و "العبوديّة" الاجتماعيّين، وقد سمعوا الآية الكريمة من فيه خير قارئ وأعطر ذي صوت، رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم-،، فقطفوا ثمار الخطاب القرآنيّ،، بعد أن أدركوا شرف "الفتيات المؤمنات" وبعضيّتهنّ منهم،، فأُكرمن،، وكذلك يفعل الوحي في المجتمع المسلم بتغيير المفاهيم الخاطئة الّتي ورثها عن منظومة سالفة له،، لا تليق به،، وتسديد مسار الحياة في الأمّة المسلمة،، إذا تمّ تبليغه من محسن لقراءة نفحاته،، فيرسل القلب الصّوتيّ إشعاعات القلب المفهوميّ،، ويوثّق نصًّا قانونيًّا سنّه الشّارع الحكيم للمؤمنة "الأمَة" يرفع قدرها، ويتلى أبد الدّهر،، لا تبديل ولا تغيير يمسّه،، أو تعديل يطاله ويهدّده،، - والله أعلم-.

[1] - محمّد رشيد رضا: تفسير المنار، مج: 05، ص: 18.

[2] - عبد الله درّاز: النّبأ العظيم، ص: 116.

02-02-03 - من جماليّات إضافة "عن" إلى "بعض" .

ما كلّ ما يعرف يقال عند العتاب- وإن بين الزّوجين-

لم يطرق الدّنيا مثال إنسانيّ أمثل من النّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم-،، و لم يكن لبيت أن يحقّق الأنموذج في كلّ صغيرة وكبيرة، كبيته الطّاهر- صلّى الله عليه وسلّم- ،، وها هو الموضوع يعود يتلقّى الحِكم والآداب من محيط بيته- صلّى الله عليه وسلّم-،، ولا تزال الآية الثّالثة من سورة التّحريم تنثر أنوار الدّلالات، بين جملة وجملة،، وبقراءتها صوتًا صوتًا،، تنثال المعاني وتتهاطل،، وبعد الاقتراب من ظاهرة القلب فيها على مستوى الكلمة الواحدة،، تفترّ عنه، وقد وردت النّون السّاكنة بين كلمتين،، يقول- عزّ من قائل - :

﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣ ﴾ التّحريم:03.

إنّه الوحي يجلي الغيب للرّسول- صلّى الله عليه وسلّتم-،، وعمّا قليل تسمع عائشة- رضي الله عنها- من زوجها- صلّى الله عليه وسلّم- كلامًا،، يبدو أنّه ليس شكرًا على كتمانها ما أُمرت بكتمانه،، وليس سرّا آخر،، يودعه عندها،، ولكنّه جاءها هذه المرّة، ليعيد على مسمعها ما أفشته!!.

ومع ذلك،، فإنّه- صلّى الله عليه وسلّم- « **عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ** »،، انكشف الأمر إذن،، وأدركت أمّ المؤمنين- رضي الله عنها- أنّها بصدد لوم وعتاب من قبله - صلّى الله عليه وسلّم-، وما عتابه ككلّ عتاب، لقد « **ذكر لها بعض ما دار بينها وبين زميلتها دون استقصاء لجميعه، تمشّيًا مع أدبه الكريم، فقد لمس الموضوع لمسًا مختصرًا لتعرف أنّه يعرف وكفى**»[1] لا غاية له أبعد من ذلك، ولا حاجة له بمعرفة كلّ ما قالت، فهي تدريه،، وما من داع إلى إعادته- صلّى الله عليه وسلّم- النّصّ الكامل لما أذاعته،، وما دام الهدف تذكيرها بأنّه نبّيّ يوحى إليه،، بعلم الله - تعالى -،، أمّا الهدف الأبعد،، فهو إثراء رصيدها الخلقيّ بفضيلة حفظ

[1] - سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج: 06، ج: 28، ص: 3613.

السّرّ،،هذا فيما يتعلّق بالّذي أخبرها به،، وعرّفها عليه،، وأمّا كونه « **أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ** » فمسألة فيها نظر.

لقد « **أعرض عن تعريف بعض ذلك كراهة أن ينتشر في النّاس**»[1] وتجاوز بـ "عن" الّتي « **تفيد المجاوزة ومعنى المجاوزة: الابتعاد، تقول: انصرف عنه، أي: تركه، بخلاف انصرف إليه، فإنّ معناه، ذهب إليه**»[2]، وعليه فإنّ في استعمالها دلالة تجاوز الرّسول- صلّى الله عليه وسلّم- عن طائفة من الخبر،، و "بعض" وردت بعد الميم المقلبة في نون "عن"، إذ التّرك والابتعاد تمّ على مستوى صوت النّون، تلطّفًا وتجنّبًا لآلام الغور في الخطأ الّذي ارتكبته أمّ المؤمنين- رضي الله عنها-، « **عرّف بعض ما أذاعته معاتبًا، وأعرض عن بعضه تكرّمًا وتسامحًا،، ومن عادة الكرام التّغافل عن الهفوات،، والاقتضاب في اللّوم والعتاب، وإذا كان هذا هو حال الكرام، فما بالك بحال أكرم الكرماء-** ﷺ-»[3]، وهو يعلّم أحبّ نسائه إلى قلبه- رضي الله عنها- أدبًا من آداب الزّوجيّة "حفظ السّرّ".

ولا غرور في أنّ القرآن الّذي أُنزل مربيًا ومعلّمًا للبشريّة بأسرها، أن يضمّ خطابا عتابيّا للمرأة،، متّبعا،، « **منهجا فريدا، جامعا فيه بين العذوبة والرّقّة والقوّة، وهذان أمران أساسيّان في كلّ عتاب ناجح،، لأنّ العتاب مقام يقتضي نوعين من المعاني والألفاظ لأنّه لا يكون إلّا عن خطأ أو تقصير** »[4] أو بدافع أنثويّ كالغيرة الّتي تشرّبت إلى إحساس السّيّدة عائشة- رضي الله عنها- ليقتطف من الخطاب القرآنيّ السّارد للحادثة عبر وعظات تسمو بطرق العتاب بين الأزواج،، وهل هدي أقوم من هدي القرآن،، وخلق الرّسول- صلّى الله عليه وسلّم - ، الّذي قال فيه ربّ البريّة: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ القلم:04..!!؛ حيث

---

[1] – محمّد بن عليّ بن محمّد الشّوكانيّ: فتح القدير الجامع بين فنّي الرّواية و الدّراية من علم التّفسير، تحقيق :عبد الرّحمن عميرة ، دار الوفاء ، ط :01 ،(د – م – ن)،ج :05 ، ص: 311.

[2] – السّامرّائيّ: معاني النّحو، ج:03، ص: 46.

[3] – أحمد محمّد الشّرقاوي: المرأة في القصص القرآنيّ، دار السّلام للطّباعة والنّشر والتّوزيع والتّرجمة، ط1، مصر،2001م،ج:02 ،ص :838 .

[4] – عبد العظيم إبراهيم المرطعيّ: خصائص التّعبير القرآنيّ وسماته البلاغيّة، مكتبة وهبة ، ط: 01، 1992م القاهرة، ج: 01،ص: 283.

أوصل إلى أمّ المؤمنين رسالة غضبه من فعلها دون مبالغة أو تضخيم من حجمه،، مراعاة لمكانتها وكلّ نسائه- رضوان الله عليهنّ- عند الله - تعالى- أوّلا،، ثمّ حدّا من انتشار الخطأ والحادثة معا في أوساط المسلمين،، وبذلك، يلاحظ أن خطاب القرآن المنوط بالمرأة في هذه الجزئيّة، تلمس زاوية أشدّ خصوصيّة في حياتها الزّوجيّة، آخذًا باهتمام الرّجل إلى "أدب العتاب" تربية واحترامًا للأنوثة المنكسرة تحت الشّعور بالخطأ.

من زاوية تأمّل أخرى تحفل الجملة القرآنيّة ﴿ **عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ** ﴾ بطاقة جماليّة،، ترسم معالمها بلاغة المقابلة الماثلة بين طرفيها « **عَرَّفَ بَعْضَهُۥ** » ǂ « **وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ**»؛ فكانت سببا من أسباب تمم المعنى ، زاد تآلفها مع خصوصيّة "النّظم" حسن وقع وقبول ذلك السّامع لـ "عرّف بعضه" ينتظر "وأعرض عنْ بعض"، ولكنّ تنوين العوض أجزل الكلام، فلم يعب ذلك حذف الهاء- وهي مضاف إليه- « **و في هذا - أعني الدّافع إلى الحذف - يكمن السّرّ الجماليّ في التّعبير ، لكونه مظهرا من مظاهر مقتضى الحال و التّرّف في إلقاء الكلام ، وهو فضلا عن كونه من التّوسّع في اللّغة ، فإنّ فيه فضيلة الإيجاز ، مع إيفاء الدّلالة** »[1]حيث تمّ الحذف على مستوى " بعض " موازاة مع حذفه - ﷺ - شطرا من ممّا علمه من حديث نسائه - رضوان الله عليهنّ - ،،

تشريع أخلاقيّ ،، وعتاب جميل ،، في خطاب القرآن عن المرأة المفشية سرّ زوجها ، و أدب رفيع يعلّمه - سبحانه - لعباده ،،من خلال عرض جانب آخر من جوانب سيرة المصطفى - ﷺ - و آل بيته الأطهار ،، أنتج فيه القلب من حيث موقعه الصّوتيّ معاني موافقة للسّياق ،، متواشجا في تحقيق غاياته الدّلاليّة مع علمي البلاغة و النّحو ، إذ تألّق اللّفظ القرآنيّ و سطعت معانيه من إضاءات أصواته المرتّلة ،، ف « **القرآن حين يختار لفظا تجده دالاّ على معناه بالجرس أو بالظّلّ ، أو بالظّلّ و الجرس معا ، و في هذا المنهج يبدو لون من التّناسق أعلى من لبلاغة الظّاهريّة و أوقع من الفصاحة اللّفظيّة اللّذين يحسبهما بعض الباحثين أعظم مزايا**

[1] - عبد العظيم المرطعيّ : خصائص التّعبير القرآنيّ و سماته البلاغيّة ، ج:02 ، ص :06 - 07 .

القــرآن »[1]،، فجـلّ مـن أنـزل يربّـي و يعلّـم المـرأة مـن جهـة ،، ثـمّ يربّـي و يعلّـم الرّجـل مـن جهـة ثانيـة ،، كيف يعاملهـا حـال الرّضى و حـال الغضب ،،سالكـا مسلك التّمثيـل بخيـر مثـال أهـداه للوجـود – ﷺ – ....

و لعلّ مـن الأدب ،،ألاّ ينصـرف البحـث مـن بـين يـدي هـذه المرحلـة ،، إلاّ بعد أن ينـوّه – حقّـا و تجمّلا – بأفضال البيت النّبويّ ،، في تغذيته بالآيات النّماذج ، و تكملة غاياته بالأدلّة و الآداب ، كيف لا ،،و قد أخذت الشّواهد القرآنيّـة مادّة غير قليلة من أوضاع الرّسول – ﷺ – فـي حياتـه ،،مبلّغـا لقوانيـن الله – جلّ فـي عـلاه – مـن خلال آيـات الأحكـام ،، أو تلك الّتـي لم تتجـاوز التّشريع في حدودهـا خصوصيّة نسائـه ،، أو غيرهـا من آيـات التّربيـة الاجتماعيّة و الأسريّـة ،،كالّتـي يلملـم البحـث أبعاضه هامّـا بالانصراف عنهـا ،، بعد أن أنـار أوراقـه المحـدودة بأنـوار من دلائـل إقلاب النّون السّاكنة بين كلمتين ،، فشكـرا رسول الله ،، وشكـرا آل رسول الله ،، و شكرا لجيل حظي بصحبة أو معرفة رسول الله – ﷺ – ...

[1] – عبد العظيم المرطعيّ : خصائص التّعبير القرآنيّ و سماته البلاغيّة ، ج : 01 ، ص : 662 .

المبحث الثّاني

من جماليّات قلب التّنوين خطاب القرآن المنوط بالمرأة

أ – من حقوق المرأة المطلّقة في القرآن الكريم

ب – الجزاء من جنس العمل : المساواة في عقوبة السّرقة بين الرّجل و المرأة

جـ - الأمّ الوصيّة

01 – من جماليّات قلب التّنوين في خطاب القرآن المنوط بالمرأة .

– أ – من حقوق المرأة المطلّقة في القرآن الكريم.

يقول تعالى : ﴿ **ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـٔٗا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩**﴾ البقرة: 229.

لا يزال التّشريع القرآنيّ يوصي بالمرأة،، و يُقرّر في حقّها واجبات تحيط أنوثتها بالحفظ و الكرامة،، مُخضِعاً خشونة الرّجل المتعسّف لقوانين الإسلام الّذي ارتضاه دينا ، ومناهج حياة ،، و يطرق بالأهمّيّة موضوع " أبغض الحلال إلى الله " من زاوية " التّعسّف في استعمال الحقّ الرّجاليّ ".

شُرِّع الطّلاق في الإسلام لحكم متعدّدة أوضحها المتمثّلة في القاعدة " لا ضرر و لا ضرار " في العلاقة الزّوجيّة ،، ولكنّ الجاهليّة الفظّة لم تغادر بعض النّفوس العربيّة بسهولة، فممّا ذكره الطّبري: قال « **حدّثنا ابن حميد قال: ثنا جرير ،عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : كان الرّجل يطلّق ما شاء ،ثمّ إن راجع امرأته قبل أن تنقضي عدّتها كانت امرأته، فغضب رجلٌ من الأنصار على امرأته ، فقال لها: لا أقربك و لا تحلّين منّي! قالت: كيف؟ قال أطلّقك، حتّى إذا دنا أجلك راجعتك، ثمّ أطلّقك ،فإذا دنا أجلك راجعتك، قال : فشكت ذلك إلى النّبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فأنزل الله – تعالى ذكره – : ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ﴾** »[1] الأمر الّذي استوجب تشريعاً أُسريّاً، كالّذي سيتبعه في الآية الثّلاثين و مائتين من السّورة ذاتها* حتّى لا تتحوّل العصمة الزّوجيّة إلى جهاز تحكّم يُعبث به، و تُهان باستخدامه الكرامة الانسانيّة، في شخص المرأة الضّعيفة.

[1] – الطّبريّ : جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 2، ص: 605.

* هي قوله تعالى﴿ **فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٢٣٠**﴾ البقرة: 230.

و بالعودة إلى الآية الكريمة _ أعلاه_ يُلاحظُ تَسوّرُ الآية بثلاث جمل اسميّة، و الاسميّة علامة للثّبات و عدم التّحوّل و التغيّر في عرف النّحويّين ﴿**ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ**﴾، ﴿**فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ** ﴾ ، ﴿**أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ** ﴾؛ أحكام غير قابلة للطّعن أو المراجعة، لا سلطان لأعراف الجاهليّة يطالها في عهد الإسلام، حيث « **لم يكن للطّلاق حدّ ولا عدّ، فإن كان لمغاضبةٍ عارضة، عاد الزّوج فراجع واستقامت عشرته، و إن كان لمضارّة المرأة راجع قبل انقضاء العدّة، واستأنف طلاقاً ثمّ يعود إلى ذلك المرّة بعد المرّة، أو يفيء و يُسكِن غضبه، فكانت المرأة ألعوبة بيد الرّجل يضارّها بالطّلاق ما شاء أن يضارّها، فكان ذلك ممّا أصلحه الإسلام من أمور الاجتماع**»[1]بصيغة المطلقة الفاعليّة ﴿**ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ**﴾ و هما فرصتان للمراجعة بعد كلّ مغاضبة بين الزّوجين تؤدّي إلى يمين طلاق، وبعد ذلك يَحسُن بالرّجل توخّي الحذر في ألفاظه حال عدم التّوافق مع زوجه فتطليق « **الرّجل امرأته التّطليقة الثّالثة حتّى تنكح زوجاً غيره** »[2] ، و لكنّ الإسلام لم يُعتق المرأة من ظُلم الزّوج بكلمة " طالق " وتوقّف عند هذا الحدّ، بل رسم كيفيّته في خطاب القرآن المنوط بها، إن كان قراراً أكيداً؛ كما وجّه و أوضح معالم الحفاظ على الأسرة إن رأى الزّوجان البقاء معاً بقوله – تعالى– : ﴿ **فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ** ﴾ المحتمل في غايته « **أحدهما : أنّ معناه: فالواجب عليكم إمّا إمساك للمرأة مع المعاشرة بالمعروف، و إمّا تسريحها بإمضاء الطّلاق مع الإحسان إليها في المعاملة، والتّمتيع بمال لائق به [...] ويستلزم اتّقاء الإهانة و الإساءة؛ و الوجه الثّاني: أنّه ليس لكم بعد المرّتين إلّا أحد الأمرين : الإمساك بالمعروف أو التّسريح أي: الطّلاق بالإحسان** »[3] .

إذن، هو الشّرط المصاحب لفكّ العصمة الزّوجيّة مرّتين، فإمّا أن يتّم بعده " إمساك بمعروف" تعود به مياه الحياة العائليّة إلى مجراها الهادئ المظلّل بما تعارف عليه العقلاء من أسباب و أجواء السّكنيّة و الاستقرار، وإمّا الانتهاء إلى طلاق بائن بينونة كبرى يسْتَتْبِعُ أدب " الإحسان " و الفراق بكرامة؛ أوحى بهذه

[1] – محمد رشيد رضا : تفسير المنار، مج :01 ، ج :01 ص: 307.
[2] – الطّبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج:02، ص: 629.
[3] – محمّد رشيد رضا: تفسير المنار، ج: 01 ، ص:312.

المعاني للآية الكريمة أثناء سماعها " مرتّلة " دلالة الألفاظ و قد رصّعها القلب الوارد بين الكاف المنوّنة في " إمساكٍ " و " الباء " في " بمعروف" أوّلا، ثمّ تكراره بين تنوين " الحاء" في " تسريح " و باء " الإحسان ".

ممّا يتبادر إلى الأفهام و التّوقّعات، أن الزّوج إذا أعاد زوجه إلى عصمته بعد طلاقين، يُعاملها على نحو غير الّذي عهداه أوّل زواجهما، وهذا احتمال مبرّر بعد تجربتين فاشلتين في الجمع السّليم لأشلاء العائلة، والقرآن أدرك هذه الوضعيّة فلم يغضّ طرفاً عنها، لأهميّة الأجواء النّفسيّة في بناء البيت المسلم،، و المرأة المطلّقة، قد تعود _ إن عادت الأسرة قبل الطلقة الثّالثة_ لسبب من الأسباب، مُجبرة، أو مُخيّرة كالمجبرة ، و لذلك فإنّ " الإمساك" بها لابدّ أن يتحوّل إلى قناة تتسرّب منها معاني المهانة و الحقارة، فحضرت كلمة " بالمعروف " لتُلطّف من قوّة الإمساك وسطوة الرّجل المطَلِّق وتقلب معناه في " الأخذ بالتّعسّف" إلى الاحتفاظ مع الحفاظ عليها ؛ هكذا "يشير قلب التّنوين" إلى ميم لطيفة في ﴿ **فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ** ﴾ تشعّ غنّتها آمال الجمع بعد أن انجابت سحائب آلام "النّون" أثناء القراءة المرتّلة، وبذلك تجد نفحات "المودّة" التي أمر الله – تعالى– بها للمرأة من قِبل زوجها طريقه السّهلة المعبّدة إلى النّفس ، لا حرج فيها ولا تكتُّم، وقلب "التّنوين" ميماً مجهورة يشير إلى ضرورة علنيّة هذه المعاملة الطّيّبة، وعدم بقائها على مستوى النّيّة، فلا بدّ أن تسمع الزّوج من زوجها دلالات الرّغبة في الحفاظ على "الميثاق الغليظ" المُتعاهد عليه من كليهما، ولا مناص من رؤية واقعنا حقيقيّا؛ و هذه التفاتة قرآنيّة لا مستغربة ولا طارئة على خطابه أن يلتفتها ،فيهتمّ بالبعد النّفسيّ للعلاقة الزّوجيّة، وقد عصف بها إعصار الطّلاق مرّتين، داعياً إلى التّرميم الدّقيق و الأكثر أهمّيّة من حيث المعاملة بين قطبي الأسرة المبتلاة بـ " أبغض الحلال إلى الله ".

لا تتوقّف الآية الكريمة عند الاحتمال "الأفضل" أو "الخيار الأمثل" بوصل ما انقطع بعد مرّتين بين الزّوجين، إذ يُمكن أن يرى الزّوج أو الزّوجان معاً انعدام الجدوى من بقائهما مرتبطين، فإذا حدث هذا، فإنّ التّشريع القرآنيّ، لا يُحلّ الطّلاق وحسب، و إنّما يُحيطه بسياج أخلاقيّ كالّذي أحاط به "الإمساك" ، والمقصود بهذا المعنى الجملة القرآنيّة " أو **تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ** " البقرة : 229، يضطرّ إليه الرّجل ربّما، فماذا بإمكانه « **إذا ركبت المرأة رأسها وسارت في طريق الشّيطان و تحت قيادته و لوائه لا تكفّ عن غيّها، ولا ترعوي عن أداها وشرّها، وقلبت حياة الرّجل إلى جحيم مستعر، وماذا تصنع المرأة إذا كان زوجها سيّئ الأخلاق فاسقاً، شرّيراً، يُسيء معاشرتها و يضربها ويُهينها، ويسلقها بألسنة حداد، أليس من الخير والمصلحة أن نفرّق بين شخصين استحكم العداء بينهما، و حلّ الخلاف و الشّقاق مكان الوئام و الوفاق؟ فالطّلاق إذن علاج ودواء لبعض الحالات الشّاذّة التّي تستعصي على الإصلاح** »[1] لا حيلة تُنجي من تبعاته،، و لا سبيل إلى تجاوز أحماله إلّا بالاستسلام للقضاء و القدر، وقلب التّعامل معه باعتباره شرّا لا بدّ منه إلى نعمة يُحمَدُ عليها و يُرضى بوقوعها فتقلب أحوال النّفوس اتّجاهه ،كما قلبت " تنوين الكسرة " في "حاء " " تسريح " إلى ميم مريحة تجبر الكسر "بإحسان" و تنشر الطّمأنينة والقبول بالوضع، لإزالة الأذى النّفسيّ المترتّب عن الطّلاق،، فلعلّ في ذلك خيراً للطّرفين ؛ مع ملاحظة أنّ الخطاب القرآنيّ في هذه الآية« **يُقدّم الإمساك على التّسريح [...] وهو محاولة أخيرة لوقاية الأسرة من الطّلاق و التّفرّق، وهي لمسة لطيفة، علّها تليّن القلوب وتعيد الأمور إلى نصابها، أسرة متماسكة متحابّة** »[2] استطاع القلب بميمه الواصلة بين التّنوين و الباء في " إمساك بالمعروف " و " تسريح بإحسان " الإحالة إلى بعض أجوائها المستحبّة ، حتّى لا يكون الحقّ في اللّجوء إلى" الحلال البغيض إلى الله " سبيلاً تنفذ منه أسباب انهيار الأسرة المسلمة، ممّا تجليه معاني بقيّة الأحكام الواردة في الآية الكريمة من ضرورة احترام حدود الله و عدم تعدّيها، ومنح المرأة حقّها في شراء حرّيتها " خُلعاً " لتجنّب الدّخول في دائرة الظّالمين، وقد أوضح الله تشريعه لعباده

[1] – محمّد علي الصّابوني: قبس من نور القرآن الكريم، دار القلم للطّباعة و النّشر و التّوزيع، ط:2 ،1988 ، دمشق ، سوريا، ج: 01 ، ص: 68.

[2] – حازم حسن حافظ زيّود : التّربية الوقائيّة في القرآن الكريم، ماجيستير، جامعة النّجاح الوطنيّة، نابلس، 2009، فلسطين، ص: 186.

فـــي كتابـــه العزيـــز و ذلك بقولـــه تتمّـــةً للآيـــة: ﴿ **وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾** ﴾ البقرة: 229.

_ و الله أعلم _

ب – الجزاء من جنس العمل :" المساواة في عقوبة السّرقة بين المرأة و الرّجل".

يقول تعالى : ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ المائدة: 38.

في توال و سيرورة تشريعيّة،، يتواصل التّدفّق الجماليّ من القرآن الكريم، يُمطر المرأة بماء التّربية حيناً ،، و يحيطها بسياج الحماية من الظّلم حينًا، ويرسم لها معالم السّلامة في الدّنيا و الآخرة حيناً آخر ، و على درب التّربية المؤدّية إلى رضا الله _ جلّ جلاله_ يقرع سمعها بالآية أعلاه إن هي اجترأت على معصية تستوجب إقامة الحدّ عليها،، فبعد الإعلام بحدّ المحاربين* المفسدين جهاراً في الأرض ، يدلي بها القرآن بتبعات الإفساد سرّا و اللّصوصيّة الخفيّة المتمثّلة في السّرقة الّتي ليست من اختصاص الرّجل وحده إذا سوّلت له نفسه ذلك و أطمعته في أموال غيره،، فالنّفس الأمّارة بالسّوء بين أعطاف المرأة كما هي بين جنبات الرّجل،، لذلك يقول – جلّ شأنه– : ﴿ **وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا**﴾ و« **المعنى من سرق من رجل أو امرأة فاقطعوا أيّها النّاس يده، و لذلك رفع السّارق و السّارقة، لأنّهما غير معنيّين ولو أريد بذلك سارق أو سارقة بأعيانهما لكان وجه الكلام النّصب**»[1] على الاختصاص، وهذا مالم يرد في القراءات القرآنيّة،، ممّا يدلّ على تجسيد المساواة بين الجنسين، من حيث النّوازع الانسانيّة كالرّغبة في الامتلاك و الحظوّ بالمال الذّي فضّل الله فيه بعض النّاس على بعض، ولكنّ الطّمع المؤدّي إلى انتهاك حرمات النّاس، والأخذ ممّا آتاهم الله خلسة و عدواناً، يستوجب العقوبة، تهذيباً للطّبائع، وعودة بها إلى فطرتها السّليمة المجبولة على الخير والنّفور من إتيان الأذى للغير،، لما في ذلك من أذى وضرر مترتّبين على الفرد و المجتمع، سمّيت تلك العقوبة في اصطلاح التّشريع الإسلاميّ حدّا « **والحدّ : الحاجز بين الشّيئين، الّذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر، يُقال: حدّدت كذا: جعلت له حدّاً يميّزه، وحدّ الدّار:**

* من الحرابة وهي : قطع الطّريق للسّرقة و النّهب ، وكانت منتشرة في شبه الجزيرة العربيّة ، يتمّ بها سفك الدّماء و سبي النّساء و أخذ الأموال عدوانا .

[1] – الطّبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،ج: 04، ص: 296.

ما تتميّز به عن غيرها، وحدّ الشّيء: الوصف المحيط بمعناه المميّز له عن غيره، و حدّ الزّاني و الخمر سمّي لكونه مانعا لمتعاطيه عن معاودة مثله، ومانعاً لغيره أن يسلك مسلكه»[1] فيزلّ زلّته،، و يُعاقب عقابه.

لقد حرّمت السّرقة في الإسلام حماية لمصالح المجتمع والفرد، وشرّع لمُقارفها حدًّا على الجنسين النّساء والرّجال « **كما صرّح بذلك في حدّ الزّنا، لأنّ كلّا منهما، فأراد الله زجر كلٍّ منهما بتلاوة القرآن، وإن كانت الأحكام الشّرعيّة مشتركة بينهما عند الإطلاق** »[2] ، ولكنّ ذكر السّارق لم يرد قبل السّارقة إلّا « **لزيادة البيان لأنّ غالب القرآن الاقتصار على الرّجال في تشريع الأحكام** »[3] ولكن أضيفت السّارقة بعد السّارق لانتشار السّرقة بين الرّجال أكثر منها في وسط النّساء، وهنّ أقلّ إقبالًا عليها لطبيعة الخوف الأنثويّ من نتائجها،، فإذا، تجشّمت هذه الطّبيعة المتردّدة في المرأة،، أقبلت على الجريمة وسرقت كما يسرق الرّجل،، وعليه ، فإنّ خوفها وأنوثتها الّتي قد تحيا في أعماقها لا يعفيانها من العقوبة،، إنّها عدالة الإسلام، في تصريف شؤون الأمّة،، لا فرق عنده بين المرأة والرّجل في الثّواب، إن أحسنا،، فالجنّة لكلّ منهما،، والنّار جريرة الكفر والشّرك إن لزماه واختارا سبيله،، والحسنة في الدّنيا له ولها، إن تجمّلا بالعفّة والقناعة وما يمتُّ لها بسبب أو صلة، وكذلك العقوبة لهما،، إن سوّلت لهما نفساهما بتجاوز حدّ من حدود الله،، وتعدّيا على حقّ من حقوق عباده.

إنّ قطع اليد حقّ لله- عزّ وجلّ-،، وللمجتمع المسلم على السّارقة، لا يعفيها منه شيء،، لا أنوثتها ولا مكانتها،، وفي حديث المرأة المخزوميّة الّذي روته السّيّدة عائشة - رضي الله عنها- دليل، إذ جاء فيه « **أنّ قريشًا أهمّهم شأن المرأة المخزوميّة الّتي سرقت، فقالوا: من يكلّم فيها رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم-؟ فقالوا: ومن يجترئ**

[1] – الفيروز أبادي: بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: د/ محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط: 03 ، 1996، جمهورية مصر العربية ، القاهرة، ج:01، ص: 315.

[2] – محمّد رشيد رضا: تفسير المنار، ج : 01 ، ص: 315.

[3] – الشوكانيّ: فتح القدير، ج: 01، ص: 49.

عليه إلّا أسامة بن زيد- حِبّ رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم-؟ فكلّمه أسامة، فقال رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم-: " أتشفع في حدّ من حدود الله"؟ ثمّ قام فاختطب،

ثمّ قال:" إنّما أهلك الّذين من قبلكم أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشّريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضّعيف أقاموا عليه الحدّ، وأيم الله، لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرقت لقطعت يدها" »[1] اللّفظ للبخاريّ.

هكذا في عرف الإسلام،، تستوي الأنثى بالذّكر،، وتستوي الأنثى بالأنثى،، لا ميزة للشّريف على الضّعيف أمام أحكام الله- تعالى-،، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه- كما جاء في الأثر-،، لا شفاعة للسّارق ولا رأفة بالسّارقة أو شفاعة لها، لأنّ إقامة الحدّ عليهما يتمّ مقابلًا لعملهما، أي: ﴿ **جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا** ﴾، والجزاء كلمة تحمل معنى: ثواب الخير والشّر﴿ **ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ** ﴾ غافر : 17، ثمّ يختلف فالجزاء على الإحسان ﴿ **هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ** ﴾ الرّحمن: 60، وجزاء السّيّئة ﴿ **وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا** ﴾ الشّورى: 40.

خطاب قرآنيّ صريح، يحفظ للمجتمع المسلم جماله الأخلاقيّ، وعفّة أفراده نساءً ورجالًا،، ورد فيه حكم السّارقة علنًا، وتناول وفقه جزائها على رؤوس الأشهاد،، لا مداراة في ذلك ولا مناورة؛ فالمرأة المحوطة بأنواع التّشريعات المؤيّدة لها،، هب نفسها الّتي تخضع لإقامة حدّ السّرقة بقطع يدها إن امتدّت إلى حرام ليس من حقّها أخْذه، وبهذا، يجسّد الإسلام تمام المثاليّة في ترسيخ مبدأ العدل بين الجنسين، والمساواة بين أطياف المجتمع،، حتّى لا يخرج ذو الجاه والنّسب عن أحكام الدّين وتعاليمه، ولا يحسّ الفقير المغمور بأنّ الحدود لا تعني أحدًا إلّاه،، بل إنّ العقوبات وجه آخر من وجوه هذه العدالة الاجتماعيّة،، وما قول سيّد البشر « **لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرقت لقطعت يدها** »- ﷺ- إلّا راية وشاهد على ذلك، باختياره قمّة الشّرف النّسويّ،، الزّهراء - رضي الله عنها- أمّ سيّدَي شباب أهل الجنّة لتنفيذ أمر الله عليها، لو فعلت ما فعلته سيّدة بني مخزوم،، وحاشاها.

[1] - محمّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاريّ، تحقيق: د/مصطفى أديب، دار ابن كثير، ط: 03، 1987، كتاب الأنبياء/ باب حديث الغار (1282/3)، ص: 3288.

هو موقف نبويّ من الطّبقيّة وخصوصيّة الجنس على حدّ سواء، يرفضهما معًا مكافئًا بين الذّكر والأنثى، مهما علت منازلهما الاجتماعيّة أمام حكم الله – تعالى- ﴿ **جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا** ﴾ والعقوبة مرتبطة بالذي عملاه،، كالارتباط بين الهمزة المنوّنة والباء الّذي أنتج ميمًا جامعة بينهما،، إنّها علاقة الظّاهر التّرتيليّ لـ " جزاءً " م " بما" بباطن الفعلة والعقوبة،، والتّلاؤم بين الميم المقلبة عن نون التّنوين وباء " بما " تلاؤم العقوبة مع المعصية، لا فرق بين ميمه النّاتجة عن القراءة المرتّلة للآية،، وأيّ ميم أخرى،، مجهورة تصدع بالحقّ وتقرّه في جنب المرأة كما هو واجب الإتيان في جنب الرّجل،، متمتّعةً بالغنّة الجميلة، لتحمل للمجتمع المسلم جمال الحقّ والأخلاق الّتي يراد لها الحماية بتشريع العقوبات والحدود،، لا فرق بين السّارقة و السّارق في إقامة الحدّ عليهما لا من حيث النّسب أو الحسب ولا من حيث الجنس،، مساواة ظاهرة بين المرأة والرّجل، حتّى يخشيا عاقبة فعلتهما، فلا يقْدم من تسوّل له /لها نفسه على ما أتياه، حفظًا لجسد الأمّة الإسلاميّة من الآفات والجنايات، ورعاية لصحّة منظومته الأخلاقيّة، كما تراعى في الميم المقلبة عن التّنوين صحّة نطقها، تسهيلًا لقراءة الآية- والقرآن الكريم عمومًا- سهولة تقبّل الجزاء من الجانية/ الجاني تكفيرًا عن المعصية، دون تلكّؤ أو استغراب لإقامة الحدّ على المرأة/ الرّجل- مهما كانا أو أيّا كانا- موعظة للغير وعبرة لمن تسوّل له نفسه مقارفة الحرام من الأموال.

عرض الخطاب القرآنيّ في الآية الكريمة إلى حكم من أحكام الشّريعة،، لا يسقطه قانون بشريّ،، ولا اجتهاد إنسانيّ،، مثّل حقًا من حقوق الله- تعالى – على عباده في إتيان ما أمرهم به حتّى ينتهوا عن المعاصي،، ليحفظ حقوق المسلمين فيما بينهم، ذلك أنّ حفظ المال من مقاصد الشّريعة الإسلاميّة، ليتحقّق به حفظ الأمّة،، ومالم تحسن تربية المرأة على الفضيلة والقناعة، فإنّ الأمّة في خطر، وإعفاؤها من الرّذيلة المتمثّلة في الطّمع المنتهي بها إلى السّرقة، إنّما يتمّ إذا خافت من العقوبة،، لأنّ إقامة الحدّ على مثيلتها يكفل ذلك، وهو ما يؤكّده مجيء التّعقيب القرآنيّ في قوله – تعالى – : ﴿ **نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾** ﴾ المائدة: 38، « **نكّل به تنكيلًا: صنع به صنيعًا يحذّر غيره** »[1] ، ولا فرق أن يكون المثال في الشّرّ- كما في الخير والأنموذج الحسن- امرأة، شريفة أو وضيعة، معرفة،، أو نكرة..

[1] – الفيروز آباديّ: بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج:05، ص: 126.

على هذا النّحو إذن، يتعرّض الخطاب القرآنيّ في باب التّشريع والحدود إلى المرأة، مقدّمًا إيّاها مع الرّجل سواءً بسواء، في الجناية والعقوبة، ويخلّد في نصوصه عقوبة تحفظ للمجتمع المسلم ألقه الأخلاقيّ وجماله المثاليّ، في استعمال فونولوجيّ نغميّ وظاهر مجهور كفله حكم القلب بين " التّنوين " و " الباء"، وقد قلبت موازين التّشريف وضرب الأمثلة، فسوّى بين الأنوثة والذّكورة، ومراتب النّاس في المجتمع،، ليصير المعيار الوحيد هو الامتثال لأمر الله – تعالى– ،، والوقوف عند أحكامه في كتابه العزيز..– والله أعلم–.

جـ - الأمّ الوصيّـة .

فـي مضيّ نحـو التّربيـة السّليمـة للأفـراد والمجتمعـات، وبتعليـم فضيلـة الإحسـان إلـى مـن أحسـن، ينتهـج القـرآن الكريـم سبيـلًا تربويًّـا،، للمـرأة فيـه نصيب مركّـز،، فـي خطـاب مميّـز، حافـل بعلامـات الخصوصيّـة السّياقيّـة.

إذ يقـول عزّ مـن قائـل علـى لسـان نبيّـه عيسـى- عليه السّـلام- وهـو فـي معـرض أوّل معجـزة بعـد ولادتـه،، فـي مشهـد الدّفـاع عـن نفسـه، وعـن والدتـه العفيفـة الطّاهـرة: ﴿ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾ مريم: 31-32.

إنّـه الله الرّحمـن الرّحيـم،، يوصي مَـن؟ وبمـن؟ وبمـاذا؟ ولمـاذا؟.

أوّلًا: تعتبـر الوصيّـة أسلوبًـا اعتمـده القرآن الكريـم فـي العديـد مـن المواضيع، وتكـون بـأن « **يعهـد إلـى الغيـر بعمـل ذي بـال، وهـذا يـدلّ علـى أنّ الموصي لـه يعـود عليـه حـظّ كبيـر مـن ذلك العمـل، وأسلـوب الإيصـاء أقـوى فـي البعث علـى الامتثـال مـن أسلـوب الأمـر والتّكلـيف**»[1]، ومـا وصيّتـه تعالى لنبيّـه فـي الآيـة- عليـه وعلـى رسولنـا السّـلام- ببـرّ والدتـه الآيـة إلّا دليـل علـى مكانتهـا عنـد الله أُمّـا لنبـيّـه ووالـدة قبـل ذلك.

هـا هـي المـرأة تحظـى بخطـاب قرآنـيّ جديـد،، خطـاب تكريـم،، وتبجيـل أهّلتهـا لـه أمومتهـا الحانيـة،، مهمـا كـانت عقيدتهـا،، مسلمـة أم كافـرة،، لا تحديـد لهويّتهـا، و لا شـروط لحظوّهـا بهـذه المرتبـة العليّـة مـن الاحتـرام،، استحقّـتـه من ربّ الأكـوان،، وهـو أدرى بمـن يوصي بـه ،، - سبحانـه - .

فالمـرأة فـي القـرآن الكريـم،، ليسـت مضربًـا للمثـل فقـط،، وليسـت عضـوًا فـي المجتمـع لـه حقـوق وعليـه واجبـات فحسب،، ولا هـي سطـر فـي دستـور تشريعـيّ لتنظيـم المجتمـع،، ولكنّهـا كـلّ ذلك وغيـر ذلك،، إنّهـا الـزّوج،، والفتـاة،، والحالـة الاستثنائيّـة فيـه - مطلّقـة أو أرملـة -،، وهـي إضافـة إلـى مـا ذكـر،، أمّ،، تحمـل جنينهـا تسعـة شهـور،، تتقاسـم معـه طعامهـا،، وأنفاسهـا،، وتسابيحهـا وهجـرة أشـواق روحهـا المسافـرة إلـى رحمـة بارئهـا

[1] عبد الفتّاح لاشين: من أسرار التّعبير في القرآن - صفاء الكلمة-، ص: 168.

وبارئـه- إن كـانت مؤمنـة- يجـاور قلبـه قلبهـا،، ويسمـع همسهـا،، ويَجِـمُ إن خالطـه خوفهـا عليـه!!.

وبالتفاتـة حييّـة نحـو امـرأة خاصّة،، يعـود البحث إلـى إحـدى سيّـدات نسـاء الجنّـة،، وأمّ النّبـيّ- المعجزة عيسى- عليه وعلى رسولنا السّلام-،، تلك الفتاة الّتي نشأت في معبد،، تحت جنـاح الرّعايـة النّبويّـة- لزكريّـاء- عليـه وعلـى رسولنـا السّـلام-،، هديّـة أمّهـا " امـرأة عمـران" إلـى ربّهـا،، وقربـان المحبّـة بـين امـرأة وخالقهـا،، هـا هـي الفتـاة مريـم بيـن عشيّـة وضحاهـا،، بأمـر الله وكلمتـه تستحيـل " أُمًّـا " دون زواج،، وتتساقط عليهـا الشّبهـات والافتـراءات،، فتـرزق ولـدًا،، حمّلـه ربّـه الـّذي أنعـم عليـه بالنّبـوّة والرّسالـة وصيّـة متضمّنـة بنديـن ؛ إذ يقـول – تعالـى – علـى لسانـه:

﴿ وَأَوْصَٰنِي ﴾: - « بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا » .« وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ».

فأمّـا البنـد الأوّل مـن الوصيّـة، فمنـوط بحـقّ عبوديّتـه لله – تعالى- ،، ثـمّ بحـقّ الفقـراء عليـه وأمّـا البنـد الثّانـي منهـا، فتـلك الأمّ، الّتـي سَنَـت بهـا أمومتهـا مـدارج الرّفعـة وسلالـم العـلا،، والبـرّ بهـا وصيّـة فيهـا إلحـاح،، وتأكيـد.

ورغـم كـون الخطـاب فـي الآيـة الكريمـة متعلّـق بالسّيّـدة الطّاهـرة مريـم، إلّا أنّ آيـات كثيـرة فـي القـرآن الكريـم، ترفـع مـن شـأن " الأمّ" صراحـة أو فـي معـرض البـرّ بالوالديـن و« **البـرّ: الصّلـة والجنّـةّ، والخيـر والاتّسـاع فـي الإحسـان والحـجّ، ويقـال: بَـرّ حجّـك وبُـرّ بفتـح البـاء وضمّهـا، فهـو مبـرور، والبـرّ: الصّـدق والطّاعـة كالتّبـرّر، واسمـه: بـرّة معرفـة، وضـدّ العقـوق** » [1]، جميـع هـذه المعانـي: الصّـدق والإحسـان والطّاعـة غيـر المحـدودة ممّـا يتّصل بكلمـة " بـرّ " " أوصى" بهـا الله – تعالـى- نبيّـه- عليه وعـلى رسولنـا السّلام- ومـن ثـمّ جميـع عبـاده بجعلهـا ديدنهـم تجـاه " الأمّهـات".

إنّ قراءة الآيـة الكريمـة مـن سـورة مريـم ، تفـرض علـى مجيـد أحكـام التّرتيـل الإتيـان بصوت الميـم بيـن تنويـن الفتحـة فـي " بـرًّا " وبـاء الجـرّ فـي " بـوالدتـي "، وهـب ميـم مقلبـة

[1] – الفيروز آبادي: القاموس المحيط ، ص: 348.

عن نون التّنوين، المزال،، لتزول عن " الأمّ " آلام وأتعاب الماضي،، فأوجاع النّون لا يمحو أثرها إلى نداء الولد أمّه" أمّي "، والميم حلّت محلّ النّون فيها جهر وعرفان قويّ بهذا البرّ والإحسان الّذي أمر به العبد تجاه " أمّه" الّتي تعدّ مفتاح أوسط أبواب الجنّة، وما شفويّة " الميم" إلّا دعوة للاعتراف " الكلاميّ" أو " الشّفويّ" بأفضالها،، والإحسان إليها،، قولًا وعملًا،، بجماليّة لفظيّة وسلوكيّة يقابل الخطاب القرآنيّ جميل المرأة " الأمّ" موصيا الولد بتشكيل باقة أخلاقيّة لمن خصّت « **بالوصيّة، لأنّها تقوم بالجزء غير المنظور في حياة الابن، وغير المدرك عقلًا، فالطّفل في حال الحمل والولادة، وحتّى يعقل الأمّ هي الّتي تقدّم له كلّ شيء، فهي الّتي تحمله، وتلده وترضعه وتسهر عليه وتعتني به** »[1]؛ فجلّ الأعمال الكبيرة من الأمّ لولدها لا شاهد عليها إلّا ذو الجلال- سبحانه-، وقد أخفيت عن عين الابن وذاكرته كإخفاء النّون المنوّنة وغيّبتها بالنّسبة للميم، ولكنّ الله- تعالى – أوصى بحقوقها جهرًا، كجهر الميم في النّطق،، يقدّم لها جمال الوصيّة بها في لطف وحنوّ، تحمل الغنّة المصاحبة لصوت الميم بعض دلائله، وتجمع باقات الرّونق الخلفيّ المراد تأصيله في الأمّة المسلمة أصالة الصّوت الجديد الأغنّ.

هكذا تقلب المعاني من الخفاء إلى الجلاء،، ومن عالم الظّلمات إلى عالم المكاشفة في واقع النّاس وحياتهم،، من خلال قراءة مرتّلة للآية،، أو سماع لها.

إنّه البرّ والإحسان الواصل بين الولد وأمّه كوصل الميم بين التّنوين وباء الجرّ الدّالّة على « **الإلصاق وما ذكر لها من معان أخرى تحمل هذا المعنى** »[2] الّذي يوحي بطبيعة العلاقة المتينة بين الأمّ وولدها، والالتصاق يتحوّل من جسديّ نفسيّ، إلى نفسيّ فونولوجيّ،، باق بينهما بقاء المشافهة والصّراحة الّتي تميّز المعاملة الخاصّة بين الطّرفين.

[1] – عبد الفتّاح لاشين: من أسرار التّعبير في القرآن- صفاء الكلمة- ، دار المرّيخ للنّشر و التّوزيع ، ط : 01 ، 1983 ، الرّياض ، المملكة العربيّة السّعوديّة ، ص: 169-170.

[2] – فاضل السّامرائيّ: معاني النّحو، ج:03، ص: 17.

يهدي القرآن- إذن- الأمومة شرف الوصيّة لا لنبيّه فحسب، بل لكلّ ذي لسان قارئ أو سمع منصت، فيمنحها هبة الخطاب المميّز لها، في آية تموج مفرداتها بالعاطفة النّديّة، ويقدّمها بنغميّة ذات غنّة تليق بامرأة حملت في أحشائها بذور الإنسانيّة ورعتها، رعاية روحيّة، ووجدانيّة تناسب بخليفة الله في أرضه.

وعلى نحو متفرّد يوقّع القرآن الكريم لائحة العناية بالمرأة " الأمّ" في خطاب ارتقت فيه العلائق اللّغويّة والصّوتيّة في وجهها المعجميّ المتأنّق صوتيّا بالفونيم فوق التّركيبيّ " القلب" ويلبس الأمومة معناها المقدّس، غير مكتفٍ بيوم عالميّ سنويّ لها،، وإنّما الإحسان متّصل،، اتّصال الحياة، ما بقيت فيها روح تتردّد، أو ذكر يحيا ولا يتبدّد، يتغنّى به الوجود،، ويتوشّى ألحان الميم في " أمّ" و " أمومة" وإن بدت تنوين وباء،،- والله أعلى وأعلم-.

02- قلب.. و.. غنّة.. في خطاب.. : خلاصة الفصل الثاني.

على عجل ترجّل هذا الفصل قاصدًا الخروج من بيت الإقلاب الوارد في الآي الكريم، الّذي ذكرت فيه المرأة،، ها هو ذا يجمع في رحاله معالم أنوثة متنوّعة،، وانماطًا خطابيّة مختلفة،، من سور كثيرة،، زيّنتها ألحان التّرتيل بمشيك فونولوجيّ اني، تمثّل في الميم الأغنّ، المقلب عن النّـون السّاكنة تارة وعن التّنوين تارة اخرى،، وممّا جمعه:

للجماليّة الصّوتيّة الواردة في إقلاب النّون السّاكنة ميما بُعدٌ اوسع من ظاهرها الصّوتيّ، فهي - على الأقل- إمّا جماليّة اصطفاء ورعاية (آل عمران:37)، وإمّا تهذيب خلقيّ (التّحريم: 03) وهذا على مستوى الكلمة الواحدة؛ حيث اخذ الصّرف في تصريف الدّلالات وتنويع المفردات على نحوٍ انيق، في خطاب ذي علاقة بالقصّة القرآنيّة بين زمنين مختلفين (فجر المسيحيّة) و (فجر الإسلام).

01 - أمّا الجماليّة الصّوتيّة لإقلاب النّون السّاكنة بين كلمتين، فقد جمعت إلى الدّلالة علم النّحو ومعانيه،، فكانت الوظيفة ملمحًا عامًّا لآيات كريمة، ورد فيها الخطاب المنوط بالمرأة، باعتبارها مضربًا لمثل السّوء (النّحل: 92)، ثمّ ذات حقّ اجتماعيّ كفله لها التّشريع القرآنيّ (النّور:33)، وفي معرض الخصوصيّة النّبويّة كونها جزءً لا يُمسّ له طرف- لأمومتها المؤمنين- بعد وفاة الرّسول- صلّى الله عليه وسلّم- (الأحزاب: 52)؛ كما وجد البحث في ما وجد من زاد، دليلًا قرآنيّا رصّعه قلب النّون السّاكنة في سياق الحديث عن أهميّت المرأة المؤمنة في المجتمع المؤمن (النّساء: 25)، وأخر يعلّم الأزواج أدب عتاب أزواجهم من النّساء (التّحريم: 03).

02 - لأنّ القلب ممكـن في حال ثانية تتمثـل في التّنويـن المتّصل بالباء، فإنّ الخطاب القرآنيّ المنـوط بالمـرأة، لم يفتقـر إلى وجـوده كظاهـرة صوتيّة، بل سـار معه فـي سياق يشـرّع للمطلّقة حـقّ كرامتها(البقرة: 178-229)، ويمنحها حقّ المساواة مع الرّجل في الجزاء والعقوبة (النّور: 33)؛ في حين يجثو البحث بين يدي الخطاب القرآنيّ حين يوحي بالأمومة الحانية ويبجّل المرأة الوالدة (مريم:32)؛ ومن آيـة إلى آية،، ومن خطـاب إلى آخـر،، لا يفارق صوت الغنّـة ميمـه، فينـثر على العبارات القرآنيّة ألحان السّماء،، وجلال الوحـي المترنّم،، يقلب الأنيـن إلى أمل،، والسّـوء إلى نعماء،، والقيد إلى حريّة،، بحسب المواضع، والسّياقات،، وفيما يلي مخطّط لبيان ما جاء في هذا الفصل المترجّل:

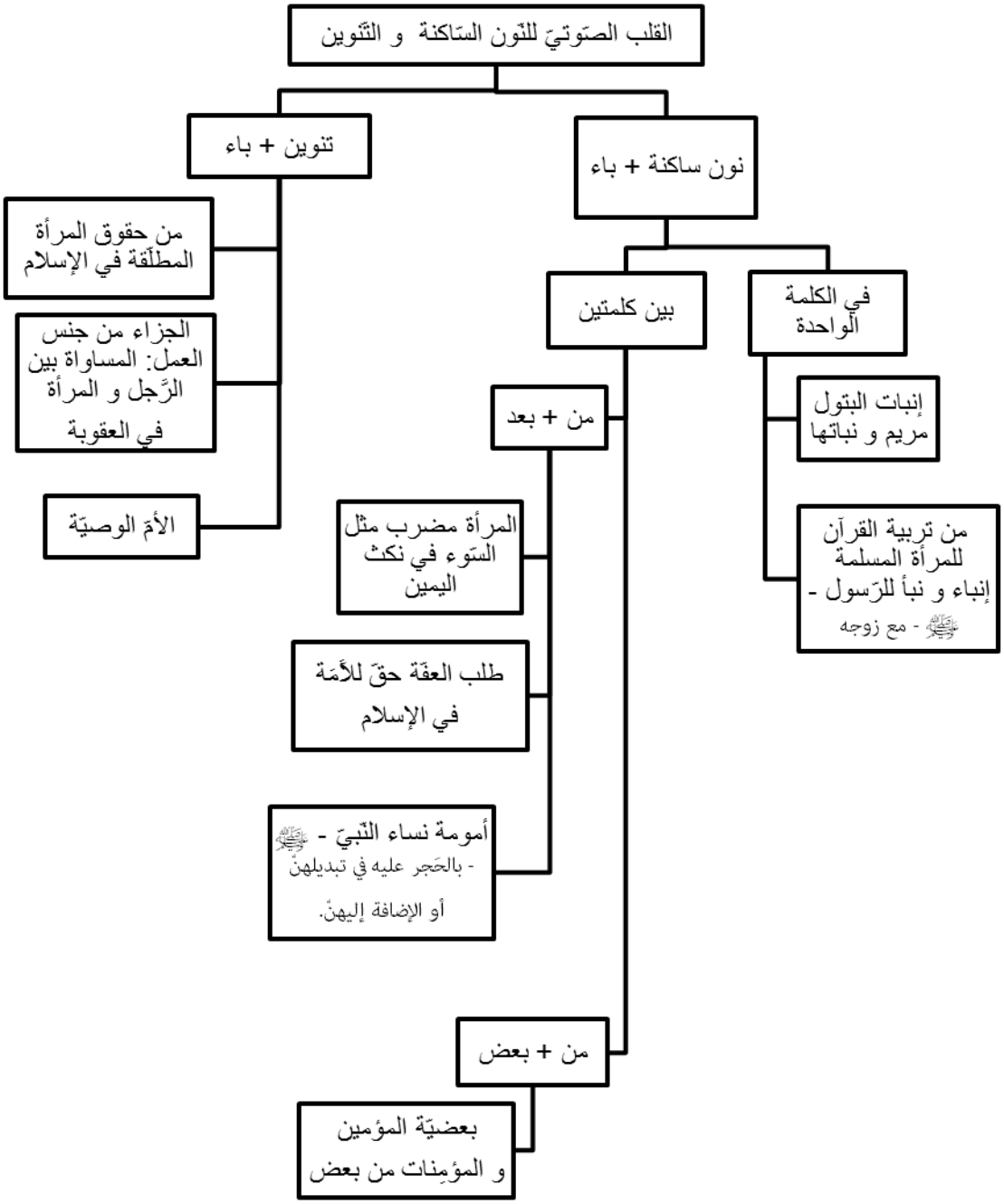

المخطّط (02) : مواضع الإقلاب في خطاب القرآن المنوط بالمرأة.

خاتمة

خاتمـــة

ما للجمال كلّما لامس الإحساس به شغاف القلب ولو بشيء منه تلهّفت النّفس إلى مزيده ؟! وما لمعرفة العلوم ،، كلّما اقتُرب من حياضها ،، اتّسع إناؤها؟! وبرغم ذلك، فإنّه لا حيلة للشرعيّة الأكاديميّة حيال هذه الفضفضة في كليهما ،، إلّا الصّرامة، ورسم الحدود!!

لجماليّة القرآن.. جاذبيّتها ،، ولأنوار إعجازه فتنتها وأسرها ،، فكيف بها وقد تلفّعت بهذا و توشّحت بتلك آيات كُتب لها أن تكون مراصد للظّاهرة الجماليّة في الوحي الخالد ،، عني بهذا الخطاب المنوط بالشّطر الجميل من البشر " المرأة ".

وها هو البحث يقف وقفة المأمور بالكفّ عن التّقدّم أكثر ،إذ ليس بوسعه أن يبقى وراء القرآن الكريم متتبّعاً خصائصه ،، و دقائقه ،، فعجائبه لا تنقضي ،، وأسراره لا تنتهي ،، ولكنّ وريقاته لم تبق باهتة كما كانت ، فقد تقلّدت صدورها بقلائد دلالات تنمّ عن فهم جديد لآيات القرآن العظيم المتعلّقة بالمرأة، حين تُتلى بلسان قارئ مُجيد لأحكام التّرتيل، أو تُسمع منه، فتُدرك الوقوف ومعانيها،، ويحترم الإقلاب ويُتوَصّل إلى وظيفيته الصّوتيّة و الدّلاليّة.

و بذلك، فإن اختصار الموضوع، كُلّل بنتائج، و تعلّق بمقترحات أهمّها:

*** النّتائج :**

01 – كليّة عامّة:

= مازال القرآن الكريم، و يبقى معيناً لا ينضب عطاؤه، تؤمّه البحوث والدّراسات ،و تقصده أعلام العصور، و طلبــة العلم فــي كلّ الدّهور، تنقيـباً عن دور الإعجاز، ومكامن الجمال فـيه.

= يستوعب القرآن بطابعه الإعجازي،، جميع المناهج وآليّات البحوث اللّغويّة (نظريّة ومخبريّة) بين نقديّة و صوتيّة، وأسلوبيّة في تحليل الخطاب أو علم الدّلالــة.

= الجماليّة ملمح معقودة أساليبه و سماته في مبنى خطاب القرآن و معناه.

= القرآن خطاب صوتي دالّ.

= علم التّرتيل " فن " و " قواعد " تعكس وجه الإعجاز الصّوتي للخطاب القرآنيّ و نقطة تحوّل هامّ في فهم نصوصه، لما في الأداء الصّوتي للقرآن من إعجاز و إنجاز.

= النّظم الصّوتي _ بصوائته و صوامته و فونيماته التّطريزيّة _ يعضد النّظمين الجُملي و التّركيبي لبُنية الخطاب القرآن.

= يتمتّع الأداء القرآني بالقدرة على التّعبير عن معانٍ و مدلولات ضخمة بأوسع كيفيّة، في تناسق لافت بينه وبين التركب النّحوي للآيات.

= تتكشّف آليّة التّحليل الصّوتيّ للآيات المتعلّقة بالمرأة عن أنموذج صوتيّ راقٍ ، لا يقلّ عن بقيّة النّماذج الواردة في كتاب الله تعالى – .

= للسّلاسة النّطقيّة ، وتمام الوضوح السّمعيّ اولويّته في تبليغ الوحي و التّأثير في المتلقّي.

02 – النّتائج الجزئيّة

أ – فيما يتعلّق بالمقاربة الصّوتيّة – الدّلاليّة –

= للوقف الجائز بلاغته المتعدّدة جوانبها وصلا و فصلا .

= يعتبر الوقف الوضع الماصّ للعلامات الإعرابيّة ، لأنّها تؤول إلى سكون عنده .

= علامة الوقف الجائز " قلى " إشارة بتمام المعنى و كمال الانقطاع ، مع أولويّة الفصل بين التّراكيب القرآنيّة الواردة فيها.

= علامة الوقف الجائز " صلى " تشير إلى مرونة المعنى موصولا ، مع أولويّة هذا الوصل ، وعدم المنع من الفصل ضرورة او اختيارا.

= علامة الوقف الجائز " ج " تمثُّل حيث إمكانيّة الوصل و الفصل في التّركيب القرآنيّ .

= باجتماع علامتي وقف جائز ("ج + صلى) أو "(ج+ قلى)" تعطى تلاوة الآيات القرآنيّة تنوّعا جرسيا و آخر دلاليّا

= ينال التّركيب القرآني الوارد فيه وقف التّعانق ۞ ۞ ثراء دلاليّا ، بتناوب الوقف على اللّفظين المميّزين بعلامته.

= ليست الفاصلة القرآنيّة ملمحاً صوتياً يستوجب الوقف عليه بالضرورة، ولكنّ تمام المعنى هو السّيد في ذلك.

= تأخذ الفاصلة القرآنيّة شكل أنساق، يتّسم بها الخطاب القرآني.

= كلمة المقطع من الآية، إذا ختمت بحرف مدّ (مع نون أو ميم) فذلك تمكين للتّطريب و الوقع الأغنّ.

= قد ينكسر نسق الفاصلة القرآنيّة العامّة لسياق قرآني ما بفاصلة أخرى، ثم لا يلبث النّسق أن يعود إلى نظمه الأول، طرداً للملل و إذكاءً لوعي القارئ أو السّامع للآي الكريم، وهذا ما يُسمّى انزياحاً داخليّا للفاصلة.

= للفاصلة المجهورة، دلالتها الرّدعيّة أو التّقريعيّة في الخطاب القرآني المنوط بالمرأة.

= النون الساكنة و التّنوين_ وإن هما فونيمان متحولان عن فونيم النّون_ إلّا أنهما يخضعان للتّحول الفونولوجي ذاته بمجاورتهما فونيم الباء.

= قلب النون السّاكنة و التّنوين إلى ميم، سبيل انتاجيّة صوتيّة و دلاليّة على مستوى كلّ من الكلمة و التّركيب القرآنيَّين.

= العمليَّة الصّوتيّة المتمثّلة في تحويل النّون السّاكنة أو التّنوين إلى ميم، اختصار للمسافات بين التّنوين و الباء _ مخرجاً وصفة _ و توسيع للدّائرة الدّلاليّة.

ب- من حيث أنواع الخطاب القرآني المنوط بالمرأة.

تنوّع الخطاب القرآني الذي اتّخذ " المرأة " أنموذجه الرّئيس، غير أنها لم تلبث أن انقسمت إلى نماذج نسويّة،، أستقلّت فيه كل امرأة أو طائفة نسويّة بسمات و علامات خطابيّة في إهاب صوتي مرتّل جمع الفنيّة والإيحاء في التّعبير عنها، فكان:

أوّلاً: الخطاب المتحدّث إلى المرأة (مريم ابنة عمران _ نساء النّبي _ صلّى الله عليه و سلّم).
ثانياً: الخطاب المتحدّث عنها تشريعًا وقصّة (حوّاء ، حمقاء قريش، ابنتا شعيب، المطلّقات).
ثالثاً: الخطاب التّداولي في سياق القصّة (البيت النّبوي).

وعلى الرّقعة الشّاسعة لهذا الخطاب المنوّع حضرت المرأة اعتبارها:

فتاة حييّة ، وزوجاً مطيعةً، أو امرأة مطلّقة ، مؤمنة وكافرة ، أَمَة وسيّدة، مضرب مثل للعفّة تارة و مثل سوء تارة أخرى، بارّة في مشهد، وسارقة يُقام عليها الحدّ في مشهد آخر، وأمّاً لنبيّ أو إحدى أمّهات المؤمنين يوصى بها في مقام آخر.

أمّا أزمان النّساء اللّائي ذكرن في القرآن الكريم، فمحصورة منذ فجر الحياة على الأرض، حيث سرد القرآن الكريم قصّة حواء و زوجها النّبي آدم_ عليه و على رسولنا السّلام _ إلى زمن شرف بختام الأنبياء محمّد _ صلّى الله عليه وسلّم _ ومن صحبنه فيه من أزواجه _ رضوان الله عليهن _ وبين العصرين قائمة مفتوحة بين نساء معارف ونكرات في التّاريخ ذكرن تلميحًا أو تصريحاً بأسمائهن أو صفاتهن في السّياق القرآنيّ.

كانت هذه خلاصة البحث المقصّر في جنب كتاب الله تعالى، و لقصورها عن الوصول إلى أبعد ممّا طالته، لا تفتأ تمسك بيد توصيات يختم بها البحث حياته الاستقرائيّة.

*** المقترحات:**

= الحرص على توجيه البحوث اللّغويّة و الصّوتيّة، وربطها بالكتاب الخالد، فالإعجاز اللّغوي فيه ليس حكراً على النّظم النّحوي ولا البيانيّ، وإنّما للصّوت فيه نصيب لا يُستهان به.

= نظريّة الحقّ و المسؤوليّة، فيما يتعلّق بالمرأة و الأصوات المطالبة برفع شعارات الحرّيّة و المساواة، في حاجة إلى التفاتة واعية نحو كتاب الله – تعالى– ، لما فيه من خطابات تحمل إجابات " لكل" اهتماماتها وتفاصيلها.

= دعم البحوث النّظريّة بمخابر صوتيّة " حديثة و مجهّزة ، تساعد في الاقتراب أكثر من الدّرس اللّغوي خدمة للغة القرآن و ارتقاءً بها.

= عقد دورات و ندوات تكوينيّة أكاديميّة، تهتم بالقراءة التّجويديّة للقرآن الكريم ، تحسيناً للّغة العربيّة على ألسن أهلها و طلبتها.

= فتح مخابر بحث تهتم بالإعجاز القرآني (علمياً و لغويّاً) باعتباره علماً قائماً بذاته لا موضوعاً.

ببيان مقترحات البحث، لم يبق له إلا التّوجّه إلى العليم العلّام – عزّ وجل – برجائه أن يكون قد وُفّق في تحسّس معالم الجمال في الخطاب القرآني من خلال عرضه ما أمكنه التّوصّل إليه من دلالات متعلّقة بالآيات الكريمة المتّصلة بالمرأة، وهي تخرج أنغاماً مرتّلة، تلهج بخير الأصوات

وأعذب الألحان، وأن يكون إضافة إيجابيّة إلى المكتبة الجامعيّة المتخصّصة، وهو في ذلك لا يدّعي إلماماً بالموضوع، ولا كمال قدرة على وصل القلوب جميعاً بالوحي الآسر مادام هو ذاته المقطوع ،،

فلا مطمع له في العطاء الجزيل وهو المحروم،، ولكنّه جهد المُقلّ في جنب حبل الوصل بين الأرض و السّماء، وخفق فؤاد المُحبّ يحدوه هواه إلى تقفّي أثر الجمال الذي أشرقت الأرض بنوره ،، ولسان حاله يقول :

إنّي رأيت الله في أكوانه و سمعت صوت الحقّ في قرآنه.

و اللهَ وحده المسؤول أن يرزق هذه الكلمات السّداد والإحسان في المبنى و المعنى، ويتكرّم على صاحبتها فلا يحرمها أجر الاجتهاد ، و إن هي أدنى من ذلك ، فهو خير مأمول و أكرم مسؤول.

فحسبي ربّـــي أن أفـــوز بنظرة و حسبي ربّي أن تكونّـن راضياً
فيا ليت شعري غير ودّك غصّة و يا ليت شربي من ودادك صافياً

و الحمد لله أوّلاً و آخراً.

الملاحق

مدوّنة
الآيات محلّ المقاربة
(خطاب القرآن المنوط بالمرأة)

مدوّنـة الآيات محلّ المقاربة:

سورة البقرة :

« وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ » 35.

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾»178.

« ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ »229.

« فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ » 230.

سورة آل عمران :

إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾»35.

« وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ » 42 - 45.

سورة النّساء:

« وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِكُمْ ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَـٰتٍ غَيْرَ مُسَـٰفِحَـٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ »25.

سورة المائدة :

« وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ »38.

سورة التّوبة :

وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ »71 – 72.

سورة النّحل :

«ٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ » 78.

« وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ » 92.

سورة مريم :

« وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾» 32.

سورة طه :

إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ »38 – 39.

سورة النّور :

وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ » 33.

سورة النّمل :

قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤ »44

سورة القصص :

وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧ »07 .

« وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦ » 23 – 26 .

سورة الأحزاب :

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ

سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ ۞وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤ 28- 34.

سورة التّحريم :

« وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٣» 03.

المصادر
و المراجع

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، دار صبح ، ، ط :04 ،2007 ، بيروت ، لبنان.

التّفاسير:

01- ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل: تفسير ابن كثير ،تحقيق محمّد علي الصّابري، المكتبة العصريّ، بيروت، (د-ط) ،2010.
02- البغويّ، أبو محمّد الحسين بن مسعود : معالم التّنزيل ، حقّقه و خرّج أحاديثه : محمّد عبد الله النّمر و عثمان جمعة ضميريّة و سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنّشر و التّوزيع ،ط:04 ، 1997 ،
03- الزّمخشري ، محمود جار الله: الكشّاف عن حقائق التّنزيل و عيون الأقاويل في وحوه التأويل، دار المعرفة ، ط :01، 1968 ، بيروت ، لبنان.
04- السّعديّ ، عبد الرّحمن بن ناصر السّعديّ : تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان ، مؤسّسة الرّسالة ، ط:01 ، 2000 ، بيروت ، لبنان .
05- الشّوكانيّ ، محمّد بن عليّ بن محمّد : فتح القدير الجامع بين فنَّي الرّواية و الدّراية من علم التّفسير ، تحقيق :عبد الرّحمن عميرة ، دار الوفاء ، ط :01 ، (د – م – ن).
06- الصّابونيّ ، محمّد عليّ : قبس من نور القرآن الكريم، دار القلم للطّباعة و النّشر و التّوزيع، ط : 02، 1998، دمشق.
07- الطّبريّ ، أبو جعفر محمّد بن جرير : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الأعلام ، ط : 01 ، 2002 ، عمّان ، الأردن.
08- الفرّاء ،أبو زكريّا يحي بن زياد : معاني القرآن ،عالم الكتب ، ط :03 ،1983، بيروت ، لبنان.
09- القرطبيّ ، أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاريّ : الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : سالم مصطفى البدريّ ، دار الكتب العلميّة ، ط : 03 ، 2010 ، بيروت ، لبنان.
10- درّاز، عبد الله: النّبأ العظيم، دار الثّقافة ، ط : 01، 1985 ، الدّوحة .
11- رضا ، محمّد رشيد : تفسير المنار ، تحقيق : إبراهيم شمس الدّين ، دار الكتب العلميّة ، ط : 02 ، 2005 ، بيروت ، لبنان.
12 – قطب ، سيّد : في ظلال القرآن ، دار الشّروق ، ط : 09 ، 1980 ، بيروت، لبنان.

الحديث:

13- محمّد بن إسماعيل البخاريّ: صحيح البخاريّ، تحقيق: مصطفى أديب، دار بن كثير، ط :03 ،1987.

المعاجم:

14- ابن منظور، محمّد بن مكرم : لسان العرب المحيط، تق: عبد الله العلايلي، إعداد و تصنيف، يوسف خيّاط، دار لسان العرب،(د-ط)، بيروت ، لبنان.
15- الفيروزآباديّ ، مجد الدّين محمّد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسّسة الرّسالة بإشراف محمّد نعيم العرقسوسي، مؤسّسة الرّسالة، ط : 08 ، 2005، بيروت ، لبنان.
16 – عيّاد ، حنّا سامي و زكي حسام الدّين و كريم جرجس : معجم اللّسانيّات الحديثة ، مكتبة لبنان ناشرون ،ط :01 ، (د –ت)، بيروت ، لبنان.
17 – متري نوتا غاري بريور : المصطلحات المفاتيح في اللّسانيّات ، ترجمة : عبد القادر فهيم الشّيبانيّ ، (د – د – ن) ، ط ، 01 ، 2007 ، الجزائر.

الرّسائل و البحوث:

18- زيّود ، حازم حسين حافظ: التّربية الوقائيّة في القرآن الكريم، ماجيستير مخطوطة، جامعة النّجاح الوطنيّة، نابلس فلسطين، 2009.
19- عنتري ، محمّد سعيد محمّد: معالم الأسرة النّبويّة في القرآن الكريم، ماجيستير مخطوطة، جامعة النّجاح، نابلس، فلسطين، 2008.
20 – يوسف ، عبد القادر عوض ، محمود :أسماء الزّمن في القرآن الكريم ، ماجستير مخطوطة ، جامعة النّجاح الوطنيّة ، نبلس ، فلسطين ، 2009.

المقالات و الدّوريّات:

21- الحربي ،عبد العزيز: وقف التّجاذب (المعانقة)، مقال بمجلّة جامعة أمّ القرى لعلوم الشّريعة و اللّغة العربيّة، ج19، ع31، 1425هـ.
22- عبد العال، محمّد قطب: من جماليّات التّصوير في القرآن الكريم، مجلّة " دعوة الحقّ"، ع 09، 1999، مكّة المكرّمة.

23- القضاة ، خالد محمّد: الإعجاز التّأثيري للقرآن الكريم، مقال مقدّم إلى المؤتمر السّابع لإعجاز للقرآن الكريم، جامعة الزّرقاء الأهليّة، 2005.

24- عبّاس، فضل حسين: الكلمة القرآنيّة و أثرها في الدّراسات اللّغويّة، مجلّة مركز بحوث السّنّة والسّيرة، ع :04 ، 1989، الجامعة الأردنيّة.

25- عتيق ، عمر عبد الهادي: الأسلوبيّة الصّوتيّة في الفاصلة القرآنيّة، مجلّة المنارة، ع :03 ، مج: 16، (د-س-ن).

26- أبو عيانة، إبراهيم عبد الباقي : الإنسان و النّبات، مجلّةحراء،31،2012، اسطمبول ، تركيا.

المراجع:

27- ابن الجزريّ ، محمّد بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن عليّ بن يوسف: طيّبة النّشر في القراءات العشر، تحقيق كمحمّد تميم الزّعبيّ ، مكتبة دار الهدى ، ط :02 ، 1994، المدينة المنوّرة ، المملكة العربيّة السّعوديّة.

28- ابن خلدون ، عبد الرّحمن : المقدّمة ، دار الكتاب اللّبنانيّ ، ط : 01 ، 1979 ، لبنان ، بيروت.

29- ابن سينا ، أبو عليّ الحسين بن عبد الله بن الحسن بن عليّ: أسباب حدوث الحروف ، تحقيق :محمّد حسّان الطّيّان و يحي مير علم ، تقديم : شاكر الفحّام ، أحمد راتب النّفّاح ،مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة ، ط :01 ، دمشق ، سوريا.

30- أبو زيد، نصر حامد : مفهوم النّص، - دراسات في علوم القرآن - ، المركز الثّقافيّ العربيّ ، ط:02 ،1994 ، بيروت ، لبنان.

31- أحمد بن محمّد الطّويل: فن التّرتيل وعلومه ، مجمع الملك فهد للبحوث و الدّراسات الإسلاميّة ،ط:01، 1999 ،المدينة المنوّرة ، المملكة العربيّة السّعوديّة.

32- البهنساويّ ، حسام: علم الأصوات ، مكتبة الثّقافة الدّينيّة ، ط :01 ، 2004 ، القاهرة.

33- علم الدّلالة ، مكتبة زهراء الشّرق، ط : 01 ، 2009 ، مصر.

34- البهيّ، أحمد عبد المنعم: دراسات في الأدب و النّقد و البلاغة، مطابع النّاشر العربيّ ، ط : 01 ،1959 ، مصر.

35- التّازيّ، أبو الحسن علي بن محمّد بن الحسن: القصد النّافع لبغية النّاشئ و البارع على الدّرر اللّوامع في مقرئ الإمام نافع ، شرح الإمام :محمّد بن إبراهيم الشّريشيّ، تحقيق:التّلميديّ محمّد محمود ، دار الفنون ، ط:01 ، 1993 ، جدّة ، المملكة العربيّة السّعوديّة.

36- الجاحظ ،عمرو بن بحر: البيان و التّبيين، تحقيق : حسن السّندوبيّ ، دار الفكر ، ط :01، (د – ت – ن) ،بيروت ، لبنان.

37- الجرجانيّ ، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق : محمود شاكر ، دار المدنيّ ، ط :07 ، 1984 ، مصر.

38- الجزائريّ الدّمشقيّ ، الشّيخ طاهر :التّبيان لبعض المباحث المتعلّقة بالقرآن على طريق الإتقان ، تحقيق :عبد الفتّاح أبو غدة ،مكتبة المطبوعات الإسلاميّة بحلب ، ط :03 ،1412 هـ ،سوريا.

39- الجوزيّة ، ابن القيّم: الأمثال في القرآن ، تحقيق : محمّد سعيد نمر الخطيب ، دار المعرفة للطّباعة و النّشر ، ط :01 ، (د – ت – ن) ،بيروت ، لبنان.

40- الجهاويّ ، عوض مرسي: ظاهرة التّنوين في اللّغة العربيّة ، مكتبة الخانجيّ للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، ط :01 ،(د – ت–ن) ، القاهرة ، مصر.

41- الحربيّ ، فرحان بدري : الأسلوبيّة في النّقد العربيّ الحديث ، مجد المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات و للنّشر و التّوزيع ، ط : 01 ، 2003 ، لبنان ، بيروت.

42- الحسين، أبو محمّد بن علي بن سعيد: القراءات الثّماني للقرآن الكريم ، تحقيق : إبراهيم عطوة و أحمد حسين صغير ، وزارة التّراث القوميّ و الثّقافة بسلطنة عمان ، ط :01 ،1995 ، سلطنة عمان.

43- الحصريّ ، محمود خليل: أحكام قراءة القرآن المكتبة المكّيّة و دار البشائر الإسلاميّة ، ط :04 ،1999 ، المملكة العربيّة السّعوديّة.

44- الخالديّ ، صلاح عبد الغفّار: إعجاز القرآن البيانيّ ، دار عمّار ، ط :01 ،2000 م ، عمّان ، الأردن.

45- الدّعّاس، عزّت عبيد: الواضح في شرح المقدّمة الجزريّة في علم التّجويد ، دار الإرشاد للنّشر ، ط :02 ، (د – م – ن).

46- الدّوسريّ ، محمود بن أحمد بن صالح: عظمة القرآن ، دار ابن الجوزيّ ، ط :01 ، 1426 هـ ،الدّمّام ، المملكة العربيّة السّعوديّة.

47- الذّهبيّ ، محمّد حسين: التّفسير و المفسّرون ، مكتبة وهبة ، ط :01 ، 2000 ، مصر.

48- الرّافعيّ ، مصطفى صادق : إعجاز القرآن و البلاغة النّبويّة ، دار الكتاب العربيّ ، ط : 09 ، 1973 ، لبنان ، بيروت.

49- الرّمانيّ ، أبو الحسن عليّ بن عيسى: النّكت في إعجاز القرآن(ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، تحقيق : محمّد خلف الله و محمّد زغلول ، دار المعارف ، ط : 02 ،1956 ، مصر.

50- الزّامل ، فريد بن عبد العزيز: الخلاف التّصريفيّ و أثره الدّلاليّ في القرآن الكريم ،دار ابن الجوزيّ ،ط : 01 ،1427 هـ ، الدّمّام ، المملكة العربيّة السّعوديّة.

الزّحيليّ ، محمّد : تعريف عامّ بالعلوم الشّرعيّة ، دار الكوثر ، ط : 01 ، الجزائر.

51- الزّركشيّ ، بدر الدّين محمّد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمّد أبو الفضل ، دار التّراث ، ط : 01 ، 1957 ، القاهرة ، مصر .

52- الزّرقانيّ ، محمّد عبد العظيم :دار الكتب العلميّة ، ط : 01 ، 1988 ، لبنان ، بيروت .

53- السّامرّائيّ ، فاضل صالح: - من أسرار البيان القرآنيّ، دار الفكر ناشرون و موزّعون ، ط :01 ، 2009 ،عمّان ، الأردن .

54 - معاني النّحو: شركة العاتك للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، ط : 02 ،2003 ،القاهرة ، مصر.

55 - بلاغة الكلمة في التّعبير القرآنيّ ، شركة العاتك للطّباعة و النّشر و التّوزيع ط : 02 ،2006 ،القاهرة ، مصر.

56- السّعران ، محمود: علم اللّغة - مقدّمة للقارئ العربيّ - ، دار النّهضة العربيّة ، (د - ط) ، بيروت ، لبنان.

57- السّيوطيّ ، أبو الفضل جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر: الإتقان في علوم القرآن ،تحقيق : مركز الدّراسات القرآنيّ ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف ، 1426 هـ، المدينة المنوّرة ، المملكة العربيّة السّعوديّة.

58- الشّرقاويّ ، أحمد محمّد: المرأة في القصص القرآنيّ، دار السّلام للطّباعة و النّشر و التّوزيع و التّرجمة ، ط : 01 ، 2001 ، القاهرة ، مصر.

59- الصّغير، محمّد حسين عليّ: الصّوت اللّغويّ في القرآن الكريم ، دار المؤرّخ العربيّ ، ط : 01 ، 2000، لبنان.

60- الضّالع، محمّد إبراهيم: الأسلوبيّة الصّوتيّة ، دار غريب للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، ط : 01 ، 2002 ،القاهرة ، مصر.

61- الطّويل، أحمد بن محمّد: فنّ التّرتيل وعلومه ، البرهان في علوم القرآن ، مجمّع الملك فهد للبحوث و الدّراسات الإسلاميّة ، ط : 01 ، 1999 ، المدينة المنوّرة ، المملكة العربيّة السّعوديّة.
62- العسكريّ، أبو هلال : الصّناعتين ، تحقيق : عليّ محمّد البجاويّ و محمّد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة الحلبيّ ، ط :01 ، 1971 ، سوريا.
63- الغوثانيّ ، يحي عبد الرّزّاق: علم التّجويد – احكام نظريّة و ملاحظات تطبيقيّة دار الوعي ، ط :01 ، 2009، الجزائر.
64- الفيروزآباديّ، مجد الدّين: بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تحقيق : محمّد عليّ النّجّار ، لجنة إحياء التّراث الإسلاميّ ، ط : 03 ، 1996 ،القاهرة ، مصر.

65- المرسي، كمال الدّين عبد الغنيّ: فواصل الآيات القرآنيّة ، المكتب الجامعيّ الحديث ، ط : 01 ،1999،الإسكندريّة ، مصر .
66- المرطعيّ ، عبد العظيم إبراهيم: خصائص التّعبير القرآنيّ و سماته البلاغيّة ،مكتبة وهبة ، ط :01 ،1992 ،القاهرة ، مصر .
67- آل نوفل، حمدي بن محمّد نور الدّين: قصص القرآن ، مكتبة المورد ، ط : 01 ،2002 ، مصر.
68- أنيس ، إبراهيم : الأصوات اللّغويّة ،مكتبة الأنجلو مصريّة ، ط : 04 ، 1951 ، مصر .
69- بني دومي، خالد قاسم: دلالات الظاهرة الصّوتيّة في القرآن الكريم ، جدارا للكتاب العالميّ ، ط : 01 ، 2006 ، عمّان ، الأردن.
70- جيجك، محمّد خليل: عالميّة القرآن ، ، مؤسّسة الرّسالة ، ط : 01 ، 2002 ، بيروت ، لبنان.
71- حسّان، تمّام :البيان في روائع القرآن ،عالم الكتب ، ط : 01 ، 1993 ، القاهرة ، مصر.
72- حمدان ، نذير: الظّاهرة الجماليّة في القرآن الكريم ، دار المنارة ، ط : 01 ، 1991 ، جدّة ، المملكة العربيّة السّعوديّة .
73- خليل ، إبراهيم : الأسلوبيّة و نظريّة النّصّ ، المؤسّسة العربيّة للدّراسات و النّشر ، ط : 01 ، 1979 ، بيروت ، لبنان.
74- درّار ، مكّي: الحروف العربيّة و تبدّلاتها الصّوتيّة في كتاب سيبويه ، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، ط : 01 ، 2003 ، دمشق ، سوريا.
75 – درّاز ، عبد الله : النّبأ العظيم ، مطبعة السّعادة ، ط : 01 ، 1969 ، القاهرة ، مصر.

76- درويش ، محيي الدّين: إعراب القرآن الكريم وبيانه ، دار ابن كثير للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، ط : 09 ، 1999، دمشق ، سوريا.

77- سلطان، منير: الفصل والوصل في القرآن الكريم – دراسة في الأسلوب – ، منشأة المعارف بالإسكندريّة ، ط : 09 ، 1997 ، مصر.

78- سلقيني ، محي الدّين خطيب، العمارة و القرآن ، شعاع للنّشر و العلوم ، ط : 01 ، 2001 ، حلب ، سوريا. .

79- سويد ، أيمن رشدي : تلقّي القرآن الكريم عبر العصور ، دار الوعي ، ط 01 ، 2009 ، الجزائر.

80- سيبويه، أبو البشر: الكتاب ، تحقيق : عبد السّلام هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط :02 ، 1982 ، مصر.

81- طليمات ، غازي مختار: في علم اللّغة ، دار طلاّس ، ط : 02 ، 2000 ، دمشق ، سوريا .

82- عبّاس ، حسن: خصائص الحروف العربيّة و معانيها ، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب ، ط : 01 ، 1998 ، دمشق ، سوريا.

83 – عبد التّوّاب ، صلاح محمّد : النّقد الأدبيّ – دراسات نقديّة و أدبيّة حول إعجاز القرآن – ، دار الكتاب الحديث ، ط : 01 ، 2003 ، الجزائر.

84- عبد الجليل، عبد القادر: علم اللّسانيّات الحديثة ، دار صفاء للنّشر و التّوزيع ، ط : 01 ، 2002 ، أبو ظبي ، الإمارات العربيّة المتّحدة.

85- عبد الرّحمان، عائشة: نساء النّبي ،دار الهلال ، ط : 05 ، (د – ت – ن) ، (د – م – ن) .

86- عبد الله، شكر محمود: الفصل و الوصل في القرآن الكريم ، دار دجلة ناشرون و موزّعون ، ط : 01 ، 2009 ، عمّان ، الأردن.

87- عبده، محمّد: مشكلات القرآن ، مشكلات القرآن و تفسير سورة الفاتحة مع مقدّمة في التّفسير و ثلاث مقالات ، جمع : محمّد رشيد رضا ، دار مكتبة الحياة ، ط : 01 ، بيروت ، لبنان.

88- عبد، يحي عماد: ألفاظ الثّواب في القرآن الكريم ،دار دجلة ، ط : 01 ، 2009 ، عمّان ، الأردن.

89- عرابي ، أحمد : أثر التّخريجات الدّلاليّة في فقه الخطاب القرآنيّ ، ديوان المطبوعات الجامعيّة ، ط : 01 ، 2010 ، الجزائر.

90- عضيمة ، عبد الخالق: دراسات لأسلوب القرآن ، دار الحديث ، ط : 01 ، 1972 ، (د – م – ن).

91- لاشين، عبد الفتّاح: – البديع في ضوء القرآن ، دار الفكر العربيّ ، ط : 01 ، 1999 ، القاهرة ، مصر.

92- من أسرار التّعبير في القرآن الكريم ، دار المرّيخ للنّشر و التّوزيع ، ط : 01 ، 1983 ، الرّياض ، المملكة العربيّة السّعوديّة.

93- قابل نصر ، عطيّة : غاية المريد في علم التّجويد ،(د – د – ن) ، ط : 03 ، 1987 ، الرّياض ، المملكة العربيّة السّعوديّة.

94 – مكاني، عثمان قدري: من أساليب التّربية في القرآن ، دار ابن حزم للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، ط : 01 ، 1981 ، بيروت ، لبنان.

95 – هويمان ، دني : علم الجمال، ترجمة : ظافر حسن ، الشّركة الوطنيّة للنّشر و التّوزيع ، ط : 01 ، 1976 ، الجزائر.

96- هيجل: المدخل إلى علم الجمال – فكرة الجمال – ، ترجمة : جورج طرابيشي ، دار الطّليعة للطّباعة و النّشر ، ط : 03 ، 1988 ، بيروت ، لبنان.

97- ياقوت محمّد سليمان: علم الجمال الصّوتيّ (المعاني – البيان – البديع) ، دار المعرفة الجامعيّة ، ط : 01 ، 1995 ، (د – م – ن).

الفهارس

الرّقم	تسمية الجدول	الصّفحة
01	جدول الآيات محلّ المقاربة في المبحث الأوّل	32
02	جدول لتبيان أثر الوقف على هاءين متحرّكين	36
03	جدول لتبيان أثر الوقف على ياء المتكلّم و الألف المقصورة	41
04	جدول لتبيان النّغمة حال الوقف على ياء المتكلّم و الألف المقصورة	42
05	جدول لتبيان أثر الوقف على هاء الغائب و ياء المؤنّث المخاطب	46
06	جدول أثر الوقف على صوائت الو صوامت متنوّعة	50
07	جدول لتبيان أثر الوقف على كلمات ذات محالّ إعرابيّة متنوّعة	54
08	اجدول متعلّق بالآيات النّماذج للمبحث الأوّل من الفصل الثّاني	62
09	جدول تحليليّ لصوتي الياء المدّيّة و النّون	65
10	جدول تحليليّ لصوت الواو المدّيّة	69
11	جدول لتبيان النّغمة حال الوقف على النّون بعد صوتي المدّ الياء و الواو	69
12	جدول تحليليّ لصوت الميم	72
13	جدول تحليليّ لصوت ألف المدّ	74
14	جدول تحليليّ لصوت اللّام	78
15	جدول تحليليّ لصوت الرّاء	79
16	جدول تحليليّ لصوت الفاء	80
17	جدول تحليليّ لصوتي الياء و الألف المدّيّين	88
18	جدول تحليليّ لصوت الباء	88
19	جدول تحليليّ لصوت النّون	88

الرّقم	الرّسم البيانيّ أو المخطّط	الصّفحة
01	رسم بيانيّ متعلّق بوقف التّعانق	57
02	مخطّط أنواع الوقوف المصاحبة لخطاب القرآن المنوط بالمرأة	83
03	مخطّط مواضع الإقلاب في خطاب القرآن المنوط بالمرأة.	136

الرّقم	السّورة	الآية	الصّفحة
01	الفاتحة	01	29
02	البقرة	35	63
		229	125-121
		230	34
03	آل عمران	36-35	38
		37	91
		44-43-42	66
		45	71-66
04	النّساء	25	112-111
05	المائدة	38	129-126
06	الأنعام	163-162-36	29
		165	
07	الأعراف	172	32
08	التّوبة	72-71	72-71
09	النّحل	90-38	29-19
		90	19
		92	98
10	الإسراء	01	99
11	مريم	32-31	131
12	طه	39-38	74
		99	29
13	النّور	33	102
14	الفرقان	33	21
15	النّمل	44	47
16	القصص	07	43
		26-25-24-23	51
17	الأحزاب	28	77
		29	77
		31-30	79-77
		32	81-77-56
		34-33	82-77
		52	106

الرّقم	السّورة	الآية	الصّفحة
18	الصّافّات	09-10-11	60
		11-12-13	61
		137-138	29
19	ص	20	16
20	غافر	17	128
21	الشورى	40	128
22	فصّلت	03	61
		26	26
23	الرحمن	60	128
24	التّحريم	03	94-116
25	القلم	04	117
26	نوح	17	92
27	القيامة	16-17	12

الرّقم	الحديث	الصّفحة
01	" إنّما أهلك الّذين من قبلكم أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشّريف تركوه....." رواه البخاريّ	128

الرّقم	الاسم	التّعريف
01	ابن جنّي	أبوالفتح عثمان بن جنّيّ صاحب كتاب الخصائص(322هـ - 392هـ).
03	ابن الجزريّ	محمّد بن محمّد بن محمّد بن عليّ بن يوسف الجزريّ(751 هـ - 833هـ)له: تحبير التّيسير في القراءات العشر.
04	ابن منظور	محمّد بن مكرم بن عليّ ، أبو الفضل جمال الدّين بن منظور الأنصاريّ له: لسان العرب المحيط.
05	البغويّ	أبو محمّد الحسين بن مسعود بن محمّد الفرّاء البغويّ ، ركن الدّين ومحيي السّنّة (433هـ - 436 هـ) .
06	الجاحظ	أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (150هـ /767م-255هـ /869م)له : الحيوان و البيان و التّبيين.
07	الجرجانيّ	أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد الجرجانيّ (ت:471هـ)
08	الزّركشيّ	أبو عبد الله بدر الدّين محمّد بن بهادر بن عبد الله الزّركشيّ (745هـ -794هـ) له: البرهان في علوم القرآن.
09	سيبويه	أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر البصريّ (140هـ /760م - 180هـ / 796م) ، له: الكتاب.
10	السّعديّ	أبو عبد الله عبد الرّحمن بن ناصر السّعديّ (1307هـ - 1376هـ) ، له :تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان.
11	السّيوطيّ	عبد الرّحمن بن الكمال أبو بكر بن محمّد سابق الدّين خنّ الخضيريّ الأسيوطيّ المشهور باسم جلال الدّين السّوطيّ(849هـ /1445م - 911هـ / 1505م).
12	الشّوكانيّ	محمّد بن عليّ بن محمّد (1173هـ /1759م - 1255هـ/1834م)،له:فتح القدير
13	الطّبريّ	محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ،أبو جعفر الطّبريّ (224هـ/838م - 310/923م) ، له:جامع البيان في أحكام القرآن
14	العسكريّ	الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكريّ (920م-1005م)
15	الفيروزآباديّ	أبو طاهر مجد الدّين بن يعقوب بن محمّد بن إبراهيم الشّيرازيّ الفيروزآباديّ (729هـ -817 هـ) .
16	القرطبيّ	محمّد بن أحمدبن أبي بكر بن فرح (ت :471 هـ).
17	النّكزاويّ	عبد الله بن محمّد بن عبد الله القاضي معين الدّين أبو محمّد النّكزاويّ (614هـ - 683هـ)

الرّقم	المصطلح	
01	إجراء	Procès
02	أسلوبيّة صوتيّة	Phonostylistique
03	تحليل	Analyse
04	تحليل الخطاب	analyse de discours
05	تحليل دلاليّ	Analyse sémantique
06	تقطيع	Sillabification
07	خطاب	Discours
08	خطاب قرآنيّ	Discours coranique
09	دلالة	Signification
10	سياق	Contexte
11	علم الأصوات	Phonétique
12	علم الأصوات الأكوستيكيّ	
13	علم الأصوات السّمعيّ	Phonétique auditoire
14	علم الأصوات الصّرفي	morpho phonémique
15	علم الأصوات الفيزيولوجيّ	Phonétique physiologie
16	علم الأصوات الوظيفيّ	Phonologie
17	علم الجمال	Esthétique
18	علم الصّرف	Morphologie
19	فعل	Verbe
20	فونيمات	Phonèmes
21	فونيم التّطريزيّ	Phonème suprasegmental
22	لسانيّات	Linguistique
23	معنى	Sens
24	مماثلة بالتّجاور	l'Assimilation voisine
25	مورفيمات	Morphèmes
26	نحو	Grammaire
27	نسق	Système
28	نغمة	Tonne

ملاحظة : ترجمة المصطلحات من كتابَي:

- عيّاد ، حنّا سامي و زكي حسام الدّين و كريم جرجس : معجم اللّسانيّات الحديثة ، مكتبة لبنان ناشرون ،ط :01 ، (د –ت)، بيروت ، لبنان.
- متري نوتا غاري بريور : المصطلحات المفاتيح في اللّسانيّات ، ترجمة : عبد القادر فهيم الشّيبانيّ ، (د – د – ن) ، ط ، 01 ، 2007 ، الجزائر.

الموضوع الصّفحة

إهداءات و شكر
قبل البدء – مقدّمة – ..... أ
مدخل..... 9
01 – القرآن : خطاب صوتيّ دالّ موافق لسنن العرب في كلامها..... 11
02 – تعريف الرّاويتين حفص و عاصم..... 13
03 – علم الجمال و الجمال الصّوتيّ..... 15
04 – الخطاب و الخطاب القرآنيّ..... 16
05 – جهود السّلف في البحوث الإعجازيّة للقرآن الكريم..... 17
06 – الصّوت و الصّوتيّات 19
07 – مفهوم الأداء عند علماء القراءات: التّجويد و علم التّجويد..... 20
08 – التّفسير و التّأويل..... 21
09 – الدّلالة و علم الدّلالة..... 24
10 – القرآن و المرأة..... 24
11 – الصّوت القرآنيّ بين الدّلالة و الجماليّة..... 25
الفصل الأوّل : من الجماليّات البلاغيّة و النّغميّة للوقف في خطاب القرآن للمرأة..... 26
توطئة : الوقف الجائز : تعريفا و أنواعا..... 27
المبحث الأوّل : من بلاغة الوقف الجائز في خطاب القرآن المنوط بالمرأة..... 34
01 – من جماليّات شبه كمال الانقطاع في آيات الأحكام (قلى)..... 34
المرأة المطلّقة العائدة إلى زوجا الأوّل..... 34
02 – من جماليّات التّوسّط بين الكمالين في قصص القرآن (صلى). 38
أ – نذر امرأة عمران..... 38
ب – المرأة المبتلاة في رضيعها..... 43
03 –من جماليّات تنوّع وجوه الانقطاع في القصص القرآنيّ
(ج +قلى) / (ج +صلى)..... 47
أ – المرأة الملكة بين يدي النّبيّ الملك..... 47
ب – المرأة العاملة الحبيّة..... 51
04 – من جماليّات وقف التّعانق / التّجاذب في خطاب الله
– تعالى – نساء نبيّه – 56
التّقوى مناط شرف نسبة نساء النّبيّ إليه..... 56
المبحث الثّاني : من جماليّات النّغم بالوقف على الفاصلة القرآنيّة في خطاب القرآن
المنوط بالمرأة..... 59

01 – عتبة : الفاصلة القرآنيّة : تعريفا و أنواعا..... 60
02 – من جماليّات النّسق الأغنّ للفاصلة القرآنيّة..... 63
02 – 01 – من جماليّات غنّة النّون بعد ياء المدّ أو واوها... 63
أ – من تبعات شراكة المرأة زوجها معصيته..... 63
ب – المرأة الآية و أمّ الابن الآية..... 66
02 – 02 – من جماليّات غنّة الميم بعد ياء المدّ..... 70
خطاب الله – تعالى – المرأة المؤمنة كخطابه عموم
المؤمنين..... 70
02 – 03 – من جماليّات الانزياح الدّاخليّ للفاصلة القرآنيّة.... 73
المرأة الموحى إليها..... 73
02 – 04 – من جماليّات نسق الجهر للفاصلة القرآنيّة..... 77
الخطاب الخاصّ بالمرأة في بيت النّبوّة..... 77
03 – قبل تمام الوقف : خلاصة الفصل الأوّل..... 82
الفصل الثّاني: من جماليّات المماثلة بالتّجاور للقلب في خطاب القرآن المنوط بالمرأة 84
توطئة..... 85
المبحث الأوّل : من جماليّات قلب النّون السّاكنة في خطاب القرآن المنوط بالمرأة..... 91
من جماليّات قلب النّون السّاكنة على مستوى الكلمة الواحدة..... 91
أ – إنبات البتول مريم و نباتها..... 91
ب – من تربية القرآن للمرأة المسلمة : ضرورة كتمانها
سرّ زوجها..... 94
من جماليّات قلب النّون السّاكنة على مستوى الكلمتين..... 98
من جماليّات الارتباط بين " من " و ظرف الزّمان " بعد " 98
أ – المرأة مضرب مثل السّوء..... 98
ب – طلب العفّة حقّ للأمة المسلمة في القرآن 102
جـ – أمومة نساء النّبيّ للمؤمنين بالحجر عليه في
تبديلهنّ أو الإضافة إليهنّ..... 106
من جماليّات دلالة " من" على البعضيّة..... 110
بعضيّة المؤمنين من بعض..... 110
من جماليّات الارتباط بين " عن " و " بعض"..... 116
ما كلّ ما بعرف بقال عند العتاب – وإن بين الزّوجين– 116
المبحث الثّاني : من جماليّات قلب التّنوين في خطاب القرآن للمرأة..... 120
أ – من حقوق المرأة المطلّقة في القرآن الكريم..... 121

ب – الجزاء من جنس العمل : المساواة في عقوبة السّرقة بين الرّجل و المرأة..... 126
ج – الأمّ الوصيّة..... 131
قلب و غنّة في خطاب :خلاصة الفصل الثّاني..... 135
خاتمة..... 137
الملاحق..... 143
مدوّنة الآيات محلّ المقاربة..... 144
المصادر و المراجع 148
الفهارس..... 157
فهرس الجداول..... 158
فهرس المخطّطات..... 159
فهرس الآيات..... 160
فهرس الأحاديث..... 162
فهرس الأعلام 163
فهرس المصطلحات..... 164
فهرس المحتويات..... 165

إنّي
رأيت أنّه لا يكتب
إنسان كتابا في يومه
إلاّ قال في غده : لو غير هذا
لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان
يستحسن ، ولو قدّم هذا أفضل ،
ولو ترك هذا لكان أجمل
وهذا من أعظم العبر، وهو دليل
على استيلاء النّقص
على جملة البشر
العماد الأصفهانيّ